كلمة العدد

تونس تحتفي بتاريخها الإبداعي

بقلم جميلة الماجري

أليس الاحتفاء بالإبداع والمبدعين من أرقى مظاهر الحضارة الإنسانية؟
أليس هو الطريق المؤديّة إلى المجد والخلود؟
ألم يرفع الإبداع من شأن شعوب واجتاز بها إلى المجد أوسع أبوابه وجعلها خالدة في ذاكرة الأزمنة لا تطالها رياح النسيان مهما عَتَتْ؟

وتونس هي إحدى قلاع المجد الحصينة ذلك المجد الذي شادَه مبدعوها على امتداد عصور تاريخها.

فما من مرحلة من مراحل هذا التاريخ خلت من الابداع والفنون بمختلف مجالاتها في العمارة أو في النحت والتصوير أو في الشعر والأدب أو في زخرف اللباس والحليّ مما تزخر به متاحفنا وتمتلئ به مكتباتنا وممّا بلغ صداه وغمَر إشعاعه أرجاء الكون.

وها هي تونس اليوم تعيش أحداثا ثقافية يشاركها العالم في الاحتفاء بها، في مقدّمتها الاحتفال بالقيروان عاصمة للثقافة الإسلامية وفي هذه التظاهرة اعتراف بمجد عربيّ إسلاميّ ذي أبعاد إنسانيّة يبرز إشعاع بلادنا الكونيّ من خلال ما قدّمه أعلام تاريخنا في مجالات العلوم والطبّ والصيدلة وعلم الفلك والكيمياء والأدب والعمارة، إلى جانب احتفائها بمائويات عديدة في هذه السنة المباركة:

· مرور مائة عام على تأسيس المسرح التونسي.
· مائوية العلاّمة الشيخ الفاضل بن عاشور أحد رموز التنوير في الفكر الديني.
· مائوية الفنان متعدّد المواهب علي الدوعاجي رائد فنّ القصة القصيرة والرسم الكاريكاتوري ومؤلف الأغاني.
· كما تحتفي تونس والعالم العربي بمائوية شاعر تونس الكبير أبي القاسم الشابي ومساهمة في الاحتفاء بهذا الرمز الشعري الكبير يتشرّف اتحاد الكتاب التونسيّين بأن يكون هذا العدد من مجلّته "المسار" خاصا بالشابي.

ووفاء لذاكرة العصر ولذاكرة الشعر والشعراء والكتّاب الذين احتفوا بالشابي وكتبوا له وعنه شعرا ونثرا، تخصّص «المسار» في عددها هذا ملفا لتلك الكتابات والقصائد لشعراء من تونس والعالم العربي منذ ثلاثينات القرن الماضي إلى أيامنا هذه.

فلقد كان الشابي نجما سطع في سماء الشعر العربي مازلنا رغم عبوره الخاطف نقبس من شعاعه ونستضيء بوهجه في مسالك الشعر الوعرة المضنية. ومازالت صرخته: **«إما الشعب يوما أراد الحياة فلا بدّ أن يستجيب القدر»** تدوي في أرجاء وطنه فيبلغ صداها أطراف الكون وتهتزّ لها الشعوب وتنفذ إلى القلوب فتردّدها الحناجر وتبعث فينا النخوة وتأجّج فينا حماس الشباب جيلا بعد جيل وتلك معجزة خلود الشعراء الكبار.

وذلك هو الشعر في بعده الإنساني النبيل.

وإنّ هذا الاحتفاء بالإبداع والمبدعين وهذه الحركية الثقافية التي تشهدها تونس في تاريخها الحديث تعيد مجد بلادنا في عصورها الذهبيّة الأغلبيّة والصنهاجيّة والحفصيّة وتعيد بريق إشعاعها الفكري والديني والأدبي، وتجعلها من جديد كعبة القصّاد ومحطّ الأنظار وقطبا حضاريّا وثقافيّا يساهم بجدارة في بناء الحضارة الإنسانية في عصر العولمة الذي غدت الثقافة فيه مقوّما أساسيّا من مقوّمات الهويّة والبقاء والتواصل الإنساني.

الشابي في ذاكرة الشعراء التونسيين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبياتك الغُرّ

شعر: الشاذلي خزندار

أبياتك الغُر في أثوابها الجدد ... حنَّت إليك حنين الروح للجسد

تبكي عليك بكا الخنساء شاردة ... ويلي على شَجوها كالطائر الغَرِد
فيها حياتك رغم الموت خالدة ... أَكْرِم بنسل النُهى في الناس من ولد
لازال ذكرك يا ابن الروح دائرة ... في الشعر تربطها الأسباب بالوتد
تنعي الخواطر مجليها مهذّبة ... حتى تلمّسها المصغي لها بيد
من كل سانحة شجو لنائحة ... ما بين رائحة عكسا لمطرد
ما استخرجتك الليالي في كواكبها ... حتى انضويت وشيكا في حشا الأبد
قضيت سنّك بالعقدين في أدب ... من حيث لم يقضه ذو الطعن في العدد
لما استتمّت بك الأذواق واجبها ... استرجعتك يد الأخرى على حسد
عفوا أبا القاسم الساري على عجل ... هلا تريثت أو لم تلْوِ عن أحد
تلقفته أيادي النشء مغتبطا ... فيه ولا ريب من أقطارهم بلدي
خضراؤك اليوم في مغناك آسفة ... فيك النبوغ يعزّيها على كمد
الله في الصفوة الأنجاب يحرسها ... من كل شائبة في يومها وغد
ولْيَبْق ذكرك يا فخر الشباب على ... هامِ الزمان بلا حدّ ولا أمد

إِلَيْكُمُو يا نجوم العصر تعزية ... من خالص الشعر في مفقوده الأحدِ
تتلو على الحفل بين القريض له ... وتستمد له الرُحمى من الصَمَد

(ديسمبر 1936)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نم أخي(1)

شعر: محمد الفائز القيرواني

فوجئ الشرق بخطب في مناره   وأصيب الروّض في صوت هزاره
وقضى البلبل والـروض كما   أنت تدريه مـدلاّ باخضراره
وغـــدت أنـــحـاؤه موحشة   وســواد الحزن باد في دثاره
ينفث النفثة في الليل فيـ   ـــقلب الليل فخورا بابتكاره
سـمـع الحـق ولـبّـاه وكـم   كان بالحقّ ولوعا في حواره
مـتـفـان فـي رضــى خلانه   لم يهُن منا أديـب بجواره
ليت ذا الساعي نعاني قبله   وأراح القلب من همّ ادّكاره
نـمْ أخـي بين جناحي وطن   قد بذلت العمر في رفع جداره
وطـن غنّيته فاستعذب الشـ   ـــدو والتغريد من فم كناره
نـم فكم بعدك من عين شَكَت   من صدود النوم عنها ونِفارِه

يا صديقي أيـن من أشكو له   بعدما وُسِّدتَ في اللحد ترابا
يا صديقي بعدك الـروض غدا   موحش الأرجـاء مقفرّا يبابا
كنت في رأس الليالي أملا   نـتـرجّـاه وأحـلامـا عِـذابـا
جئت للخضراء والشعر بها   لا يـرى إلا مديحا أو عتابا
فـتـصـديـت لـــه حـتـى غـدا   وارف الظلّ عزيزا مستطابا
قـد بـكـاك الـيـوم فـي ألحانه   وسمعنا من بكاه الانتحابا
يا صديقي ليتني كنت الفدا   لك يوم البين أو كنت المصابا
يا صديقي هاكها من أدمعي   قد دعوت الودّ فيها فاستجابا
يا صديقي رحمة الله على   مـن فقدناه شيوخا وشبابا
وعـــزاء لبني الخـضــراء في   كوكب لاح على الشرق وغابا

(1934)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(1) نم أخي: نشر هذا القصيد بمجلة «العالم الأدبي» في العدد الخاص بأربعينية الشابي في 24 ديسمبر 1934 كما أعيد نشره بديوان محمد الفائز القيرواني وقد اعتمدنا القصيد المنشور بالديوان.

في ذكرى ميلاد الشابي

شعر: محمد زيد

الصدى الحلو: رجع نايك، مسكر ... والـشـذى: روحـك الحفي معطّر
ونشيد الحياة هدف على الجميـ ... ـع: نقي السنا، زكيا مطهر
يـا أبـا الـقـاسم الحبيب ... وفي ذا الـيوم بالأربعين ذكراك مطهر
ويـلـبـيك: مـهـرعين، شيوخ ... وكـهـول، وفـتـية وتـحـرر
ويلبيك: نـاغم آلـم الصمت ... سنـا فجره الضحوك المنور
ويلبيك، كل من ها هنا، والكو ... ن، والـنـور، والـهـزار، المطير
و«السماء الضحوك» والعالم الحـ ... ـي وآفـاقـه، وأرواح عبقر
فـتـأمـل... فـإن أنـسك موقو ... ر، وأحـلامـك الشـهـية زور
وسـنـاك الحبيب يغريك بالشد ... و، فرجِّعْ - فديتك - اللحن واحْبُر
واسـكـب الـروح في لـونـك للنا ... س ورشـفـهـمـو، طـروبـا مسكر
فـلـقـد كـنـت هـكـذا يـا أبـا القا ... سم: تـذوي، وثـغـر سنّـك مفتر
ولقد كنت باسما والأسى ملؤك. ... والـعـبء مـن حـوالـيك مـوقـر
ثـمـلا بـالـحـياة، تـحـتـد للنو ... ر، وتـمـضـي بـه مـضـاء المظفر
ولـك الـفـجـر: فيه رايـتـك البيـ ... ـضاء، والأفـق فيه جمرك مسعر
ولـك الطير: صـادحـات ودنيا الـ ... خـلـد، والـغـابـن والـربـيـع المضر
ولـك التاج ! يا حبيب ! ودر التـ ... ـاج مـن : ذلـك الـدم المنفجر

***

أنـت يـا ملهم الـحـيـاة، ويـا من ... أيـقـظ الـعـمـر بـالـصـلاة، فكبر
أنـت مجد بـاق على الـدهـر والآ ... باد ما ظلّ في الـورى الدهر يذكر
أنـت حـي، وفـي ضلوعك خفق ... بـمـعـاني الـحـيـاة، مـا أن يفتر

وجمال الحياة: لمحته منـ ــك، ومعناه عن صميمك مخبر
أنت... في كل ما عرفت وما أعـ ــرف لمع من الجمال محيّر
وخفي بك الفتون... فلم ينـ ــطق به غير حسنك المتأمر
وخفي لك النبوغ... فلم ينـ ــعم به غير قلبك المتفطر
وخفي مداه... إلا ترانـ ــيم هفت منك، عنه ظلّت تعبّر
فهي في الورد، والخضم وفي القمـ ــمة، والنجم، والفضاء المنور
وهي في كل لمحة، في شعاع الـ ــعمر، في دمعة الأسى والتحسر
في أغاريدك الشجية، في منـ ــحاك بالشعر، في سناه المسحر
نغمات، حسبتها صورا منـ ــك، تناغي الحياة في كل مظهر
أنت... يا ابن الخلود قد ضقت بالقيـ ــد، فأرميته حطيما مكسر
وقسا الدهر، واسبطر به اللؤ م، فقابلته بهزئك: تسخر
وتبديت أنت، أنت... وفي فأ سك كبر ممَرَّد ليس يُقهر
وتبديت في الزعازع إعصا را وفي النائبات ليثا مزمجر
قرسا بأسك الغلوب على الأ يام، والدهر، كالحسام المشهر
فاتنا، لمعه الحياة. ومعنا ه سمو، وثورة، وتحرر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

إيه يا شاعر الخلود، وطوبا ك، طوباك بالنعيم الموقر
وتبقى الجموع من قومك الصـ ــيد، تحييك في خشوع مسحر
وبهذا الشباب حولك مرعـ ــدا، خفيا بعيد ذكراك محبر
وبعزيمته ثابت الأر كان، عن نيله المجاهيد قصر
أنت يا ابن الخلود، يا منعش الـ ــروح ويا هادي الشعور المحير
أنت فوق الحياة والناس والأ يام، شاد، ونايك الخلد مزهر

(1948)

دمعتي على زميلي شاعر الوجدان

شعر: محمود بورقيبة

أيـن باقـات يانـع الريحـان   ونشـيد الطيـور فـي الأفنـان
وشـعاع مـن الغزالـة ذهبـ   ـي يبـثّ الحياة فـي الأكـوان
وخريـر مـن جـدول يتهـادى   بين غـضّ الغصـون في البسـتان
وأريـج مـن النسـيم شـذيّ   يتمشـى فـي المربـع المـزدان
أيـن هاتيـك العناصـر؟ كـي أر   ثـي بها اليـوم "شـاعر الوجدان"

* * *

من ربيع الشباب كسـرت الأيـ   ـام غصنا مـا زال فـي العنفوان
رمـت بالأُفُـول كوكـب شـعر   يتجلّـى فـي أبهـر اللمعـان
وقضت بالصمت الطويل على شا   د تغنّـى بأعـذب الألحـان
ففقدنـا خـلاّ زميـلا نبيـلا   ونُكِبْنا فـي الشاعر الفنان !

* * *

يا زميـلا، في يوم منْعَاه قد سـالـ   ـت دمـوع القلـوب لا الأجفـان
أيهـا الشـاعر الـذي وهبتـه   خطـرات الإلهـام أسـمى المعاني
فبـدأ يخـرج البدائـع حقـا   منشـدا للحياة عـذب (الأغاني)[1]
ثكلتـك الآداب فهـي تناديـ   ـك وتبكـي بالمدمـع الهتـان:
أي شـعر يفيـك حـقّ رثـاء؟   أي شـعر وأي سـحر بيـان؟
أيهـا الراحـل العزيـز، وداعـا   مـن قلـوب عميقـة الأحـزان
وإلـى أبهـج الفراديـس روح   لـك كانـت نبعـا لفـرط الحنان
إن ذكـراك بيننـا يـا (أبـا القا   سـم) تلقـى الإعظام فـي كل ءان
قد سـبقت الأقران لـلأدب الـر   اقـي وكنـت السَـبُوقَ للأكفان
فلك السـبق في الحيـاة وفي المو   ت، فطوبـى لشـاعر الوجـدان

(1934)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في روضة أبي القاسم[1]

شعر: مصطفى خريّف

لَذِكْرَاكَ للفُصْحَى وأمْجَادِها عيدُ ... تُذَاعُ بِهِ البُشْرَى وتُتْلَى الأنَاشِيدُ
وطَيْفُكَ بَعْدَ المَوتِ حَيٌّ مُبَارَكٌ ... كَرِيمُ السَّجَايَا طَيِّبُ الذِّكْرِ مَحْمودُ
وشِعْرُكَ بَاقٍ نابِضٌ مَتَدَفِّقٌ ... لَهُ في فَمِ الدُّنْيا غْنَاءٌ وتَرديدُ
لهُ منْ شُفُوفِ العبْقَرِيَّةِ حُلَّةٌ ... مُنَمَّقَةٌ فيهَا ابْتِكارٌ وتَجْدِيدُ
وعُمْرُكَ مَوْصُولٌ طويلٌ على المَدَى ... له في امتِدادِ الفكْرِ نسْلٌ وتَوْليدُ
وروحُكَ أنَّى طافَ فينَا يَحُوطُهُ ... منَ الملإِ الأعْلَى احتفَاءٌ وتَمْجيدُ
ويَكْنُفُهُ العَزْمُ الطَّمُوحُ وهِمَّةٌ ... لَهَا عندَ داراتِ النُّجوم مواعيد
تَحُفُّ بكَ الزُّهْرُ الملائكُ كلَّمَا ... شَدَوْتَ فتُشْجِيهِنَّ منكَ الأغاريدُ
نرى ذلكَ النُّور السماويَّ هاديًا ... لَنَا منهُ في سُبْلِ الحقائقِ تمْهيدُ
بيانٌ كأنَّ الوَحْيَ فيهِ مُنَزَّلٌ ... لهُ صِلَةٌ بالارتفاع وتَوْكيدُ
وفَنٌّ لآياتِ الجمالِ مُخَلَّدٌ ... وكَنْزٌ منَ التِّبْيَانِ والعِلْمِ مرْصُودُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

فيَا ثَاوِيًا في كُلِّ قلبٍ مُكرَّمًا ... عزيزًا، أحَقٌّ أنتَ في التُّرْبِ مَلْحُودُ؟
لَئِنْ شَيَّدَ الإخوانُ حَولكَ مَشْهَدًا ... وحيَّاكَ تَبْجيلاً بنُو قومِكَ الصّيدُ
فقِدْمًا لقد شيَّدْتَ صرحًا مُمَرَّدًا ... لَهُمْ من صريحِ المجدِ ما فيهِ تَفْنِيدُ

* * *

سلامٌ وذِكْرٌ عَاطِرٌ وتَحِيَّةٌ ... إليكَ، وشوْقٌ خافقٌ، وتَنَاهِيدُ. . .

(1946)

(1)نشر هذا القصيد لأول مرة بمجلة الثريا سنة 1946 وقد اعتمدنا النص المنشور بالديوان «شوق وذوق» لأن المجلة اختصرت من طول القصيد.

في روضة الشابي

بوركت شاعرا عربيا

شعر: الصادق مازيغ

1

شارقوا قبره المحلى جثيا وامنحوا الفخار وردا جنيا
واهتفوا باسمه المعظم قدرا وانشروا في الأنام ذكرا شذيا
وأشيدوا فخر تونس تهدي أمة العرب نابغا أحوذيا
يا أبا القاسم اعتليت مكانا بدّ نجم السماء نورا بهيا
في ظلام الوجود صارعت دهرا جارف الويل وعشيا
ورشفت الكؤوس أترعها السقـ ـم وروض الشباب يفتن ريّا
فإذا الروح فيك تعلو وتسمو وإذا اليأس قد تولى مضيّا
وإذا السقم قد توارى وأمست لفحات السموم روحا نديا
هكذا من سحيق بؤسك ألقيت بذورا ترف بأسا قويا
هكذا كنت ملهم الشعب في النكـ ـباء عزما يطول دهرا عصيا

2

كان في صدرك المعنّى بسقم العيـ ـش يدوي الأسى طليا شجيا
كنت صبا بروعة الخلد لا تلـ ـفي من الأنس في الظلام نجيا
كان جو الطهور والصّفو يدعو ك بلحن يرنّ عذبا خفيا
من وراء الحياة والدهر تبغي ملك حسن طلبته سرمديا
طافحا بالسرور والشدو خلوا من سماء الورى سعيدا رضيا
نافحا بالعطور والزهر واللـ ـذة والأنس حالما قدسيا
فيه من صفوة الوجود رحيق جال في مترع الكؤوس نقيا
من ضياء النجوم روقه الفـ ـن وغشاه رونقا عسجديا
من صميم الخلود أنطق الشعـ ـر وأسداه ملهما عبقريا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

3

قد طوت الحياة تزخر إلا   ما بقلب يسيل دمعا سخيا
مؤمنا بالحياة مهما تجنّت   دافقا بالشعور صرفا قويا
روعة الحسن تجتلي من أغانيـ   ـك فتسقي الهيام قلبا حليا
نشوة الخلد تجتني من قوافيـ   ـك فبُورِكْت شاعرا عربيا
نخوة المجد والطموح تغنت   في قريض أردت حرّا أبيّا
في مهاد الشقاء لقنت شعبا   خائر العزم كيف يبعث حيّا
تحت عسف الظلام والظلم أيقنـ   ـت بفجر يلوح غضّا شهيا
من سحيق الجحيم ناديت بالظفـ   ـر فلبّاك بالنداء حفيا
كنت في بؤسنا ملاكا تسامى   داعيا للسماء جيلا شقيا
وكذا عِشْتَ بالشعور فأدركـ   ـت برغم الرّدى مقاما عَلِيّا

(1946)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بَيْني وبيْنَ أبي القاسِم

شعر: محمد الشعبوني

وحي تنزّل من سما العلياء ! ... يُحْيي بقلبي ميّت الأصداء
ويعيد لي ذكرى نبي الشعر في ... محرابه يشكو من الضراء
فأحلت ذهني في غيابات مضت ... سمعت صوت الثورة الحمراء
يلقيه نايك يا (أبا القاسم) وما ... أقواه صوتا صغته بوفاء
فأذبته في مزمري ونثرته ... وسكبت منه الدمع في إنشائي

* * *

وكأنني والقلب منك مخضب ... تلقي فيوض العزم في الأبناء
لكأنني أصغي لنايك نافخا ... يومي لهيب الشعر في الأرجاء
في صرخة الجبار تعزف ساخرا ... وتعيد ما قد قلت في الأحياء:
«سأعيش رغم الداء والأعداء ... كالنسر فوق القمة الشماء»
سأعيش في دنياي رمزا غامضا ... لا يفهمون إشارتي وندائي
وأسير والناي الحنون مرجّع ... من صدري الدامي، صدى أجوائي
ويقول للشعب المضرّج بالدما ... يا شعب أين تجاوب الأبناء
يا شعب لحني صغتُه من أضلعي ... أحييا به، متى نما، بغنائي
سأمده والطرف يقطر باكيا ... ينزو دما، وينزّ من أحشائي
وأثيره، في غضبة جبارة، ... وأعيده في عزمة، ومضاء
وألوذ بالشعر الجميل مكفكفا ... ما انهلّ من دمعي ومن أدمائي
وأمدّ في الآفاق نورا، فاتقا ... ما اربدّ من سحب، ومن أنواء
وأظلّ مهما سخّروا من قوة ... أمشي أردّد غنوتي وندائي
أرنو إلى الدنيا الضحوكة ناشرا ... أعلام شعري في فضا الجوزاء
الشعر دنياي التي فتقت ... عن صدرها، والقلب، والأحشاء
ودعت بشعري أن يعانق شوقها ... ويذوب في سحر الهوى الوضاء
الشعر لي، وأنا له، والأرض في ... مجموعها وحي إلى الشعراء
إني خبرت الكون خير مجرب ... ومشيت فيه بعبرة وبكاء
لي فيه، في الجنات لهفة طامح ... لمس الحياة، وصفوها، بجلاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لي في جحيم الحب زفرة هائم ... يشكو (لليلى) بثّه بحياء
لي في حنايا الليل صوت حالم ... أشدو به في الليلة الظلماء
يا طالما ردّدته فترددت، ... أنغامه في القبة الزرقاء
وسكبت فيه مدامعي وشربتها ... كأسا طبعت ختامها بدمائي
لي في ضياء الفجر حرقة ظامئ ... يشتاق أن يلقى الضيا المتنائي
لي في صميم الكون نظرة شاعر ... أرسلتها في حكمة وصفاء
ودعوت قومي للحياة وهم نيـ ... ـام يعمهون فضاع صوت دعائي
وأُشِيعَ أني كافر متلاعب ... ما دمت لم أنهج خُطى القدماء
أنا لا أبيح لأمتي أن تشترى ... ولذمتي أن تقتنى بثناء
(ما المدح من شعري ولا أرضى له ... أن يستمال لمدحة ورثاء)

* * *

ما الشعر إلا خفقة القلب الذي ... (قد عاش مثل الشعلة الحمراء)
ما الشعر إلا دمعة الجفن التي ... قد قرحته زوابع الحصباء
ما الشعر إلا زهرة الحب التي ... نبتت وقامت وازدهت بنماء
هذا هو الشعر الذي أشدو به ... مترنما في بكرتي ومسائي
وله خلقت وطار فيه طائري ... وبه سموت وقد حميت ذمائي
هذا هو الشعر الجميل ودونه ... سخف الورى وسفاهة الخلطاء
هذا هو الشعر أستمع لنبيه ... فالشعر نضج ضمائر الأمناء
سأظل أنشره وأمزج نضجه ... من أدمعي حتى يجاب ندائي
ويضيء قلبي للحياة معانقا ... شوق الطبيعة، عائشا بحفاء

* * *

أني أنا النور الذي لا تنطفي ... ذراته من عالم الأضواء
وأنا- أنا الفجر الجميل وضوؤه ... شقّ الدياجي فانبلجت بحياء
وأنا الصباح الحلو في بسماته ... عطر الزهور، وبلسم الأحياء
وأنا أنا النهر المصفّى، والورى ... من حوله قد عذبوا بظماء
قد صدّهم عن موردي سَفَه العِدا ... لُجُوا بهم في الفتنة العمياء
قد ساءهم مني صراحة منطقي ... ووداعتي، ونزاهتي وحيائي
(فمضوا يمدون الخوان ليأكلوا ... لحمي ويرتشفوا عليه دمائي)

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأنا النشيد العذب في نيرانه   وقع الحياة، لعالم الأحياء
وأنا هتاف الشعب إن شقّ الفضا   ثــرَّت عيون الصخرة الصماء
وأنا هلال القطر، عانق نجمة،   وتماسكا في الهالة البيضاء
أني أنا الليل وقلبي نجمه   وكتاب شعري ندوة الشعراء
قدمته لشباب تونس مخلصا   وصبغت فيه مدامع الخضراء
وسكبت فيه بِيَدَيْكُمُو فأَبَيْتُمُو   أن تفتحوه، وقلتم بجفاء
إني كفرت، وما كفرت، وإنني   لو تدري يا شعبي من البتراء
ورميت في نار الخصوم وما ضعفت   ولا استكنت ولا شكيت بدائي
إني على عهدي مقيم ثابت   (لا أحتفي بحجارة الفلتاء)
الشعر في قلبي وبين جوانحي   يسري حنينا في هوى خضرائي
ومحبة الأوطان أقدس شعلة   أوقدتها من مهجتي والحمراء،
ومزجتها في كل أشعاري التي   قطعتها من مهجتي ودمائي
وجعلت عنوانا عليها حكمتي   لا بد أن تحيا شعوب فداء،
لا بد – لا بد القضا أن يستجيـ   ـب إذا أردت العيش في الأضواء
يا أيها الشعب، ويكفي أن ترى   شعري الجميل يجول في الأنحاء
يرويه بعدي شاعر عن شاعر   فهم الحياة وجدَّ في الإنشاء
وأعاد مثلي في البرايا صارخا   في عزمة، وحميّة، وإباء
سأعيش رغم الداء والأعداء   كالنسر فوق القمة الشماء

(1954)

صوت الشابي من وراء العدم

شعر: منوّر صمادح

يا فجـاج الهـول فـي ليـل الحيـاة المتنائي
يـا وقـودي فـي متاهاتـي عريقـة الظلمـاء
يا جراحي، يا شـجوني، يا نواحي، يا بكائي،
يا ضباب الحزن في واد الأسى الجهم القضاء،
أيـا الخابـط فـي الظلم فـي أرض الشـقاء،
هـا أنـا فـوق الأمانـي مسـتخفا بالرجـاء
معرضـا عـن عـرض الدنيـا وأوهـام الفناء

فـي صبـاح مـازج الأطيـار معسـول الغناء
يسـكب النور بكأسـي، وهي في بعض الضياء
وعـذارى الخلـد يبسـمن ويرقصـن إزائـي
ويلوّحـن بأيـد عبقريـات النـداء
غاويـات قد نهبـن الحب من حـوض الصفاء
وعشـقن الشـعر إذ غنيـت فـي ركـب البهاء
وأرانـي فـي الحيـاة الابتدائـي اللانهائـي
عندمـا أخلـع جسـمي مثـل خلعـي لردائي
زورقـي يسـبح فـي أمـواج عطـر وشـذاء
وربيـع حالـم فـوق خيـال الشـعراء
احتـوى الكـون بقلـب هـام شـوقا للقـاء
مثلمـا كنـت ولكـن فـي حيـاة مـن بقـاء
احتسـى الخمـرة مـن كـفّ الإلـه المترائي
فـي رحـاب المـلإ الأعلـى جـوار الأنبيـاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لو أبصرتها يا أبا القاسم

شعر: محمد صالح الجابري

يمدّ النخيل عليك جناحه   فتهمي ظلال وتخضرّ واحه
وصبّارة عرّشت في ثراك   على شاهديك تزيد ملاحه
وأطيارنا لا تروم سكوتا   ينغمن شعرك في كل ساحه
أما شمتهنّ هففن عليك   جناحا وخفّا وصدرا وراحه
يُلَوْلِبَنْ حول الضريح نشاوى   ولمّا يطقن للحظ براحه
فكيف أيا أيهذا المغنى   تحملت وضع الهوى وأطراحه
كأنك لم تتغن بشعب   أبيّ ولم تتعجل صباحه
ولم تطلعي الزهر يا أرضنا   أنيلي أزاهيره وأقاحه
وقولي لقد وافى بعد الربيع   وألقى على المهرجان وشاحه

* * *

فلو أنت أبصرتها في الليالي   طرابا غمرن المدى وبطاحه
تخطرن في الفجر فجرا نديّا   يباركن عزماته واكتداحه
ولو أبصرتها لبصرت الرجال   يهدّون قلعا ويُعْلُونَ ساحه
وشعبا – كما شئت– ألوى القيـ   ـود وليل المظالم قسرا أزاحه
ولو أبصرتها يا أبا القاسم   جموع بلادي تخط نجاحه
لغنّيت.. غنيت للشعب حتّى   وقيتنا بعض الرثا والمناحه !
ولكنّ قوما أهانوا ثراك   وشاؤوا إذاياته واجتراحه
ألا انهض لتنظر كيف استباحوا   قوافيك للنهب أي استباحه
يلصّون ممّا تركت جهارا   ويستنسرون بكلّ وقاحه
أمانا فكيف استطبت الرقاد   وكيف تذوقت في الموت راحه؟

1966 /03 /10

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنا والشابي

شعر: جعفر ماجد

في ضباب الحياة أرنو إليه فأراه مرفرفا كالخيال
يرشف النور في المروج وحيدا ويغني على رؤوس الجبال
حالم الجفن لا يرى غير طير تتناغى على الربى والتلال
وتراه الغصون يمشي إليها زاخر القلب بالرؤى والجمال
وتغنى له الرعاة ويحلو في الفضاء الجميل رجع الموال
ويشف الوجود حتى أرانا نتبع الشمس في الدروب الطوال
وإذا نحن خلف صمت الليالي نتشاكى بحاله وبحالي

***

قلت يا شاعر الحياة سلام من شقي كما شقيت حبيب
يعشق النور والجمال ويهوى أن يرى الحق في الظلام العصيب
أنت يا ساحر الشباب نبي جنّح الحرف بالخيال العجيب
وتركت الزعانف البكم تحبو فوق أشلاء قلبك المعطوب
إنما الناس يا رفيقي عراة أخذوا منك ثوب ميت سليب
إنك اليوم عندهم لعظيم ولكم عشت بينهم كالغريب
آمنوا فيك بالأديب المجلى وأتراهم وفوا بحق الأديب؟

***

ومشينا في ظل واد رهيب بين أطياف وحشة وسكون
تنسل الشمس في الغروب حثيثا ويرف الظلام خلف الحزون
وعلى شعره المفزع بالأنسـ ام لون من المساء الحزين
قال: يا صاح إن طبع البرايا لم يغير على مرور السنين
أنا ما كنت عند قومي نبيا لا ولا كنت عبقري الفنون
كم عزفت الحياة للناس حتى غارت الطير فوق مُلد الغصون
ونشرت الظلال في كل غاب وفرشت الدروب بالياسمين
وشرقت الألحان من كل جيد ووهبت السماء صحو العيون
وتنشقت من نسيم الروابي فانتشى الناي من شذى الزيتون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإذا الأيـك رعشة فـي نشيدي ... والصباح الجديد ملء من جفوني
ثـم نـضّـدت بـاقـة مـن زهـوري ... لـنـفـوس تحـدثـت بـجـنـونـي
ضحك الناس من رحيقي وكأسي ... وسـقـونـي سـلافـة المـغـبـون
مـزقـوا باقتي وداســوا ورودي ... وابـتـلـونـي بشقوتي وشجوني
أخرسوا الناي والهوى والسواقي ... فـي حـشـاشـات غـابـي المفتون
هـل أبـالـي بمدحهم بعد هذا ... إنـنـي قـد كـرهـت أن يمدحوني
لا أنـا لا تهمني ألـف ذكـرى ... فأنا لو رجعت لم يعرفوني !

(1966)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مـع الشـابـي

شعر: محيي الدين خريف

همس من الشجو على قيثارة الأيام
يسامر الليل ويروي قصة الأنسام
تسبيحه أصابع
تنطق بالإلهام
ورجعه تهويمة الإشراق
في الظلام
مكتّم مغلIف
بغربة الأيام
الوحي فيه شاعر
يسبح في الأنغام
وذوب قلبين على
مشارف الوجود
ضاعا مع الحياة في ليل الهوى المعبود
إيه أبا القاسم يا أغرودة الجريد
يا ذكريات عذبة تعبق بالخلود
يا همس وحي ساحر
جئت كلمح البارق العابر في الوجود
ثم سقطت في الثرى
فانتحبت صفصافة
في صمتها الموؤود
والبلبل الحيران في الليل استمل سرده
"ونتف العصفور من ريش
وألوى خده"
الشعر في ألحانك الجميلة الشروده
عفا هناك والمنون
أيبست وروده
ونام في صمت الليالي
ساكنا لحوده
يا قرة العين تقضت صحبة سعيده
وأدبر الماضي وأيام المنى الوليده
لا لحن يهدي دربنا
ولا قصيده
أو نظرة يحملها الهوى
مع نشيدي
فتروق الأيام والأحلام
بالسعود

(1966)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رسالة إلى الشابّي...

شعر: نور الدين صمود

عرفتُك مُذْ كنتُ طفل المشاعرْ
رأيتكَ ملتهبَ الحسِّ ثائرْ
يلعلع شِعركَ، كالرّعد، في وجه كل الطغاة
ويلمع كالنور فوق المنائر...
يهُدُّ جدار الظّلَمْ
وأسمعُ صوتَك كالنسر فوق القممْ
ودبّتْ روائع شعرك في كلّ حسٍّ
تدغدغ قلبَ المحبّ الولوعْ
بأحلى أغاني الهوى والشبابْ،
فخلتُك قيْس المُعنّى
بليلى ولبنى.
وتغمرُ قلبَ الكئيب الحزين
وتُغرقُهُ في بحار الدموع
ونهرِ الأسى والضباب
ودنيا العذاب
وتقذف في مُهَجِ الثائرين
هديرَ البراكين حين تثور
فخلتك من جيل عنترةٍ إذ يلبّي
نداءات عبْس
ويهزمُ ذبيانَ إذ تعتدي
وخلتك ندَّ أبي الطيب المتنبي
يحرّكُ شعرك قلب الجمادِ
ويبعث عزما...
بسيف ابن حمدان يوم الطّراد

فيجري «الدّمُسْتُقُ» منهزما مثل عبد ذليل
قفاهُ على هجمة الذلّ والجبن للوجه لائم»
وفي قلبه حسرةٌ مرّة...
على كلّ ما كان رائم
أيا من تجاوزت بالشّعر أكبر غايهْ
لقد عشتَ عمرَك بالعرض حتى النهايه
تغني «أغاني الحياة»
فأصغت للحنك كل الحياة
وذوّبتَ فيها الفؤادْ
وأشعلت فيها الأنامل مثل الشموع
وأغرقت كل الصحائف في حالكات المدادْ
وغسّلتها بالدموع
وأغرقتها في قرارة بحر الألم
وأنبتَّ فيها شذيَّ الزّهرْ
فطارت أغانيك شرقا وغربا
وأسكرتَ، من خمرها، الناس، عُجْما
وعربا
وعادت روائع شعرك من مشرق الأرض مثل
الضيا
فكانت بآذاننا مثل رجْع الصدى
يجوز أعالي الجبال...
يحلق عبر المدى
ويرجع مغتسلا بالندى
يرجّعه الشرق للمغرب

كوحي إله وصوت نبي
ويمضي كآلهة الشعر فوق جناح
«أبو للو»
ومن شرفات سماء «الأولمب»
يطل
وكالنور من مطلع الشمس، في الفجر، حين
يهلّ
وكالسيف من غمده إذ يسلّ
فحرّكت أعصاب حسّي
وألهبت بالعزم كل القلوب
وأجريت فيها دماء الظفر
بشعر يهزّ فؤاد الحجر
ويجتثّ كل الجذوع بفأس
كعنترة إذ يلبي
نداءات عبس
× × ×
تموت الخيول الكريمة في حلبة السبق ركضا
وتطوي سنابكها الأرض ومْضَا
وتوشك تسبق، في عدوها، ظلها
وتقضي العجاف أمام المحاريث مرضى
تروضها صفعات السياط، وكم
شربتْ ذلّها !
وتخشى، إذا التفتت، ظلّها
أيا شاعر الحزن والحبّ والثورة اللاّهيه
وجدت ظلاما كثيفا. . . .
يبرقع بالحزن وجه الوطن
وجدت عدوا لدودا. . .
يصبّ على الشعب نار المحنْ
وجدت زهور الحياة ومنبع شعر الغزل
تعيش وراء الجدار. . .
وراء الستار. . .
وراء الخمارِ. . .
وتقنع بالعيش عيش الجواري
وجدت لشعرك ألف مجال
يحسّ به كلّ قلب
فحركت كلّ المشاعر
وأنطقتَ كلّ الحناجر:
فناح الحزين. . . على حزنه
وهام المدلّه. . . في خدنه
وثار السجين. . . على سجنه
وردّد شعرك كلّ الرّجال. . .
وكلّ النساء. . .
وكلّ الشباب. . .
فشعرك يختزل الحزن والحبّ والثورة الثائره
ويقضي على القوة الجائره
فقد كنت في عالم الشعر بحرا عُبابْ
* * *
ونحن، ترى، ما عسانا نقول؟ !
أنندب من عدم الحزن؟ من موت ليل العذاب
أنبكي على أنّ طيف المذلة أضحى
سراب؟
ونبكي على أنه صانعة الذلّ والظلم صار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يباب
أنبكي لأن زهور الحياة...
ومن كنَّ للشعر منبعَ وحي يُروّي
القلوب...
وآلهة للخيال الرحيب...
ملأن جميع الربوع
كزهر الربيع
وزيّنَّ كل الرحاب...
فينبت وردُ
إذا ضاع عطرٍ أو اهتزّ نهدُ
ويبتسم الكونُ مثل الأمل؟

ترى ما عسانا نقول؟
فهل نستعير من «الدونكيشوت»
سيوف الخشب
ونغزو طواحين ريح يصيّرُها الوهمُ خصما
لدود

* * *

أيا وَجَعَ الحرفِ إذ يولد
به شحنة من عذاب المخاض وعسر
الولاده
ويا حسرة السيف إذ يُغمدُ
بكف الشهيد
ويصدأ في الغمد قبل الشهاده
ويا نخلةً في السما تصعدُ
وتحجبُ غابة نخل...

كأنّ عراجينها في
نحورِ الحسان قلادهْ

* * *

أيا خالد الشعر إنّ الرزايا...
بدنيا العروبة أضحتْ...
كغابة حزن كأمواج بحر
وقد كان خصم العروبة مستعمرا
جائر الحكم غاشم
يقاومه الشعبُ بالنار تكوي...
وبالشعر يوقظ ماضي العزائمْ
فأصبح خصمَ العروبة أخلص أبنائها
وقادتهم، جاوزا في
مجال القطيعة أكبر أعدائها
وفي كلّ يوم نحاول قربا
فنزداد بُعْدًا
وفي كلّ يوم نحاول وصلا
فنشبع صدا
وفي غمرات القطيعة ضاعت
بلادْ
ومات عبادْ
وأضحت
قصائدنا في مجال الفخار حداد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذكرى "النبيء المجهول"

شعر: عبد العزيز قاسم

ربّة الوحي ألْهمي نغماتي ... واستدري ما شئت من عبراتي
خانت الذكريات دنيا خيالي ... فاسكبي الوحي طافح النفحات
ألهميني فاليوم ذكرى نبي ... عاش في الكون طعمه الحسرات
فضّل الحزن والأسى عن هناء ... لوثته أصابع الشهوات
فدعا الناس للأسى فهو خير ... من هناء ملوّث البسمات
شنّ ضدّ الضلال حربا عَوَانا ... وحده في تجلّد وثبات
صارع الدّهر والزمان مِرارا ... بنشيد موقع الصدحات
لم ولم يفهم الأنام معانيـ ... ـه فأغفى في عالم الظلمات
وقضى العيش وحده وسط غاب ... علّه بين تِلْكُم الهضبات
يجد الطير تفهم الشعر منه ... فتذيع النشيد في الفلوات
ثم فرّت بروحه عن حِمَانا ... رغم ندب عظيمة النكبات
أين مني حياته وهو غضّ ... حين بتّ ضحية الصدمات
أين مني ثباته وهو يجتا ... ز قويّ الصعاب والعقبات
أين مني جلاله وهو جاث ... فوق تلك السهول والربوات
ينشد الشعر من فؤاد مذاب ... فيشيع الحياة في الخلوات
عالم الشعر ما الذي أنت تحوي ... من جمال وروعة وحياة
والنبي المجهول عنك بعيد ... لم يعش في الدنيا سوى فترات
عالم الشعر لست بعده إلا ... شاحب الوجه كالح اللمحات
عالم الشعر بعده كيف تزهو ... أنت تحيا في غفلة وسبات
لم يعد لحنك الجميل لدينا ... غير صوت مكبّل النبرات
ربة الوحي أضرمي نار حزني ... ونحيبي وعبرتي وشكاتي
فيثير الدموع ندبي إذا ما ... خنقت روعة الأسى كلماتي

(1948)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نقوش على قبر النبي المجهول

شعر: أحمد المختار الهادي

مواويلي التي أعطيتها للناس في يوم من الأيام
وألحاني التي قد أرقصت كل النخيل بواحتي الفيحاء
وأشعاري التي قد صغتها من رفرفات الغصن للأنسام
وأيامي وأحلامي مع الدمع
وسمعي ساهر يبكي مع الشمع
وقيثار به غنيت يوما جرح هذا الشعب
هي الجرح الذي بنجيعه المهدور قد داويت جرح القلب

* * *

حبيبي
أنا منك ذرة رمل صغيره
ولحظة حب قصيره
وماذا أنا قد أساوي
ونبضة شعرك، لحظة عمقك، منها التجلي وفيها التداوي
رحلت وكان رحيلك يوما على متن كل خيال
وكنت الذي وسع الكون لما عبرت حدود المحال
وفأسك يهوي على كل جذع بأرض الشرور استطال
ترى ما الذي قد يقول الذين تمنوا لك الموت لما أردت الحياة
وكنت النبي
وكنت الذي أطلع الشمس فوق أديم بلادي
وكنت الأبي
وكنت الذي غرس الحب في كل نادي
فمن كفروك
ومن أنكروك

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تهرّأ بنيان أفكارهم. . . على جدران من الملح زيفا بناها الدجل
وأنت تشيد مكان الجذوع التي نتنت سواري الأمل

❊ ❊ ❊

ليس تكفيك إذا قلنا القصائد
أو تكفي كلمات في حياة من جهاد لمجاهد
صنع التاريخ شعرا
أرسل الشعر من العمق إلى العمق تحيل الحسّ جمرا
ويحيل الماء خمرا
ويحيل الترب تبرا
يوم أعطى عمره للناس عمرا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

❊ ❊ ❊

حبيبي
ألا عودة للخيول الأصيلة
مدائننا حاصرتها الذئاب الضليلة
يداس هنا الحرف باسم العموديّ والحر أو غير هذا وذاك
فأين يداك
ترد هجوم الخفافيش عنا تعيد إلينا الحروف الجميلة
وتجعلنا نتفيأ في الشعر أبهى الغصون الظليلة
أراك تعود
وأدرك أنك عدت لِكَيْما تحقق أحلى الوعود

قراءة جديدة في ديوان الشابي

شعر: محمد عمار شعابنية

أنت في القبر واقف لا تنام ... ولذكراك تنحني الأيام

وبعينيك تستقر شموس ... ما طوى نورها السنيّ ظلام

يا أبا القاسم الذي كنت تشدو ... بحماس فتخرس الأقلام

لأغانيك نفحة العطر إذا ما ... تتلاقى الورود والأنسام

لم تغِبْ أنت... إنما غاب عهد ... أثقلته الدموع والآلام....

فيه قد كنت صارخا وعظيما ... عندما قلّ في بلادي العظام

غاب عهد وحل عهد جديد ... كثر البغي فيه والإجرام

وهوى العالم الفسيح صريعا ... وذليلا تدوسه الأقدام

واختفت قيمة الحياة... وصار المـ ... ـرء في عِرْضِه النبيل يسام

موضة العصر: صنع أسلحة الحرب ... وقتل النفوس والانتقام

موضة العصر أحرقت هيروشيما ... وفلسطين مات فيها الحمام

كلما غاص في ثراها شهيد ... وارتمت فوق تربها الأعلام

تغسل القدس وجهها بدماها ... وعلى النار ترقد الفيتنام

وإذا غازلت شعوب صباحا ... أفرغت من دمائها الأجسام

والأساطيل تملأ البحر رعبا ... ونذير الخراب فيها ينام

ونداء السلام وَهْمٌ وكم في ... أرضنا اليوم تكثر الأوهام

يحلم الجائعون بالخبز لكن ... «بنغلاداش» مالها أحلام

من دماء الضعيف يصنع نعش ... لليتامى... وللقوي طعام

وإذا أخطأ المسيِّد يعفى ... ويجازى بذنبه الخدّام

وانتهت حكمة العقول لأن الـ ... ـعصر باتت تقوده الأرقام

ولصوت الأبواق في كل سوق ... نغمة يستسيغها الأقزام

آه يا شاعر الخلود فهذا ... عصرنا كاد يحتويه الظلام

غير أن الأحرار أقوى إذا ما ... وحدوا لهجة النضال وقاموا

وإذا شاءت الشعوب حياة ... تستجيب الأقدار والأيّام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبو القاسم الشابي

شعر: محمد العوني

«سيدي لو هاجموا جسدي
هذا، بكل مدافعهم ودباباتهم
لما نالوا منه شيئا
ولكنك دمرتني إذ هاجمتني
لا بسيف ولا بيديك...
ولكن «بجنية الكلمات».

×××

وأذكر حين تنصلت
من سطوة القيد...
أوغلت في دورة الأرض
أججت حرقة
زهر القرنفل...
رممت بالحلم
وجه المراكب...
ملتحفا بالخصوبة كنت...
وفتحت قلبي
على جبهة للزنابق...
كان الصباح يغازلها
بالندى
وكان الصدى
اندلاع العنادل
فوق ذؤابات هذي الغصون.
وأنت الذي جذره
في قرارة ضلعي
وأطرافه
في السماء
شموس النوازع
والرغبات...
تداهمني عند بدء الصباحات
بالكبرياء...
تجوس فجاجي...
وتسكرني من قطوف النيازك
بالضوء والصبوات
ترى من تكون...؟
ترى... من... تكون...؟
تسلقته... شامخا... شامخا.
مثل صفصافة كان...
في رأسه
قبرات ومملكة
يستكين لها الفقراء...
تسلقته
كالسنديان
وعبر المدى
كاشفتني أسارير وجهه
بالسر...
كان عظيما... بسيطا...
على خده
شامة...
بين عينيه صحو...
وفوق ذراعين وشم
لرمانة
من أقاصي الجليل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وخيل تغير
وخيل بها تصطدم
تأملني... تأملته...
مشى خطوتين
ولما التقينا التحمنا
وذبنا معا
× فيا ها الجموح المكابر قف !!
حبيبتك العربية تلهب
قامتها المرمرية بالأغنيات
وتدعوك: قف !!
لك الملكوت
وهذا الجلال الجليل
وللملاء الشمس
فاكهة ودليل
فيا ها الجموح المكابر قف !!
تمركز فوق جبيني...
تفرس في
مليا... مليا...
× - أتبكي...؟؟ !
أنا كيف أبكي
ولي وطن صدّ كل الغزاة...؟
أنا لست أبكي
ولكنها العين
تستقبل النيل...
عيناه مكسورتان...
ويقطر وجهه
بالقهر والخجل المر
يعلوه حزن الصبايا اللواتي
تبركن فيه
غداة التقى
رمل سيناء بالغزو.
مال على البحر...
شقّ بياض العباب
وفوق نديف السحاب استراح
على نجمة
ثم غمغم أغنية
لست أفهم منها سوى
«إذا الشعب يوما أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر
ومن لا يحب صعود الجبال
يعش أبد الدهر بين الحفر»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصيدة لن يقرأها الشابي

شعر: آدم فتحي

أول العمر دمع وماء
أو الغيم أغنية تنتهي وشوارع
ملفوفة بالعراء
أول الموت ساقية بيننا قد تجف
وجسر من الوقت قد يحتويه
السكون.

أول الوقت مرّت قبائل
مزهوة بالرّحيل.
أيّها الشاعر المتلبّس بالمستحيل
منذ خمسين زنبقة في الرّخام
كم قميصا كسيتَ؟
وكم سفرا حملوك؟
وكم ضعت من شجر الكستناء؟
- لم أحبّ السّفرْ
(قال لي... كنتُ بوّابَهُ...)
- لم أحِبّ الشجرْ
(قال لِي... كنتُ حطّابَهُ...)

- لم أعش واحدا ذات يوم
فكلّ يعاني ازدواجه

ولم أجتنب أن أحلّق أو أطأ الوحل
إن أعوزتني إلى الوحل حاجة
ونلت نصيبي من الضّعف
والصالحي
والمطر
ثم ها أنني شاعر الشعراء
(وأشار إلى حيث لا فرق بين
الحصى والنجوم،
ولا فرق بين الهوى والهواء)
- هل ترى دبشليم الملك؟
مات من أجل أن يمتلك
هل ترى بيدبا؟
وهو يغرق في كهف حكمته متعبا
هل ترى شهرزاد؟
إننا خالدون
لأن سوانا جماد
(ثم سلّمني للظلال وراح...)
أكنت أنتظرتك ألف سنة
لأرى أنني أملك السوسنة؟
وطني المنطلق
إنه الملتقى
إنه المفترق
أيها الشاعر المتلبّس بالحلم
المختنق
هل نكون عبيدًا
وسيّدنا الاحتفال؟
صَنَم يطأ الشارع المستريح إليك
صنم لك يوما
وخمسين عاما عليك
والذين مضوا ذات يوم ولم يتركوا
أثرا.
غير أشواقهم للثريا
وإغراقهم في الثرى؟؟؟
الذين نسوا شايهم في المواقد
كي يوقدوا الشمعة الهامدة
ثم ذابوا على غرّة
دون أن يشربوا قطرة واحدة؟؟
والذين رُموا في غياهب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من أجل ذنب وحيد
رفضهم لسياط القذى
وسوار الحديد؟
أين هم؟
لك هذي القرى ولهم فجوة
الاحتمال؟؟
- بل لهم أبدا ذاكره
(قال لي وهو يركب ريح الشمال)
سطوة الوقت هم حين تمضي
الفصول
وتغريبة اللحظة العابرة
يولدون مع الأمنيات
يكبرون مع السنبلة
وإذا جاء يوم الحساب
يشهدون على القتلة
إنهم لم يموتوا ولم تخل منهم
بيوت
هم لقاح الكفاح
ونبض الشعوب التي لا تموت
(وأشار إلى حيث لا فرق بين
الحصى والنجوم
ولا فرق بين الهوى والهواء)
- احفظوا عهدهم
هؤلاء الشعراء
(ثمّ سلّمنا للسؤال وراح. . .)
أكنّا انتظرناك ألف سنة
لنرى أنّنا نجهل السوسنة؟؟
وتصفحت أوراق عمري ولم أبك
لكنني لم أزغرد ولم أبتسم
أيّها الشاعر المتلبّس بالحلم
كيف انتصرت علينا
وكبّلتنا بخيوط الوفاء

كيف كنت طريقا
وصرت دوام المحطة
وكنت جناحا
وأصبحت سلطة
وكنت بلادا
وها أنت ذا مومياء؟؟
- لم تكن هذه شهوتي
(قال لي. . . وهو يكسر مصيدة
العنكبوت).
- لم تكن هذه شهوتي إنما
يبعث الميتون
لتبرير حي يموت
(وأصاخ إلى موجة هادرة)
- أن نقول «حبيبي»
ونفتح ساقية في الشوارع
نفتح زنبقة في السجون
ثم نشرب فنجان قهوتنا دافئا
بين ومض الرّصاص
وومض العيون
أن نكون
ثم نرحل عبر الجمال
وعبر الجنون
هذه شهوتي
فدعوا لي وضوح خصوصيتي
حيث لم أتضح
ودعوا لسواي قزح
حيثما عبدتني قراءاتكم صرت لا
أجد فكرة تلد
(وأشار إلى حيث لا فرق بين
الحصى والنجوم.
ولا فرق بين الهوى والهواء)
- يقتل الشعراء
إذا عبدوا
(ثم ألقى قصائده للحريق وراح. . .)
أكنا انتظرناك ألف سنة
لنرى أننا. . . نقتل السوسنة؟؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اعتذار غيابي لأبي القاسم الشابي

شعر: سويلمي بوجمعة

لكلّ الموانئ
يبدأ هذا الرحيلْ
وميناؤك الشّعرُ
والشّعرُ في. . .
ضفّة المستحيل
لكلّ المصابيح التي أضاءتْ
يكون الوصولْ
ومصباحك الشمس عاليةٌ. . .
لا تـــزُولْ
لعينيك يا سيدي. . .
في تخوم الفصولْ
نجيء بأحلامنا. . . صاغرينْ
لتمنحنا قبلةً
نستردّ بها. . .
كبرياء الجبينْ
فنحنُ أضعنا الطريقَ. . .
إلى القدس
ثمّ. . . إلى كربلاءْ
أضعنا اتجاه القوافلِ
حينَ اختلفنا. . .
مع السّنبلهْ
وحين قطعنا
مع النجمة الموصلهْ
وحين تعطّل فينا سؤالٌ
يؤجّج ذاكرة البوصلهْ
كذبنا عليك طويلا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لأنّ الرّياحَ
تخاتلنا...
والوحوش التي لا نراها
تقاتلنا
والنوافذ في...
بيتنا... مقفلهْ
كذبنا عليك بصدق
لأنّا... نحبّ الكذبْ
ونكره نكره ما نشتهي... أو نحبْ

كذبنا على طفلة خرجت في الصباح
ترتّب أشياء دميتها في الحديقهْ
تراءت لها... في الفضاء البعيد...
بروقٌ... وعاصفة... مقبلهْ
فنامت...
لتوقظها قنبلهْ
ثمّ قامت...
لتنسفها... قبلةٌ... قاتلهْ
كذبنا على نخلةٍ...
في العراقِ
تجود علينا
بتمر الغضبْ
وتاهت بنا الخيل... والنّوق...
والسّفن الشاردهْ
ولم يبق يا سيدي...
عربٌ... غيرنا...
في بلاد العربْ
خدعناك حتى سمعنا
صراخ الفواصل...
والمفرداتْ
وحتّى تشقّق فينا
جدار الكلام
وحتّى... وحتّى...
وحتّى اشتعال الحصى...
وانفجار العظام
خدعناك يا سيدي...
كلّ يوم
ونحن نرتّل في سرّنا...
آيةً...

من - أغاني الحياة -

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشابي / ذاكرة النشيد

شعر : سالم المساهلي

هو المجد أن تركب الأجودا ... وأن تستقل السهى مصعدا
فلا كون دون اختراق السقوف ... وكشف المدى قبل أن يولدا
وخلق المواعيد في أمة ... تحير في خُبْرها المبتدا
كذا صاغنا السهو حينا فحينا ... وأودى بنا في أتون السدى
فلا الحب نبض ولا الشعر وقع ... ولا الخيل كرّ يصدّ العدا
تجيش بنا الأمنيات العظام ... لنسلمها غيلة للردى
ويلهبنا الصوت هبّوا، فنصبو ... لوضع السيوف بوضع الندى
كأنّا وردنا الينابيع طينا ... ولم نعتل الشهب والفرقدا
ولم نركب الشوق وعدا ورعدا ... ولم نستبق في النداء الصدى
ولا هابنا في الطلاب الطلاب ... ولا كان ديواننا المقتدى
ألا خلدي يا زهور الروابي ... ويا طائرا في السما غردا
ألا وارفعوا يا حماة القصيد ... بريد المشاعر ضد العدا
فلا كان في الأرض من خانها ... ومن لم يكن حاميا أو فدا
ولا كان غير العزيز الأبي ... إذا هم منتصرا سدّدا
أبا قاسم يا بريد المعاني ... لحرف تملكتَه سيدا
ألا فاشهد الآن أنا هنا ... وأنك أوردتَنا الموردا
هنا خيمة العاشقين اعتلت ... ربى الأغنيات وتل الندى
هنا يشرق الشاعر المستحب ... عليّا على هامة المنتدى
يقول أنا الصوت منذ القصيد ... أدمدم في حضرتي مرعدا
ولست الذي أربكته «الأغاني» ... ولا تابعا للذي قد حدا
أنا شاهد عابر للزمان ... وفوق المكان أخط المدى
سيعلم من كان أنّا السراة ... ولسنا التبيع ولسنا الصدى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشابي في ذاكرة الشعراء العرب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في ذكرى الشابي(1)

شعر: مفدي زكريا- الجزائر

حـيّـا ستبقى وإن لفتك أكـفـان وخـالـدًا رغـم ما قالوا ومـا شانوا
دنـيـاك يـا شـاعـر الآلام عـامـرة بذات نفسك، لا كُنّا. ولا كانوا. . .
لم تُلقِ شعرك في إرضـاء عاطفة ولا ضعفت، وكم في ضعفهم خانوا

* * *

ولا تملقت تستجدي أخـا كـرم وكـم تمـلـق بـالأشـعـار إخـــوان !

* * *

لهفي على الشعر أضحى عند بعضهم بـضـاعـة مـا لـهـا عـزّ ولا شـان
هـذا يـتـاجـر بـالأشـعـار محترفا وذاك غـايـتـه بـالـشـعـر نيشان
هـذي الـدعـارة فـي الآدب رائجة بـنـاتـهـا الـيـوم أشـعـار وألحـان
تـرى الميوعة والإسـفـاف يجمعها بـخـسـة الـــروح تقطيع وأوزان
فأصبح الشعر (خَنْثَى) مثل قائله لا الشعر شعر، ولا الفنّان فنّان
وكـل شعب غـدا بالشعر مرتزقا فـحـظّـه مـن حـيـاة الـعـزّ خـسـران

* * *

يا شاعر الخلد دعهم في غوايتهم وخالد الشعر ذرهـم حيثما كانوا
عُوّضت بالخلد خيرا من صداقتهم كـفـاك بـالخلد أصـحـاب وأخـدان

(1)نشر جزء منها في جريدة الأسبوع وقد اعتمدنا نص القصيد المنشور في ديوان «تحت ظلال الزيتون» ص 19- 20.

تحية إلى روح أبي القاسم الشابي

شعر: صالح جودت- مصر

لم ينفر الوحي ولم يغرب ... عن قمة الإلهام في "يعرب"
من زعم الشعر انتهى مهده؟ ... كم جاء بعد المتنبي نبي
قد رضي الله على قومنا ... وأتبع الكوكب بالكوكب
إن غاب عن مشرقنا شاعر ... تألق الشاعر في المغرب

* * *

هيهات ننسى "لأبولو" يدا ... ياما سقت من غيثها الصيب
مرّت على مطلع أيامنا ... ونحن كالحبات في الطحلب
وكان فينا وتر ساحر ... يخطر في برد الصبا الأقشب
من تونس الخضراء، من روحها ... ومن سمعها الحر الذكي الأبي
صلاته للحسن صوفية ... في هيكل الحب كنجوى نبي
لا ينكر الرحمان إحسانها ... لو تليت للناس في "يثرب"
ما علموه الشعر، لكنه ... لالاه من روحه الطيب
منغم اللفظ، جديد الرؤى ... ينساب من عذب إلى أعذب
وآية التجديد أن تلتقي ... حلاوة في إيقاعه الخلب
لا أن يخون الشعر ميزانه ... ويغرق المبنى في المعرب
ويفقد النظم تقاليده ... ويصبح الفن بلا مذهب

* * *

عفوا أبا القاسم، إن لجّ بي ... حديثهم في ذكرك الطيب
وأنت من بالبحر في عمقه ... وبالقوافي في صعبة المطلب
غنى الجبال الخضر ألحانه ... وأطلق النايات في السبسب
وضاء بالحب ستار الدجى ... وأطلع الزنبق في المجدب
وزف بنت النور أنشودة ... نشوانة الأنغام في الموكب
أطلعها تختال في ملكها ... كأنها بلقيس في "مأرب"

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والتفت الشرق له هاتفا: … يا عجبا من سحر هذا الصبي
في ميعة العمر وإشراقه … يرنو إلى عرش "أبي الطيب"
قد عاش ما عاش على رقة … لم يحف بالجاه ولا المنصب
بل عاش للشعر وأقداسه … ينزفه من قلبه المتعب
ويوغر الشعب على طغمة … تحتمل الأوزار كالمشجب
ويبعث الصيحة في قومه … أن ينفروا من غفلة الغيهب
إن غضب الشعب على قيده … فالله سيف النصر للمغضب

* * *

عاش، وما عاش، فما عمره … إلا كعمر الورد لم يسهب
ومات، لا بل عاش في موته … كما يعيش الدين بعد النبي

(1968)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شاعر من عبقر

«في مهرجان شاعر الخلود أبي القاسم الشابي»

شعر: حسن عبد الله القرشي- السعودية

غـــرّد مـــلء صبـاه الأغـيـد ساطع الـغـرة مـمـراح اليد
شـاعـر يـفـتـن فـي أنـغـامـه ويصوغ الـدرّ كالزهر الندي
عـبـقـري مــارد فـي فنّـه لمعة الشهب وفوح المعبد
إن تغنى سكب النفس هوى وانتشى الكون بلحن المنشد
هـو مـن لـوعـتـه فـي صبب وهـو مـن مهجته في صعد
كـلـف بـالـمـجـد مـن أطـرافـه يـرتـدي من حـمـده ما يرتدي
الإبـــاء الـمـر مـن حصته يـا لَـلـزّاد مـن أبـى أصـيـد
لا يـرى في اللهو ما يسعده بـعـد الـلـهـو فـمـا مـن مسعد
يـومـه ولّـى فـمـا يـنـجـده غـيـر شـعـر عـبـقـري منجد
يـا لـه مـن صـادح مكتئب سـادر الأحـلام ضـاوي المشهد

***

ومـشـى الـحـب إلـى خافقه مـوغـلا فـي مـوطـن لـم يقصد
فـاحـتـواه وارتـضـاه سكنا ورمـــاه بـالـمـقـيـم الـمـقـعـد
والـهـوى الأول سـهـد وضنى وعـــذاب مـن يـلـقـه يسهد
وبـــراه الـشـوق والـشـوق لظى جـمـرهـا إن تـنـطـفـئ يتقد
كـلـمـا حـرقـه جـرح الـهـوى وكـــواه قـال: يـا شعر اشهد؟

***

يـا سـرى الـقـول والفكر ومن قـد تغنى بـالـقـريـض الأجـود
كـم تـغـزلـت بـــآرام الحمى خلف ريم لك خافي المقصد
قـد تـوارى فـي أناشيد الهوى وتـخـفـى فـي ضـلـوع همد
كـم تغنيت فأصبيت النهى بـحـمـيـا مـن بـيـان مـفـرد
كم هـززت العرب في غفلتهم وتـــهـــزات بــحـــال الـهـجـد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ضقت ذرعا بهم إن رقدوا ... واستلانوا مغريات المرقد
تركوا علياءهم في غربة ... وهي ملك للدؤوب المصعد

* * *

رمت أن يحيوا حياة حرة ... وهم أهل الهدى والرشد
ربّ قول كل فصل محكم ... يجتدي سامعه ما يجتدي
جمع العرب فكانوا قوة ... هي شوك في فم المزدرد
أجج الثورة في أنفسهم ... واللظى إن تلتهب لا تخمد
ورعىَ الأوطان في نكبتها ... ووقاها شرّ يوم أسود
وهداها سبلها قاصدة ... فتشمت في الطريق الأقصد
صاغه راق إلى أسمى الذرى ... هادر مثل العباب المزبد
قد تمنى أن يرى أوطاننا ... قد خلت من كل باغ معتد
وتمنى... والأماني ضلّة ... من يخض غمرتها لا يهتد
ثم أغفى في غيابات الردى ... وتناءى عن عرين الأسد

* * *

يا أبا القاسم قم تلْفَ الحمى ... سند يتبع طل السند
ليس فيه مارق يخذله ... كيف يسخو والد بالولد؟
يا أبا القاسم يا فذّ الحجا ... من سما كالكوكب المنفرد
هذه (تونس) في فرحتها ... كللت عيدك بالزهر الندي
النجوم الزهر فيها والمنى ... رافلات في ضياء سرمدي
وحماة الضاد والشعر هنا ... قد تساقوا بالنشيد الغرد
ذكروا الشاعر ينبوع شذى ... فشدوا بالذكريات الجدد

* * *

إنما الشاعر في آفاقه ... صيحة الحق وظلّ الأبد
دوحة سامقة مورقة ... تتحلّى بالجنى والرغد
ومنار يملأ الدنيا سنا ... لؤلؤ يا من ضحاه الأسعد؟

* * *

يا مُعَنًّى بالهوى في بوحه ... عزّة العبد وذلّ السيد
جوهر من كلم أو نغم ... هو ذوب القلب قدح الموقد
في روح لشريد مصحر ... وعزاء لغريب مجهد

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

ريشة أودعها الله يدا — تجعل الفدفد غير الفدفد
روضة فينانة الحسن شدت — في رباها ساحرات الغيد
جعل الخير شعارا، والندى — خلة واستل شوك الحسد
وهفا يهدي إلى أبصارنا — ما يجليها جلاء الإثمد
ومضى يسكب في أسماعنا — دار عزت على ذي العدد
وانبرى للغاصب المستعبِد — بقريض نافذ كالزرد
أي عانٍ شفّه داء الجوى — وهو ما زال أسير الخرد
زمر الغيد تسنحن له — فاتنات بالصبا والملد
فأراق الدم قربان هوى — من فؤاد مستطار مشهد
يعشق الحسن وكم هشّ له — فانثنى ظمآن لم يبترد
كبد تصلى من الشوق لظى — تغتلي وجدا فيا للكبد
لم تزل تحيا على وعد المنى — ومناجاة حبيب مبعد
هكذا الشاكي جراحات الهوى — يبصر اليوم بأجفان الغد

* * *

وعدا الشعر به أعراسه — فاختفى الموت وراء الموعد
يا له من عمر مختصر — مرَّ كالورد قصير الأمد

* * *

يا أبا القاسم نم عن شرد — من قوافيك الجياد الشرد
واترك الخلق حيارى سحرها — يتمنون بها كالرصد
إنها من ملهم مبتكر — بعدت شأوا عن المنتقد
إنها نور ذكاء في الضحى — قد سما وهجا على ذي رمد
فتهنأ يا فتى الشعر بها — وانشرح في الخلد صدرا واسعد
يا فتى الآداب أحرزت بها — منزلا ينأى عن المجتهد
وعريقا في المعالي يفتدى — بك طماحا له من يقتدي
شعرك الوسمي سحر كله — أين منه نافثات العقد
روعة اللفظ والمعنى فما — تنتقي غير نبيل المولد
سلسل يختلب اللبّ وكم — راح يزري برفيف العسجد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم يكن يعنيك وكم من شاعر — لم يفر عرضا ولما يزهد
همّه الدينار عبدا عاش في — ظلّه يهفو له في عبد

***

يا بني أمي وفي «تونس» لي — خير أهل إن تناءى بلدي
جئت من (مكة) من (أم القرى) — من حمى الضاد وغلب الأسد
جئت من أرض الهوى أبكي الهوى — لم يغب شاعركم عن خلدي
بلدي الطيب نبراس الهدى — مهبط الوحي ومأوى (أحمد)
أتهادى الشعر سحري السنا — من شريف الذكر حر أنجد
من زها ناديه واخضرت به — بشريات جمعت من بدد
هي نجوى (العرب) في وحدتها — وسراها للطريق الجدد
يا أبا القاسم هل من نفحة — أنت مازلت هنا فخر الندى
يا أبا القاسم قم من رقدة — فأليف الوجد لما يرقد
محفل الشعر تصباك فتى — يتراءى فيه أجلى فرقد
فارفد الحفل بشعر رائع — هو للفصحى ندى واسترفد

***

مهرجان الشعر أحييت لنا — من «عكاظ» - زاهر أو «مربد»؟
ما أرى إلا البهاليل الألى — ركزوا للمجد أقوى العمد
جددوا للشعر عهدا يانعا — هو كالروح سرى في الجسد
يا بني أمي شفيتم أكبدا — كلها لِلّشّعر عطشان صدى
كرموا في كل حين نابغا — من عماليق القريض الأيد
دِنْتُم الفصحى تراثا خالدا — وتسلفتم أسنى يد
فرعى الله ربوعا أخصبت — بالعلى، واستشرقت للسؤدد
يا أبا القاسم أيقظت الحمى — فابتهج بالمجد، واهنأ، في غد

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

اللحن الخالد

«إلى روح الشاعر الخالد المرحوم أبي القاسم الشابي»

شعر: عبد الله الجبوري- العراق

مزهر الفن الخلوب   أنت سرّ في الغيوب
أنت نور كان يهمي   في دياجير الدروب
فكرك الجبار وحي   جاء بالسحر العجيب
أنت فذّ عبقري...   سال كاللحن الطروب
عشت في الدنيا شقيا   في دجى العمر الجديب
عشت في دنياك حرا   منشدا... كالعندليب
منشدا آلام شعب   عاش في سجن رهيب
أنت صيداح يغني   فوق أغصان القلوب
تنشر الأنغام نشرا   لتكن سلوى كئيب
أنت ناي لحزين   يتسلى في الكروب
يمطر السلوان منه   كسنا البدر الصبيب
تنفث السحر كَبُرْءٍ   لجراحات.. الندوب
«وأغاني حياة»[1]   مشعل الفكر الغضوب
وبها لحن شجي   قد سرى بين الشعوب
كحمّيا قد تمشت   في عروق... بدبيب
نجمك الوضاح طفل   لفّه ليل الغروب
فكأن الدهر يخشى   منك - تحيا - كالرقيب
فذوى غصنك غضا   وتثنى... بالخطوب
نغمة الأحزان أنت   في سماوات الشحوب
روضة الفن دهتها   سافيات... كالنكوب
صوّحت فيها زهور   وغدت نهب هبوب
إنما شعرك وقد   يتلظى... كالحروب

(1966)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصباح الجديد

إلى روح أبي القاسم الشابي

شعر: جواد صيداوي

يا ناسج الضياء
للتائه العاري
يا كاشف العماء
عن مقلة الساري
يا قارع الأجراس
للنائم المرهق
وزارع الحماس
في صدره المغلق
يا حادي الركب
في وحشة الليال
قد أصبح الخيال
حجارة الدرب
يا معزف الخضراء
قد أزهر اللحن
وبرعم الغصن
وأينع الرجاء
في المُقل الضماء
في مُقل ما عرفت لون السماء
وفاض في حقولنا النماء
وابتسم الصباح
صباحنا الجديد
فانهارت السدود
واستسلم القضاء

وانبثقت إرادة الحياة
من صدورنا يا زارع الحياة
في مهج أتلفها الخضوع
في مهج سلاحها الدموع
وامتلأت أفاقنا شموس
وأترعت بخمرنا الكؤوس
وزال عن سمائنا العبوس
يا معزف الخضراء
قد أزهر اللحن
يعانق النجوم
يعانق الخلود
وارتمت القيود
على كاهل الشعب
وامتزجت الزنود
تبني الغد الرّحب
موصلة القلوب
في هيكل الحب
يا شاعر الحب
يا معزف الألم
قم جدّد النغم
فالشعب قد أفاق
من رقدة العدم
لن تُسحق الكأس

والخمر لن يراق
فالشعب قد أفاق
وعانق الضياء
ولحنك الساحر
ترنيمة الثائر
يمزق الظلماء
ويرشد الحائر
للقمة الشماء
يا معزف السماء
في خافق الأصداء
أصارع الأنواء
وأسكب الضياء
في مقلة التائه
يا شاعر الخضراء
ما كان أغنانا
عن هذه البلواء
نشقى بدنيانا
لنسعد الأحياء
ونحرق الأحشاء
في ميعة العمر
أمنية الفكر

(1941)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكلّ عظيم في الممات حياته

شعر: محمد الأخضر السائحي- الجزائر

هـو الحـي لا تبكوه إذ ضمّه القبر   فليس بميت مـن يعيش لـه الذكر
ولـكـنـما فـابـكـوا إذا مـا بكيتم   أمـانـي للفصحى يحطّمها الدهر
لها الله مـن ثكلى تـطـاول حزنها   فـأرقـهـا بَـيـنٌ وعَـذّبُـهـا هجر

* * *

لـقـد مـات مـن أحـيـا بـشـعـره أمّـة   فذوبي أسـى للهول يا كبدي الحرّا
لتبكيك آداب حَـمِـيـت ذمـارهـا   وجـددت باليها وكنت لها النصرا
وتـنـدبـك الـعـلـيـاء والـشـرق كله   وهل في البكا جدوى لمن سكن القبرا
ولو أنصف الفصحى بَنُوها يا ابنها   أقـامـوا لكم فـي كـل ثانية ذكـرى
ليبقى اسمك الطغرى لِعزّ وسـؤدد   وتبقى لهذا الـنـشء موعظة كبرى
فقم إنـه لـم يبق فـي الـكـون راقـد   ونـادي إلـى العلياء يـا أمـة الخضرا

* * *

يـعـزّ عـلـى الخـضـراء أن وحيدها   بموحـشـة نـاء عـلـيـهـا فـريـد
وأن صـفـات الحـسـن فيه تغيرت   وذاك إلـيـهـا واحـسـرتـاهـا يـبيد
وإنـــه إن نـادتـه لا يـسمع الـنـدا   ويـا طـالمـا قـد كـان حـيـث تريد
عـزيـز عليها يـا أبـا الـقـاسـم ابنها   وحـقّـكـم إن طـال منكم هُجود
فـذا الـروض زاهٍ كالعروس مُجمّل   وهــذا الصبا يـسـري فـأيـن النشيد

* * *

لقد كنت تـدري أن في موتك البقا   ولَـكَـمْ عظيم فـي المـمـات حياته
وذو العقل من لم يرض بالعيش خاملا   ومــن يطلب العليا وفـيـهـا مماته
فكنت الـذي فـاق الـكـواكـب رفعة   وإن كـان مـن تحت الـتـراب رفاته
وكنت الذي يبقى اسمه – الدهر- خالدا   ولـم تُنس مـن بـين الـورى حسناته
فـنَـم هانئا فـي القبر إنـك خالد   وكـلّ عظيم فـي المـمـات حياته

(1936)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذكرى العبقري

شعر: محمد الرخيص الطرابلسي- ليبيا

يا شاعرا خلب العقول ... وهزّ أوتار الضمير
هذي المآتم لم تقم ... إلا إلى الرجل الكبير
لك في كتاب الدهر ذكـ ... ـر خالد مرَّ العصور
صحف نواصع رصّعت ... بالدرّ تزري بالبدور
تاج الخلود لبسته ... أنت القمين به الجدير
العبقرية في الورى ... لا تظهرنَّ على الحقير
هي منحة قدسية ... تهدى من الله الخبير
والشعر معيار الشعـ ... ـوب وفي منائره تسير
يا بلبلا غنّى وولّى ... عابرا بحر الأثير
فرحت رياض الخلد لمـ ... ـا أن غدوت بها تطير
لم ذا التسرع في الإيـ ... ـاب؟ سئمت دنيانا الغرور؟
ما ضرَّ لو أرويتنا ... قبل الذهاب، من الخمور
هذي الرياض على الـ ... ـنضارة موحشات كالقبور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا الروض يضحك لا الورود ... ولا المياه لها خرير
حلّق على هذي الخلائق ... وأنشدن شعر الدهور
الحبُّ أنت مثاله ... ومثاله الأسمى المنير
لهفي على الخضراء إذ ... فقدت منادمها الغيور
فتجملي بالصبر يا ... من قد غدت زين الثغور
كل الأنام إلى الفناء ... مآلهم هذا المصير
يا ساكن الصحراء قل ... لي: ما الذي خلف الستور
ماذا هناك وما الذي ... شاهدته قبل النشور؟
اليوم شاهدت الحياة ... فصف لنا اليوم الأخير
واشرح لنا لنا كُنه المحبّة ... في النظيم وفي النثير
واهًا على ذاك الشباب ... شبابك الغضّ النضير

أوَ صيّروا الأزهــار كفنا لا النسيج ولا الحرير
أو شيدوا بالمسك قبرك والــــورد، وبالعبير
لكنّ روحك في الجنان وبين ولــدان وحور
تختال ما بين المروج وبين عالية القصور
فاهنأ بعيشك في الخلود وجرّ أذيـال السرور
فهنـاك لا حسد ولا روع ولا هذي الشرور
وهنـاك تلقى الرَّوْح والرّيحان والعيش القرير
وهنالك الرحمات والنعمـــاء من ربّ غفور

(1934)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دراسات من تونس ومن المشرق حول الشابي

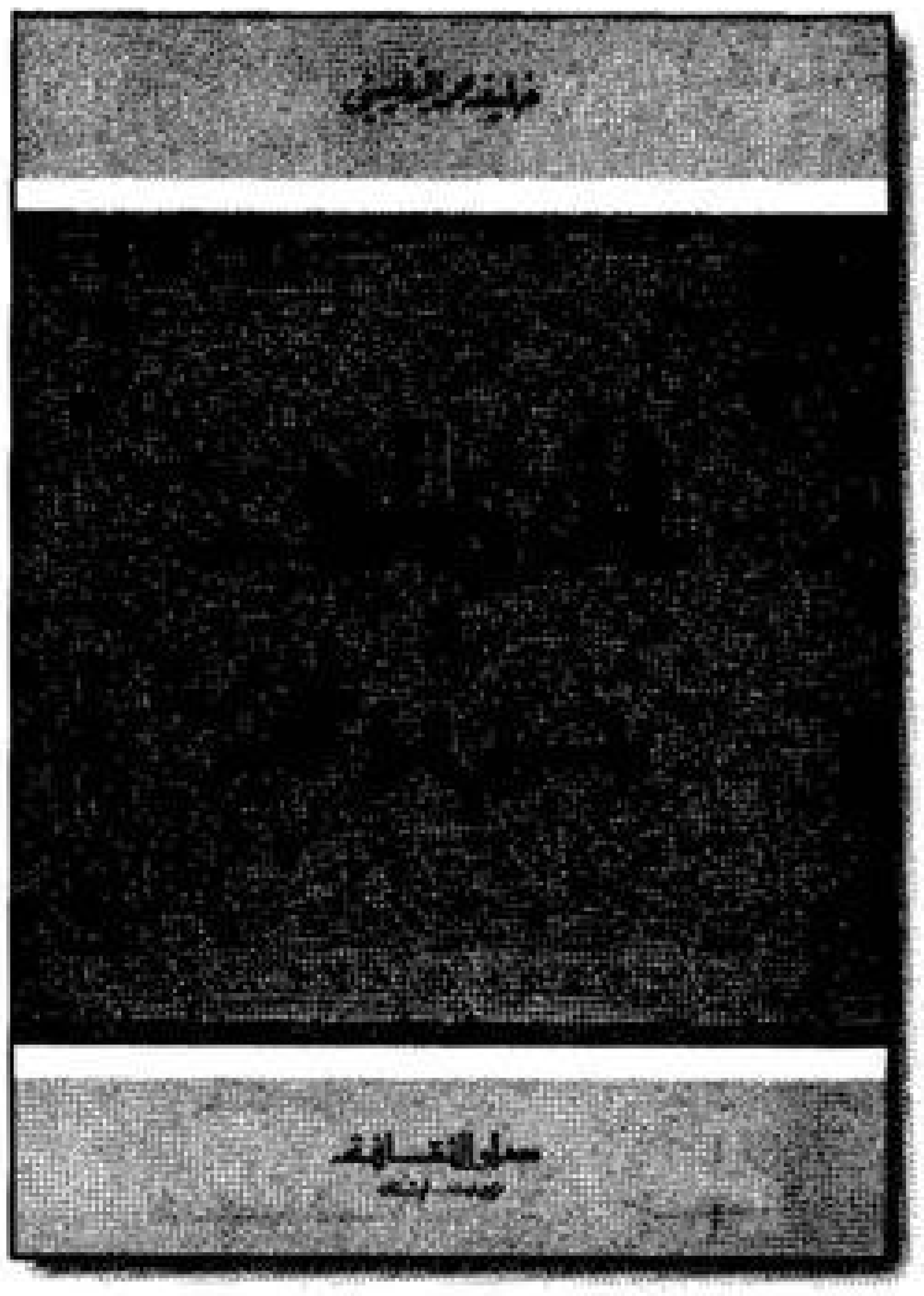

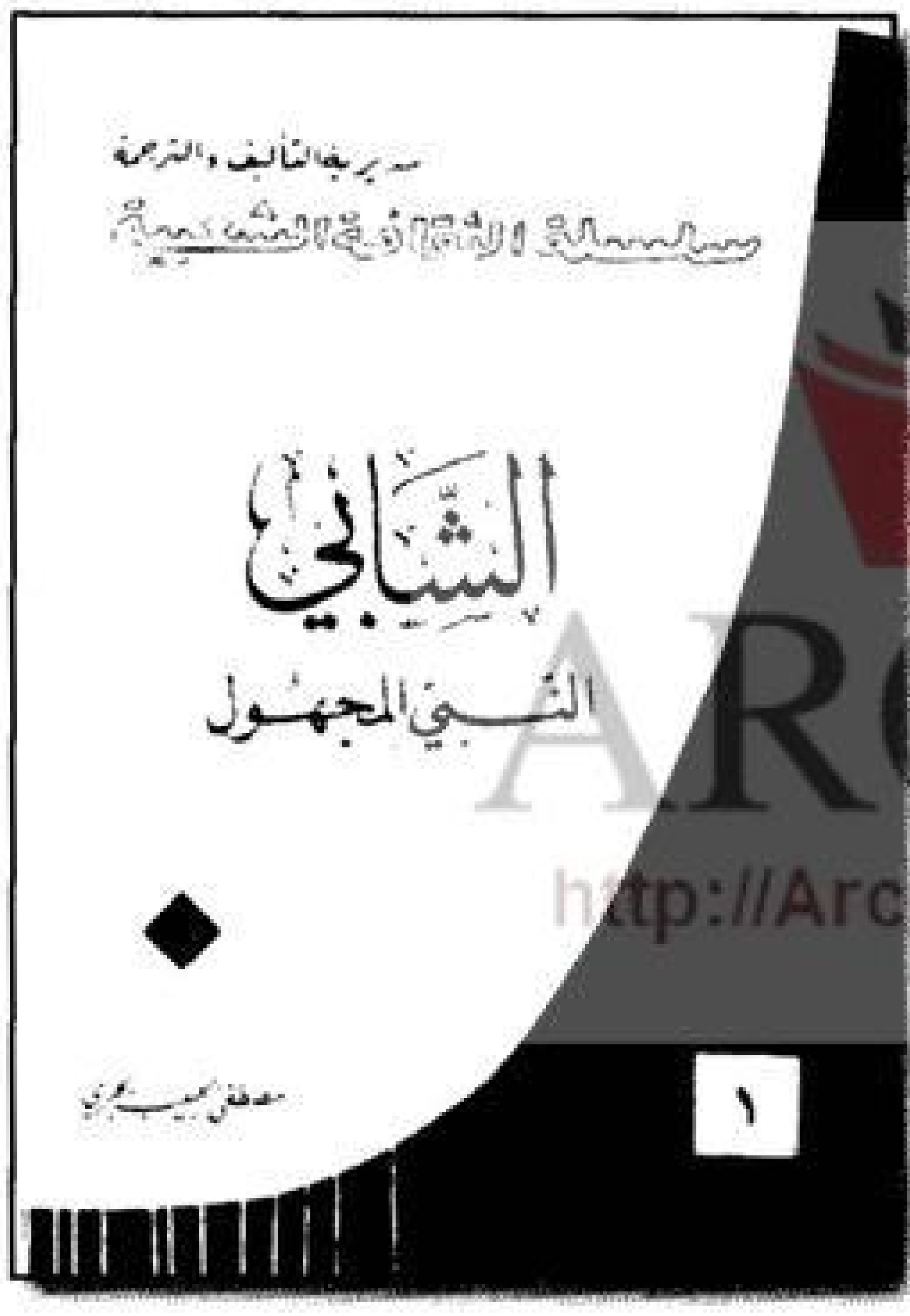

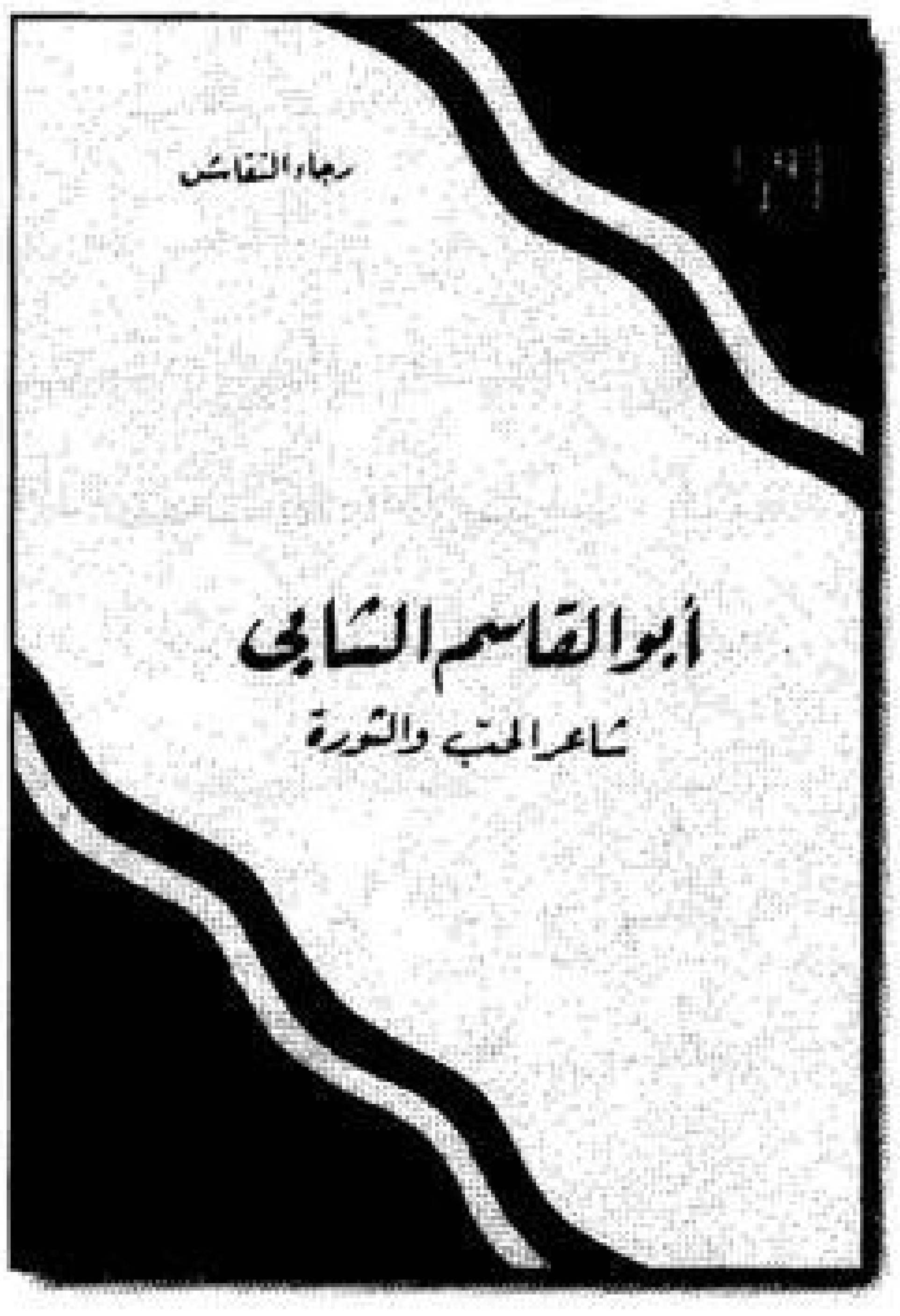

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رؤى

أدب الشابي في مهرجان روضة الشابي

بقلم: أ. محمد بورقعة

يحتفل الجريد التونسي اليوم بتدشين روضة زاهرة أخرجتها أرضه الطيبة، فعطّرت بشذاها تونس والشمال الإفريقي. وضمّخت الشرق العربي بطيبها.

ويحتفل شباب الجريد التونسي اليوم بأخيهم البار الذي لم يُشَجَع في حياته الأدبية. محاولا إنصافه بعد موته واتخاذ روضته كمركز للتاريخ والأجيال. . . والفخر وكعبة يقصدها الشباب اليوم. وشباب الغد للذكرى. . . ومواصلة مراحل العمل والجهاد لمجد الجريد الأدبي، رغم الأنانية والجحود.

أيها الشباب المحتفل بالشابي كم لك من ذكريات خالدة. . . في روضة أخيك أبي القاسم. وفي هذه القرائح المنتشرة كالنجوم اللامعة في أنحاء الجريد. . . وكلها تثبت بأنّ لها مجدا. . . وتطلب منا العمل بعزم ثابت لاستمرار اتصال مراحل حلقات تاريخنا الأدبي وتطلب منا المحافظة على أكاليل جوهرية تتوّج نخل وجبال وأنهار ربوعنا المخضرّة، وترسل أنوارا قوية تنير ماضينا الجليل.

أيها الشباب المحتفل إني لست محدِّثك عن تاريخ حياة الشابي. . . لأنها صارت مطروقة، ومعروفة بل إني محدثك في إيجاز عن أدب هذا الأخ الذي عمل لمجدنا رغم علّته ومرضه وضعفه. . . واستشهد في ساحة الجهاد تاركا لنا ميراثا. . . وفخرا. . . ونِعْم الميراث والفخر. وقد عرفتم كيف تجازون من استشهد في ساحة الجهاد. حاملا لواء الفخار. . . وفزتم برضاء الشعب. وحكم التاريخ ومَمْنُونيَّة الأدباء.

× × ×

كنت أداعب الشابي ونحن على حافة الوادي في ظل نخلة فارعة سامقة باسقة بقولي: أبا القاسم. . . يا شاعر الوادي. . . إن لك روحين أحدهما غريب متمرّد والثاني هادئ وديع.

فيبتسم ابتسامة رقيقة ويقول بصوت خافت خجول: ولعلك صادق في حكمك. . . ثم يشتغل بتخطيط الرمال الناعمة بينما نظرته شاخصة لتجاعيد أمواج الوادي الواهنة.

وذهب الشابي رحمه الله. . . وتصدى الأدباء لدراسة أدبه وفنّه في حفلات الذكرى. وفي الجرائد والمجلات. ولكنهم لم يكتشفوا روح الشابي الغريب المتمرد ولم يكتشفوا روح الشابي الهادئ الوديع. ولروحه الغريب المتمرد أدب ممتاز. . . ولروحه الهادي الوديع أدب ممتاز.

فكان أدب صاحبنا على نوعين متباينين كل التباين. . . يجيد في كل نوع منهما إجادة غريبة، ويتلاقى النوعان في الخيال الشعري، وفي الذوق الشعري، وفي الموسيقى الشعرية.

وكان من ترديد روحه الغريب المتمرد: هذه القصائد ذات المواضيع القديمة من حماس، وفخر ورثاء وحكمة. وقد خصّ شعور هذا الروح المتمرد الغريب بالنسج الكلاسيكي القديم فاستفرغ قواميس الأدب العربي باستعاراتها وكناياتها، ومجازاتها المتعارفة المحفوظة. فطول النجاد عنده كما عند غيره كناية على امتداد القامة وليلى عَلَمُ الغرام. . . والغضنفر رمز للشجاع. وأكسبت هذه الاستعارات والكنايات والمجازات المتعارفة شعر هذا الروح الغريب المتمرد هيبة وعظمة شبيهة بهيبة وعظمة شعراء المعلقات. . . وبهيبة وعظمة الشعراء المخضرمين.

وقد حافظ هذا الروح في ترديده على كل شيء للمتقدمين لغة وموضوعا والتزام القافية في جميع القصيد مهما طال دون أن تظهر على قوله كلفة أو تعسف ما، بل كله جزالة.

وإليكم نماذج صغيرة من شعور وشعر هذا الروح الغريب من قصيدة الأشواق التائهة:

يا صميم الحـــباة إني وحيد مدلج تـــائه فأين شروقك
يا صميم الـــحياة إني فؤاد ضائع ظامئ فـــأين رحيقك
يا صميم الحياة قد وجم الناي وغام الفضـــا فأين بروقك
يا صميم الحيـــاة أين أغانيك فتحت النجوم يصغي مشوقك

ومن قصيد الأمل والقنوط:

ضعف العـــزيمة لحد في سكينته تقضي الحياة بناه اليأس والوجل
وفي العزيمة قـــوات مـــسخرة يخر دون مداها الـــشامخ الجبل
والناس شخصان ذا يسعى به قدم من القنوط وذا يســعى به الأمل
هذا إلى الموت والأجداث ساخرة وذا إلى المجـــد والآمال تتصل
المجد صـــنفان: صنف في تمايله لحـــن الخلود وصنف فوقه الخبل
ما المجد إلا ابتسامات يفيض بها فم الزمان إذا ما انـسدت الحيل

. . . إلى آخره.

ومن قصيد «الصوت الكئيب»:

لست أبكي لعسف ليل طويل أو لربع غدا العفاء مراحه
إنما عبرتي لخطب ثقيل قد عرانا ولم نجد من أزاحه

. . . إلى آخره.

ومن قصيد «الفتنة الساحرة»:

قلبي تردّى من على صهوات خيل الهوى فغدا أسير فتاة
معطار باسقة الفروع عليلـــة الأجفان ساحرة بعين مهاة
ترنو فتغزو كل قلب ثابت بشفار أشفار وحَدٍّ قناة
ماء الحياة بخدها متموج كتموج الأنوار بالمشكاة
مسكية الأنفاس وهنًا بضـة الأطـــراف آنسة بقلب صفاة
تعنو لها أسد العرين ذليلة وتخر خشية طعنة اللحظات

. . . إلى آخره.

ونلمس روح الشابي الهادي الوديع في المواضيع الأدبية ذات الصبغة الأخلاقية والاجتماعية. فهو في هذه المواضيع لا يتقيد بالقيود القديمة واسع الحرية في اختيار الألفاظ وتوسيع القاموس الأدبي بمئات من المعاني المبتكرة السامية يفرغها أحيانا على الألفاظ الخاملة فإذا هي أصرح في الدلالة من الحقائق وأروع من كنايات واستعارات ومجازات المتقدمين لما فيها من حلاوة التعبير ودقة الإشارة. فالصخر والزنبقة والحمية والجحيم وكل الكائنات في هذا القسم من بيان روحه الهادي الوديع انقلبت إلى معان نفسية تعبر لنا عن الألم والتشاؤم والشكوى واليأس والحنين.

ويتصل هذا النوع من أدبه من الناحية النفسية بتأثيرات هذا الروح الهادي الوديع، وبتطير هذا الروح الهادي الوديع وببغضه لحياة الألم والجحود. كما يتصل هذا القسم من أدبه من الناحية الفنية بمذهب الحرية والتجديد.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإليكم نماذج صغيرة من شعور وشعر هذا الروح الهادي الوديع أيضا.

من قصيد «شكوى اليتيم»:

على ساحل البحر أين يضجّ   صراخ الصباح ونوح المسا
نهدت من مهــــجة أترعت   بدمع الشقاء وشوك الأسا
فضــــاع التنهد في الضجة   بمــا في ثنـاياه من لوعة
فــسرت وناديت يا أم هيا   إليّ فقد سـئمتني الحياة

... إلى آخره.

ومن قصيدة «مأتم القلب»:

ليـــت شعري   أي طيـــــــر
يسمع الأحزان تبكي   بين أحشائي الكئيب
ثم لا يتلو على الفـجـر أغارـيد النحيب
بخشوع واكتئاب لست أدري
أخرس الغريد عني   أترى مات الشعور؟
في جميع الكون حتى   في حشاشات الطيور
أم بكى خلف الحجاب؟
في الدياجي كم أناجي
فمسمع القبر بغصات   نحيبي، وشجوني
ثم أصغي علنـــي أسمـع ترديد أنيني
فأرى صوتي فريد
فأنـــادي   يــا فـؤادي
مات من تهوى وهذا اللحد قد ضم الحبيب
فابك يا قلب بما فيك من الحب الكئيب
ابك يا قلب وحيد
مـات حبي   مات قلبـي
فاذرفي يا مقلة الليـ   ـل الدراري عبرات
رقّ قلبي فهو قد   ودّع أوجـاع الحيـاة
بعد أن ذاق اللهيب
وانـدبيـه   واغسليــه
بدموع الفجر من   أكواب زهر الزنبق
وارقبيه بجـلال   في ضفاف الشفق
ليرى روح الحبيب

... إلى آخره.

ولنا أن نتساءل الآن عن الأسباب التي أوجدت في أدب الشابي، روحا غريبا متمردا وروحا هادءا وديعا.

وتتبين هذه الأسباب الفعالة لكل مطلع على مراحل الأدب التونسي، وعلى تاريخ عصر إنتاج الشابي، فهو عصر تتمثّل وتطغى فيه معركة الأدب القديم والجديد في مصر وتونس، ووجود قسم من أدباء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشباب هنا وهناك يدعون إلى الطفرة والانقلاب. . . وقسم آخر يدعو للمحافظة وعدم التجديد تقليدا. . . وكانت معارك حاول فيها كل فريق الانتصار. ووقف الشابي كما وقف غيره من شعراء الشباب في تونس وفي الجزائر وفي المغرب وفي مصر وفي الشرق العربي في مفترق الطرق. يعملون في حقل الأدب القديم والجديد في وقت واحد. وآثارهم باقية وملموسة في أدبنا، وفي أدب البلاد العربية. كان لنا أدباء شباب أيضا في عصر الشابي يعملون مثله في حقل الأدب القديم والجديد.

وكانت خصومة أدباء القديم وأدباء الجديد سببا في وجود روح الشابي الغريب المتمرد، وفي وجود روح الشابي الهادئ الوديع، وسببا في وجود أدبين متباينين يتصل أحدهما بمواضيع واستعارات وكنايات ومجازات القدماء ويتصل الثاني بمواضيع المجددين.

وقد نجح الشابي ونجح روحه الهادئ الوديع، وكتب لشعره ولفنه الخلود. . . لأنه لم يقتف كغيره آثار خطوات الأوروبيين ولم يفقد روح العربية ونسجها الجزل المنسجم ولم يفقد الترنيمة، والموسيقى الشعرية، بينما قد انحط غيره حتى عن موسيقى السجع إلى الإرسال المطلق، ولا ترنيمة في الإرسال المطلق ولا نظم تحت تأثير الدعوة إلى التجديد والحرية. وامتلك روح الشابي ناصية الخيال والمواضيع المناسبة لروح العصر دون أن تملك عليه مطالعاته لما تُرْجِم من الكتب الأجنبية ذوقه الغنائي وشخصيته العربية وتراكيب لغته العربية.

أيها الشباب المحتفل هذه كلمة صغيرة عن أدب وفن فقيدنا الحي بذكراه في مخيلة كل واحد منا، ولعلكم تعملون مثله لمجد وفائدة هذا البلد المحبوب.

وقبل الختام إني أبارك لكم هذا المجهود، مبتهلا للمولى سبحانه طالبا منه رحمة صاحب الروضة، وفخر شعب وقبلة أمة وقدوة شباب. والسلام عليكم ورحمة الله.[1](1)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(1) [1] مجلة الثريا (تونس)، س 3، ع 5، (مايو 1946).

ما أنتجه الجريد من أعلام

بقلم الأستاذ: إبراهيم بورقعة

تحت هاته السماء الصافية وفوق هذا الأديم الطاهر وفي هاته الزاوية الضيّقة من الشمال الإفريقي التي لا تتجاوز الأربعين ميلا طولا والعشرين ميلا عرضا تجد في كل عصر من عصور التاريخ نوابغ من الرجال الأفذاذ في العلم والأدب وفي داخل هاته التربة الزكية رفاة جدود أماجد خلدوا للجريد مجدا عظيما سيدوم متى حافظ الأبناء على تجديده ونسجوا على منواله فالمنبت خصب والجوّ ملهم والطبيعة فاتنة وهذا المترع يجري منذ آلاف السنين فهو يحدثكم بصدق ويروي لكم عن معاينته كم جلس عن حافته من شاعر عبقري ينظم قصيدة ويستوحي معانيه من صفحة مياهه الزرقاء الرقراقة.

والمشرع يحدثكم عما رأى وهو يشق قصبة ملوك بني يملول الصناديد وما كان يوجد هناك من ملك كبير وسياسة وتدبير.

وكأني بهاته البطاح على اتساعها مجالا لجندهم العظيم وجيشهم الكبير ومعسكرا لخيولهم المطهمة وكأني بوادي المشرع الخافت الصوت المنساب في صمت وسكون والذي لا تسمع من خريره إلا أنينا على الماضي الجميل مكان الجلبة لتلك الخيول وتلك الجيوش تسابقً على حافته للارتواء من مائة العذب.

وكأني بأبطال قبيلة أولاد أبي الليل التي كانت من أكبر قبائل البدو بهاته الجهة في هذا المكان تحيي بسيوفها ملك صهرها أحمد بن يملول الذي زوجهم أخته ليكونوا له أنصارا ومن ورائهم أولاد المهلهل من فريق العكوب مرابطة بحصون وادي بني يملول التي كانت خارج توزر فأين ذلك الوادي وأين تلك الحصون.

وأين أحمد بن يملول الداهية الأعظم الذي يقول فيه ابن خلدون وكان ساعده على الرئاسة اتساع بلده وتمدّن مصره واحتلاله منها بأم القرى وقد تولى للسلطان أبي حفص خطة ديوان البحر وزعيما لإمضاء الجرايات وأين ابنه يحيى الطموح للاستقلال المستبدّ بالأمر. وابن أخيه محمود الذي نفذ صيته وعظم استيلاؤه وعني الملوك لخطابه. وابن محمود هذا عبد الله وعمّه أبو زيد الذي قام في وجهه مدّعيا أنّه أحقّ بالأمر منه حتّى قتله. وابن أبو بكر بن يملول الذي أنقذ الموقف وأصلح الحال.

وقد جاء عام 746 ولم يبق من عائلة بن يملول إلاّ طفل صغير يدعى يحيى جاءت به القبائل من مدينة بسكرة ليتولى ملك آبائه وأجداده فأصبح يحاكي الملوك في الشارة والحجاب واتخاذ الآلة والبيت المعمور واقتعاد الأريكة وخطاب السمر بل وفسح للمجون والعكوف على الملذات مجالا يرى أنّ جماع السياسة والملك في إدارة الكأس وافتراس الألسن والمحبّة عن الناس على الندمان والجلاس وفتح مع ذلك على رعيّة وأهل إيالته باب العنف والجور. هاته كلمة المؤرخ ابن خلدون في آخر رجال بني يملول التي دامت تدير هاته الديار خمسة قرون ونصف.

فهل بقي بتوزر لهؤلاء الرجال من أثر غير التمر الذي يدعى بابن يمنون وغير القصيبة التي انقلبت تربتها إلى بساتين.

وإذا سألت العامة عن ابن يملول أجابتك بأنّه سلطان في القديم يسمّى بهذا الاسم وكان جائرا سفاكا للدماء. تزوج بابنته في آخر أيامه فصبت عليه الخالق الصواعق من قوله ودمّر ملكه تدميرا. هذا ما بقي من تاريخهم في أفواه العموم.

واسمعوا أبا محمد عبد الله بن عبد العزيز البسكري التوزري وهو واقف فوق صومعة توزر مع

الفقيه أبي الحسن التفيوشي التوزري وقد التقتا معا بوجهيهما إلى القبلة حيث بساتين توزر الغنّاء وخرائد النخيل محملة بالثمار ومثقلة اجيادها بعقود من الذهب الوهاج وهي تتمايل ذات اليمين وذات اليسير تيها وعجبا فارتجل أبو الحسن قائلا:

- كأنما ألبست من سندس حللا

فأجابه على الحين أبو محمد:

- وقلد الله في إيجادها ذهبا

وهكذا كان أدباء الجريد وعلماؤه يتسامرون فوق المنارة وعلى ضفاف الأنهار وكان الجريدي يتغنى بمناظره الخلابة التي امتاز بها دون بلاد الله.

فأين تلك المنارة التي صعد عليها العالمان وقد مضى على بنائها ما يقرب من الألف سنة وأين القباب الأربعة التي يقول فيها أبو عمر بن حجاج التي جمّلت أعلاها وكملت جلاها وكأنا عرائس جلبت على منصة وبها من غرائب البنيان وبدائع الإتقان ما يقف عليه الطرف ويقصر عنه الوصف يقول كل من رءاها ممّن جال شرقا وغربا ما رأيت مثلها ولا بُنِيَ في الأقطار كشكلها.

فانظر إليها الآن وهي خراب بلقع تندب المجد الضائع وتعظ الجيل الحاضر.

وبربّكم سلوا الآباء عن قبر أبي الحكم مروان ابن الكردبوس المؤرخ الشهير الذي سبق ابن خلدون في البحث والتحليل وعن قبر الحاج السحراوي العالم الجليل الذي حثنا العياشي عنه في رحلته وعن قبور غيرهم من العظماء ولم نجد من الآثار إلا أضرحة آل الشقراطسي وابن شباط التي خلدها العموم قصد التبرّك بها ولولا ذلك لما بقي لهؤلاء الرجال العظام من أثر.

وها نحن على بعد أمتار من قيود نوابغ أفذاذ ماتوا في أوائل هذا القرن مثل الشيخ إبراهيم بوعلاق والشيخ بن عون فهل بقيت من قبورهم باقية حتى إذا سأل عنهم أبناؤنا من الأجيال المقبلة يجدونهم أو يقولون إنّ آباءنا فرّطوا وأضاعوا مثلما فرّط آباؤنا وأضاعوا.

إنّ إحياء هاته الذكرى وتشييد هذه الروضة للشاعر العالمي أبي القاسم الشابي ستخلّد الشابي وتبقيه إلى الأجيال المقبلة لأنّ أبا القاسم سيكون له شأن وأي شأن في المستقبل وسيكون هذا المكان مزارا يقصد من كل الأقطار لا للتمسح على أعتاب هاته الروضة ولا للتمرّغ بترابها وإنما ليستمدوا منها الوحي والإلهام وليقدروا فيها معنى النبوغ والعبقرية.

وحياة أبي القاسم العلمية أيها السادة هو أنّه دخل إلى الجامع الأعظم في عام ألف وتسعمائة وواحد وعشرين وخرج منه برتبة التطويع عام ثمانية وعشرين (1928) وانخرط في سلك تلاميذ الحقوق التونسية فأخذ شهادتها الأولى في عام تسعة وعشرين والشهادة الثانية في عام ثلاثين (1930) وكان في هذا العام الأخير يدرس القوانين ويعمل بالإدارة العدلية ويؤلف الرسائل ويحبّر القصائد ويراسل مجلات الشرق وتحت هذا المجهود والعمل الشاق أصيب بمرض القلب وكان أبو القاسم يبغض الوظيف ويراه قيدا لروحه الشاعرة وقتلا لقريحته الخصبة. واشتد المرض بأبي القاسم فبقي أربع سنوات يغالب الداء ويغالبه إلى أن قضى نحبه صباح يوم الاثنين غرة رجب على الساعة الرابعة من عام 1353 للهجرة ولسان حاله ينشد قوله.

الوداع الوداع	يا جبال الهموم
يا ضباب الأسى	يا فجاج الجحيم
قد جرى زورقي	في الخضم العظيم
ونشرت القلاع	فالوداع الوداع

× هذه الدراسة لم يقع إدراجها سابقا في أي كتاب من الكتب التي تحدثت عن حياة الشابي وتجربته الشعرية أو النثرية (المسار).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المرأة في حياة الشابي أم في شعره

بقلم: جميلة الماجري

– هل ينبغي أن تكون هناك امرأة في حياة الشاعر حتى يكتب للمرأة وعن المرأة ؟!

– وهل لا بدّ أن يعيش قصّة حبّ حتى يكتب في الحبّ والغزل؟! وحتى يكون ما يكتبه ناجحا ؟!

– وإن لم تكن في حياة الشاعر امرأة ولم يعش قصّة حبٍّ ألا يمكنه أن يتمثّل الحالة ؟! وإلى أيّ حدٍّ يمكنه أن ينجح في تمثّلها ؟!

– وهل يحقّ للدّارس المتناول شعر الشاعر في الحبّ والغزل أن ينقّب في حياته عن حقيقة وجود امرأة وقصّة حبّ عاشها الشاعر حقًّا ؟!

– ألم تتجاوز المدارس النقديّة الحديثة مسألة الخلط بين الذات والذات المبدعة بعد أن عانى الكثيرون من ذلك الخلط زمنًا ؟!

– لماذا يظلّ البعض يبحث وينقّب ويحفر في حياة الشاعر الخاصّة ويحاول أن يعريّه وينحشر في تفاصيل حياته الذاتيّة على حساب الاهتمام بتجلّيات نصّه وأدواته الإبداعية ؟!

إنّه ولئن كانت هذه الأسئلة قد تمّ الحسم فيها في الدّراسات النقديّة الحديثة فإنها مازالت تشغل البعض ويهدرون في الانشغال بها أوقاتهم وكأنّما حياة المبدع الخاصّة هي مادّة بحوثهم لا عمله الإبداعيّ. هذه المسألة عاد الحديث حولها وتردّدت فيما يقدّم حول الشاعر أبي القاسم الشابي بمناسبة الاحتفال بمائويّته. وقد لاحظتُ حماس البعض فيما يشبه التلصّص على حياة الشاعر الشاب الذي قضّى حياته القصيرة مهموما بمرضه يغالب نوباته وهو يخاتلها لحظات ليتمّ قصيدة أو يقتنص صورة شعريّة وهو المنشغل بدراسته ومطالعاته ومراسلاته الأدبيّة إضافةً إلى ما كان ينوءُ به من هموم وطن مُحتلّ وشعب رازح تحت وطأة الجهل والفقر والاستعمار وما يتأجّج في نفس الشاب من نيران الثورة على واقع زادته قتامةً الشاعر التائق في فورة الحماس إلى الانطلاق نحو ثورة عوالم شعريّة جديدة مختلفة وآفاق أرحب للإبداع مفتونا بسحر اللّغة يفتّح محارها لينْتقي لمعجمه الجديد نوادر الدُّرر، كلّ هذا وعودُ الفتى لم يزل أخضر يتقصّف أمام عواصف المرض يواجه أحاسيسه العارمة العاصفة بقلب عليل، ويتصدّى لأصحاب العقول المتحجّرة وحيدًا وهم كُثْرُ يعترضون سبيل انطلاقة المهر الجامح ويمدّون أيديهم بالأقفال والمتاريس حتى لا يفتح لفتنة القول أبوابا جديدة وحتى لا يفضح عجزهم ونضوب موردهم أمام ما يتفجّر بين يديه من ينابيع متدفّقة عذبةً ساحرة.

فهذا الفتى العليل الخارج حديثا من طفولته ولم تُمهله الهموم والنّضجُ المبكّر ليعيش مراهقته هذا الفتى المتعدّد الواحد هل كان له من عمره القصير ووقته المكتظّ متّسع للهوى والنساء وهو المسكون بهوى فاتنته: القصيدة يحاولها المأخوذ بفتنة أنثى مكبّلة هي اللّغة يزاولها هذا الفتى المقيّد في سنّ مبكّرة بقيْد الزواج والأبناء وهو كبير إخوة هو عائلهم

بعد موت الأب، هل كان في وقته ووجدانه وقلبه العليل متّسع ليقيم علاقة حبّ بالمفهوم المتعارف في مجتمع منغلق وزَمَنٍ لا تكاد المرأة فيه تظهر لتُرى ولم تكن فرص التلاقي بين الرجال والنساء ميسّرةً أبدًا؟!

وإذا سلّمنا فَرَضًا بوجود امرأة في حياة الشاعر الفتى ألهمته قصيدته الشهيرة «صلوات في هيكل الحبّ» مثلما يُشيع البعض، أليس الأجدر أن نهتمّ بتجلّيات هذه الملهمة في نصوص الشاعر وإبداع الشاعر ونصّه المختلف الجديد في مواضيع الحبّ والغزل عوض الانشغال إلى حدّ الهوس بالبحث عن هويّة هذه الملهمة، فمِنْ قائل إنها حسناء إيطاليّة كان يلمحها لِمَامًا في طريقه إلى جامع الزيتونة، ومِنْ مدَّعٍ أنّه يملك وحده الحقيقة فملهمةُ الشاعر رسّامة إسبانيّة فاتنة كانت ترسم جبال «عين دراهم» وغاباتها حيث كان الشاعر يُقيم بين فترة وأخرى للاستشفاء.

وآخر ما كشف عنه أحدهم قوله إنّ الفتاة التي كلِفَ بها شاعرنا هي أخت لزوجة أحد أبناء بلدة الشابي رآها حين استضافه للغداء ببيته في إحدى مدن الشمال التونسي.

إلى غير ذلك من مظاهر التلصّص على حياة الشاعر الشابّ القصيرة والاهتمام المبالغ فيه واللاّمُجدي والتخمينات التي لا حاجة إلى توظيفها لخدمة النصّ أو الاستضاءة بها لتحليله أو الولوج إلى مغالقه.

ومقابل هذا الاهتمام بهذه المسألة الهامشيّة غير المفيدة يوجد تقصير كبير في الاهتمام بمظاهر التجديد والحداثة والاختلاف والإضافة والخروج عن المفاهيم القديمة في موضوع الغزل والنظرة إلى المرأة ومعجم الشابي اللّغوي المتفرّد فيه والمعاني المبتكرة والانتقال بالمرأة من جسد إلى رمز في شعره والارتقاء بها إلى التحليق في عوالم علويّة لَم يُسْبَق إليها. وفتح آفاق جديدة من الجمال والصور البديعة في هذا الموضوع كان فيها فرْدًا فاتحا مسالك أخرى مختلفة غير مطروقة لفنون القول ومفرداته. فليت النقّاد والدّارسين يولون موضوع المرأة في شعر الشابي وخصائص شعره العاطفي والغزلي معجمًا ومبنًى ومعنًى ما يستحقّه من الدراسة مقابل التركيز على الاهتمام بمسائل مكرّرة كالرّومنطيقيّة والوطنيّة في شعر الشابي. وليت العاكفين على البحث عن هويّة حبيبة الشاعر الافتراضيّة يعكفون على نصوص الشابي الكثيرة التي مازالت – في اعتقادي – لَمْ تُكتشف بعد نقديّا، فمازال في ديوان الشابي العديد من القصائد الرائعة البديعة التي يجوز القول إنها شبه مجهولة لدى عامّة القرّاء لأنها لم تُكرّس نقديّا ولا إعلاميّا ولا مدرسيّا فيما تدرجه الكتب المدرسيّة في برامج الدراسة للناشئة، ومجهولة في مجال الغناء إذ مازال الملحنون لم يهتدوا إليها بعد، وستظلّ مغيّبةً مجهولة طالما نحن نتوقّف عند بضعة قصائد شهيرة مكرّرة في معرفتنا بشعر الشابي الغزير وذلك نتيجة تقصير شائع في قراءة الشعر وقصور في الاجتهاد.

وخلاصة القول هو أنّ ديوان الشابي ويومياته ورسائله مازالت لم تلق بعد ما تستحقّه من الدراسة لأنّ هذا الشاعر على قصر عمره خلّف بَحْرًا واسعا وعميقا مازلنا – رغم ما يبدو من الخوض فيه – لم نحط بمكنون كنوزه.

الشابي حارس الشعر، وإله القصائد الفاتنة

بقلم: سلوى الرابحي

هل يمكن للذاكرة أن تمحُوَ نصوصا حفظناها وتأثرنا بها؟ هذه هي الذاكرة انتقائية، لكنها أخذت في غربالها أبا القاسم الشابي. . .
«عندما كنت صغيرا كنت أحبُوا الكلمات» هكذا قال منوّر صمادح. . . غير أنّي كنت أحبو كلمات «أبو القاسم الشابي» فانتعشي أيتها الذاكرة، انتعشي لأتلو على المسامع قصيدة إرادة الحياة وأنا أردّدها في القسم أو في الشاعر كجنديّ مزهوّ بنشيده الرسميّ. . .
كنت أتساءل عن هذا «النبيّ المجهول» لِمَ هو غاضب على شعبه لِمَ يرجو أن يكون حطابًا وهو الشاعر الفذّ؟
كنت أحفظ الكلمات، لكن المعنى بعيد عن قلبي الصغير. . .

أيّها الشعب ليتني كنت حطابًا فأهوي على الجذوع بفأسي

أحببت هذا الشاعر كما أحببت جبران خليل جبران لأنّ الرومنسية تسرّبت إلى دمي في تلك الفترة. . .
يا إلهي. . . شاعرٌ يتغنى بالأطيار والأشجار والورود، يالهذا القلب العليل، كم كان محلقًا في الخيال وجزءًا لا يتجزأ من الطبيعة في غضبها وسكونها، في براءتها كطفلة وحنوّها كأمّ. . .
هذه الطبيعة الساكنة فينا هي الحرية عينها. . .

خُلقتَ طليقا كطيف النسيم وحرّا كنور الضحى في سماه

اكتب إذن، اكتب ما أوحي إليك من شعر شاءته الآلهة. . .
كم كنت حزينا أيها الشابي فهل سكبت آلامك فينا؟ أحيانا أتساءَلُ لم لا أستطيع كتابة الفرح، ربما لأنّ قراءاتي كانت في الحزن. . . ألم يكن الشابي شقيًا، مفرط الإحساس بما يحيط به. . .

«ليت لي أن أعيش في هذه الدنيا سعيدا بوحدتي وانفرادي
أتغنى مع البــــلابل في انفرادي وأصغي إلى خرير الوادي.»

لم هذه الأسئلة المتواصلة، لمّا كبرت عرفت لماذا كانت أسئلتك كبيرة. . .
كبرت وما كبرت الطفلة فيَّ، ما الموت بالنسبة إلى طفلة ترى الحياة فيّ الموت والموت في الحياة. . .

«فويل لمن لم تشقه الحياة من صفعة العدم المنتصر
كذلك قالت لي الكائنات وحدّثني روحها المستتر»

أنت فينا وإن أغرَونا بقتل الأب، فبشعرك تكبر فينا الطفولة. . .
أحبّك جدّا لكن كم أشتهي قتلك داخلي لكي أجنّح بالخيال خارج دنياك.
لن تموت أيها الشاعر فالموتُ أصغر من قصيدة والقبرُ أفسح من جرح في الأرض، أنت حيّ برفضك، بغضبك، بقصائدك. . .
عش – إذن – رغم الدّاء والأعداء كالنسر فوق القمة الشمّاء. . .
عش واقرأ ما خطّت أيادي الشعراء بعدك وزد افتتانا بالحياة. وغرورًا. . . يحقّ لك الخلود، فلست بعيدا عن جلجامش فنصفك طين ودمك إله. . . أليس الشعر إلها. . . يا حارس الشعر يا إله الكلمات. . .
لك ما تشتهيه من حلم وقصائد فاتنة. . . فحوريات اللغة يرقصن لك ويشكّلن فضاءك. . . يا إله الشعر. . .
سأصلي وأنحني لكلماتك غير أني كم أشتهي أن أتحرّر من سطوة الآلهة. . . وأكون حرّة طليقة. . . كطيف النسيم. . .

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

قالوا عن الشابي

* كتب أبو القاسم الشابي شعرا مليئا بالغضب بسبب إحساسه بأنّ الموهبة العربيّة ضائعة ومسحوقة.

ـ رجاء النقاش (مصر) مجلة الدوحة / عدد جوان 1982

* أبو القاسم الشابي هو أوّل من أسكن الشعرَ بلاد المغرب العربي.

خليفة محمد التليسي (ليبيا). – مجلة الشعر عدد 8 – تونس- 1984

* الشابي هو من أكبر شعراء العرب الرومانسيين.

جمال الغيطاني (مصر) جريدة أخبار الأدب عدد 45 - ماي 1994

* لقد أشجاني الشابي، هذا الشاعر العظيم.

ـ د. محمد مندور جريدة البلاغ ليوم 14 جانفي 1953 (عدد خاص بالشابي).

* كان الشابي شاعرا كاملا. وأول صفاته أنّه أحبّ الحياة حبّا عميقا كاملا.. أحبّ الجمال وأحبّ وطنه.. وأحبّ الحرية. وكما ظهر هوميروس في أثينا وشكسبير في لندن وجوته في ألمانيا وبوشكين في روسيا... كذلك ظهر الشابي في تونس.

ـ الشاعر إبراهيم ناجي – جريدة البلاغة ليوم 14 جانفي 1953 (عدد خاص بالشابي).

* خدم أبو القاسم الشابي الأدب والعرب والإنسانية بحياته وموته على السواء ودفع الثمن غاليا لذلك. وبعد أن كانت مهمّتنا جدّ شاقة في الربع الأول من هذا القرن سعيا للتنويه بأدب الشباب صار المثل الأعلى الذي ضربه الشابي بشعره يحفز النقاد والمجلات إلى الاهتمام بأشعار شعراء شباب، وما أكثرهم في هذه الفترة وإذا كان الشباب كالربيع، رمز الحياة المتجددة فهو أول من يطالب بإذاعة أدب الشابي في هذا الشعر المتجدد الحيّ.

ـ د. زكي أبو شادي – مجلة أبولو 4 ماي 1934

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

دراسات من تونس ومن المشرق حول الشابي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بحوث ودراسات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مفهوم الشابي للشعر المنثور
من خلال أنموذج : صفحات دامية من حياة شاعر

بقلم: د. محمد صالح بن عمر

لعل الجانب الوحيد الذي لم ينل حظه حتى الآن من عناية النقاد والباحثين في أدب أبي القاسم الشابي مجموع نصوصه التي صنفت ضمن ما عرف في عصره ب» الشعر المنثور « (1) والتي كان ينوي إصدارها في كتاب عنوانه «صفحات دامية من حياة شاعر « . و هو عنوان نص نشرته له مجلة « العالم الأدبي « سنة 1930 (2) . ومن ثمة فإذا كانت لهذه الندوة مزية تحسب لها ، بقطع النظر عن الأهداف العلمية التي ستحققها فهي سبقها إلى تدارك هذا الإهمال ، بلفت انتباه المنشغلين بأدب الشابي إلى أهمية الجانب المهمل والشروع في تدارسه ، لاسيما أن عدد النصوص التي أنشأها في هذا الباب هو خمسة عشر نصا ملأت مجموعة كاملة . وهذه المجموعة أعدها للنشر الشاعر سوف عبيد وأصدرتها له مؤسسة « بيت الحكمة» هذه السنة بمناسبة مئوية ميلاده (3) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن هذه النصوص يتعين، لا محالة، تقليب النظر فيها على نحو يستوفي الكشف عن جميع مقوماتها الفنية ومحاورها الدلالية للوقوف على خصائصها النوعية، مع ربطها بأعمال الشابي الأخرى الشعرية منها والنثرية. لكن مثل هذا الهدف تقصر عن تحقيقه ندوة تأسيسية كهذه نرجو أن تتلوها ندوات أخرى في هذا المكان أو غيره تخصص للغرض ذاته . لذلك نرى من الضروري - والحال هذه - أن نحاول الإجابة عن الأسئلة الأولية التي تثيرها نصوص هذه المجموعة وفي مقدمتها سؤال الجنس الذي تنتمي إليه، خاصة أنه ستظهر بعدها أشكال شعرية أخرى أطلقت عليها تسميات كثيرة مختلفة لعل أبرزها قصيدة النثر في المشرق العربي بدءا من خمسينات القرن الماضي و«غير العمودي والحر» و«القصيدة المضادة» و«الشعر العردارج» و«اللوحة الشعرية» و«الكتابة الشاملة» في تونس عند أدباء الطليعة في نهاية الستينات وبداية السبعينات من القرن نفسه .

للوقوف على جنس هذه النصوص قد يكون من المفيد تفحص أنموذج منها في حد ذاته على نحو مجهري. ولعل أنسب طريقة لتصنيفه النظر إليه باعتباره خطابا.

فمن هذه الناحية يمكن القول إنه جاء برمته في قالب خطاب سردي يتخلله ككل خطاب من هذا القبيل خطاب وصفي وقد صدر عن راو يتماهى مع الشخصية المحورية المشار إليها في العنوان بصفة « شاعر» ويروي الأحداث من بداية النص إلى الأسطر الأخيرة منه بلسان المتكلم الجمع ثم إلى آخر النص بلسانه الفردي. وهذان المعطيان قد يرجحان كونه نصا ترجذاتيا.

أما المادة الحدثية التي رواها فتغطي حياته من بدايتها إلى زمن إنشاء النص. وقد قسمها إلى قسمين : الأول ما مضى منها وقد عبر عنه في ست مواضع متفرقة بقوله «تلك كانت حياتي بالأمس»[3] والآخر ما هو جار منها في زمن التلفظ. وقد جاء حديثه عنه في سياقين محدودين أحدهما في وسط النص والثاني في آخره.

أما مكانيا فلم ترد في الربع الأول من النص أي إشارة إلى موضع محدد تدور فيه أحداث الحياة المروية ثم في معظم ما تبقى منه أضحت الوقائع تجري في إطار مكاني واضح أشير إليه بصريح اللفظ هو الغاب. وفي الأسطر الأخيرة انتقل الراوي إلى إطار مكاني ثالث مفرط الضيق لا يفهم إن كان جزءا من الإطار السابق أي الغاب أم لا وهو «بين الصخور»[4]. ولا غرابة في مثل هذا التعدد للأمكنة في نص سردي قصير إذا نظرنا إلى اتساع الحدث المروي وهو حياة بأكملها.

وهذا المعطى نفسه - وهو كون النص خصص لسرد أطوار حياة الراوي البطل وكون هذه الحياة لا تزال جارية - قد أثر تأثيرا بالغا في المخطط السردي. فإذا الحكاية لم يبق من مراحلها إلا الوضع الأولي وتدخل القوة المحولة وانطلاق ديناميكية الأحداث. وبذلك اختفى الوضع الرابع وهو تدخل القوة المعيدة للتوازن والوضع الختامي .وهذا أمر بديهي في ترجمة ذاتية يكتبها صاحبها وهو في سن الشباب وعمر الشابي عند نشره لهذا النص هو إحدى وثلاثون سنة.

وأما مخطط الأفعال فهو تام الشروط. فالمفعول الذي ينشده الفاعل - وهو الراوي البطل - هو أقصى درجات الانتشاء المتولد عن الراحة النفسية والصفاء الذهني في كنف التناغم التام مع الطبيعة والاتصال الروحي بالعالم العلوي. لكن إذا كانت حساسيته هي العنصر المساعد له على إدراك مأربه في المرحلة المنقضية من حياته فإن تدخل عنصر مضاد مباغت قد قلب حياته رأسا على عقب فحولها من السعادة إلى الشقاء.

وأما عملية السرد فقد خضعت بحكم كون الراوي هو البطل للرؤية المصاحبة أو التبئير الداخلي، كما تحكم فيها طول الفترة التي تغطيها الأحداث فغلب عليها النسق السريع لضرورة تقديم صورة شمولية للحياة المروية برمتها. ولعل ما يلفت الانتباه في هذا الباب أن الراوي لم ينقل الأحداث طبقا للتسلسل الزمني الطبيعي بأن أقحم جزءا من المرحلة الثانية وهي مرحلة الشقاء في المرحلة الأولى.

وأما اللغة فقد أثرت فيها شخصية الراوي باعتباره شاعرا فتكثف فيها الشعري وهو الثالوث المتألف من الإيقاع والعدول والإيحاء. وهذا المظهر هو الذي سنخصص له القسم الثاني من هذا البحث.

لكن في حدود هذا القسم يمكننا القول بكل ثقة إن هذا النص نص سردي مكتمل الشروط. ولئن كان يمتنع تصنيفه ضمن القصة القصيرة لاتساع الحدث المروي فيه وغياب الخاتمة المفاجئة فإنه ربما كان نوعا من الكتابة السردية مخصوصا يتجسد في ضرب من التلخيص لترجمة ذاتية.

لكن الحضور المكثف لمقومات الشعري يدعونا مع ذلك إلى التوقف عند كل مقوم منها لأن مثل هذه الكثافة من خصائص النص الشعري. فهل يكون لونا من ألوان الكتابة الشعرية غير الخاضعة للأوزان رغم طابعه السردي ؟ وإذا كان ذلك كذلك فما هو هذا اللون ؟

للإجابة عن هذا السؤال نبدأ بوصف بنية النص الإيقاعية، بحثا عما قد يتوفر فيه على هذا الصعيد من خصوصيات تميز فعلا الشكل الذي ينتمي إليه عن الأشكال الشعرية الأخرى الخارجة عن الوزن الخليلي. وإلا فإنه ينتمي إلى أحدها. فلا يكون ثمة داع عندئذ إلى وسمه بهذه التسمية التي تبدو في صيغتها العربية على الأقل تسمية فضفاضة.

ولعل من أهم الأدوات المحققة للإيقاع غير العروضي التناسب التركيبي. فهذه الأداة قد استعملت على نحو مكثف جدا في هذا النص. وذلك في مستويين : مستوى الجمل ومستوى

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

التراكيب الجزئية. ففي المستوى الأول يتألف النص من إحدى وعشرين جملة تامة وزعت وحدات كل جملة منها في شكل مقطع شعري من قصيدة تفعيلة . وإذا تتبعنا نسق تتالي هذه الجمل لفتنا تناسب تركيبي بين مجوعات متلاحقة منها. وذلك على النحو التالي :

1 - مجموعة أولى تتألف من ثلاث جمل اسمية مصدرة بهذه العبارة نفسها «تلك حياة» تليها صفة أو أكثر على هيئة مفردة والباقي في شكل مركبات إسنادية فعلية. وهذه هي الجملة الأولى التي افتتح بها النص وقيست عليها الجملتان اللاحقتان لها :[5]

تلك حياة بعيدة تجلت كالفجر وتوارت كالحلم واضمحلت في ظلام القبور

أما التاليتان لها فتبدآن على النحو التالي : الثانية بـ «تلك حياة جميلة»[6] والثالثة بـ «تلك حياة شعرية ساحرة»[7].

2 - مجموعة ثانية تتكون من خمس جمل اسمية دخل على كل منها الناسخ الفعلي «كان» أولاها : «كنا نسير نحو الغاب»[8] والثانية تبدأ بـ«كانت غمائم»[9] والثالثة بـ«كانت تقنع»[10] والرابعة بـ «كان الغاب»[11] والخامسة بـ«كان الحب»[12].

3 - مجموعة ثالثة تتكون من جملتين مصدرتين بالظرف «لما» أولاها تبدأ بـ «ب» ولما اقتربنا»[13] والثانية بـ«ولما جلسنا»[14].

4 - مجموعة رابعة تتألف من ست جمل اسمية بدئت كلها بـ «تلك كانت»[15]

هذه البنية الإيقاعية العامة للنص تعززها بنى إيقاعية فرعية داخل كل مجموعة متولدة عن التناسب بين مركبات جزئية. وهي كثيرة جدا. لذا نكتفي باقتطاف أمثلة منها نحو التناظر الذي ورد داخل المجموعة الأولى بين هذين المركبين الإسناديين الفعليين :

تجلت كالفجر
وتوارت كالحلم

و بين المركبات الإسنادية الفعلية المتتالية الثلاثة التي هذه أوائلها :

قد تهادت غيمة وردية . . .
وتدفقت نهرا مترنما . . . .
ثم سارت جدولا صامتا . .

و بين هذين المركبين الإسناديين الفعليين :

ما استحمت. . .
ونشرت. . .

وفي صلب المجموعة الثانية بين هذين المركبين الإضافيين :

قناع حورية من بنات الأحلام
رداء ملك من ملائكة الفردوس

وبين النعتين المتعددين التاليين :

قصير كضباب الصباح
جميل كغيوم الربيع

وفي المجموعة الثالثة بين هذه المركبات الإسنادية الفعلية الثلاثة :

سمعنا طائرا يغني. . .
وسمعنا قيثارة الحب تترنم. .
وسمعنا صوتك العذب الجميل يتغنى

وضمن المجوعة الرابعة بين هذين المركبين بالجر :

بالحب يستجيش في قلبي
بالحياة تتدفق من شفتي

ولم يقتصر صاحب النص في توقيع خطابه على هندسة بنيته العامة أي الفقرات التي صاغها، كما بينا، في قالب جمل تامة والبنى الداخلية للجمل. بل عزز ذلك بوسائل إيقاعية أخرى إضافية ثلاث هي :

1- الروي المعكوس وهو ابتداء جمل أو مركبات متتالية إسنادية بحرف معين. فعشرون بين جمل ومركبات إسنادية تبدأ بحرف الواو وعشرة بالتاء وخمسة بالحاء. بل إن التاء وردت في كلمة تكررت عشر مرات في أوائل الجمل وهي اسم الإشارة «تلك» والحاء في بداية لفظ تردد خمس مرات هو الظرف «حينما». وفي ذلك تقوية للجرس الايقاعي في أذن السامع.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

2- تصدير جمل أو مركبات إسنادية متلاحقة بأفعال مزيدة تبدأ بحرف التاء. وهي :
- تجلت - توارت - تهادت - تدفقت - سارت
- تتألم - تتغنى - ترنمت.

إنهاء عدد كثير من الجمل والمركبات إسنادية بألفاظ ذات وزن واحد. وقد تجسد ذلك في وزنين أساسيين هما : فعول (بضم الفاء) وفعيل. وذلك كالآتي :

فعول : وجود (3 مرات) - صخور(مرتان) - قبور (مرتان)- خلود - فصول -نجوم.

فعيل : جميل (3 مرات) - بعيد (2) - رهيب.

لكل هذا يمكننا القول إن النص موقع توقيعا صوتيا عاليا على الرغم من وروده على غير بحور الخليل ومن كونه غير خاضع لقواعد التقفية المتبعة في قصيدة الشطرين والقصيدة العمودية.

وإذا كان هذا النص مستجيبا للشرط الأول الذي به يكون الكلام شعرا وهو الإيقاع فهل يتوفر فيه الشرط الثاني وهو الصورة المكثفة ؟ للإجابة عن هذا السؤال يتعين فحصه بلاغيا.

لنتأمل أولا أنواع الصور وعدد كل نوع منها ثم لننظر في مدى وجود علاقة بين الصور المستخدمة ومخيال الشاعر الذي سبق لنا أن حاولنا الوقوف على مكوناته وخصائصه في دراسة سابقة[16].

لقد كشف لنا الإحصاء عن وجود ثمان وخمسين صورة شعرية في هذا النص تتوزع إلى : خمسين استعارة وثمانية تشابيه. وهذا العدد مرتفع جدا إذا أخذنا في الاعتبار عدد الجمل التي يتألف منها النص - وهو كما أسلفنا إحدى وعشرون جملة - لأن معدل عدد الصور في الجملة الواحدة يكون 2,07 والنتيجة اللافتة الثانية التي يرشدنا إليها هذا الإحصاء هي الغلبة شبه المطلقة للاستعارات مقارنة بالتشابيه. والاستعارة مثلما هو معلوم أوغل في التجريد من التشبيه لأنها في الأصل تشبيه حذف منه المشبه أو المشبه به. وهو ما يجعل درجة الشعرية فيها أعلى من درجتها فيه. ولا شك في أن مثل هذا التكثيف لا يقدر عليه إلا خيال شاعر لأن غير الشاعر تكون رؤيته منجذبة نحو الواقعي المحسوس أو المجرد العقلي المنطقي ولا يلجأ إلى المجاز إلا عند الضرورة.

ولنتوقف عند أمثلة من هذه الصور. فمن الاستعارات قول منشئ النص[17] :

تلك حياة شعرية ساحرة
قد حاكها الأمس من آصال الفردوس وأشجاره
ووشتها أنامل الدهر بأزهار الربيع

فالأمس شبه بالإنسان الحائك مع حذف المشبه به وذكر أحد لوازمه وهو الحياكة. والحياة شبهت باللباس مع حذف المشبه به أيضا وبقاء أحد لوازمه وهو كونه يحاك. وشبهت المادة التي يصنع منها اللباس وهي الصوف أو القطن وما شابههما بعنصر مجرد هو آصال الفردوس وأشجاره مع حذف المشبه والتصريح بالمشبه به. والأصيل الذي هو مشهد زمني أرضي استعير لمكان وجوده أي الأرض مكان علوي وهو الفردوس، مع حذف المشبه والتصريح بالمشبه به. وبذلك جمع الشاعر في جملة واحدة استعارتين مكنيتن ووأخريين تصريحيتين.

ومن الاستعارات أيضا قوله [18] :

تلك حياة فتية حالمة
ما استحمت في لجة الليالي والأيام
ونشرت غدائرها الذهبية فوق المياه
حتى تخطفتها المنايا وسارت بها إلى مأواها البعيد

لقد شبهت الحياة هنا بالفتاة مع حذف المشبه به وذكر لازمين من لوازمه في تركيبين متباينين هما الاستحمام والغدائر. وشبهت الليالي والأيام بالبحر مع حذف المشبه به وبقاء أحد لوازمه وهو اللجة. وشبهت المنايا بالوحش أو الإنسان المجرم أو الطائر الكاسر مع حذف المشبه به والاحتفاظ بأحد لوازمه وهو الاختطاف، فضلا عن تشبيه لون الغدائر بلون الذهب وهو تشبيه شائع فليل الإشراق. وهكذا نرى أن صاحب النص استخدم ثلاث استعارات في جملة واحدة. وهي كلها مكنية. وفي ذلك دليل على ميله إلى

تكثيف الصور وتجميعها داخل الملافيظ الصغيرة وهي الجمل وأجزاء الجمل. وهذا من أخص خصائص الشعر.

على أنه لما كان هذا النص لشاعر حظي بعدد مرتفع جدا من الدراسات كشفت في مجموعها عن مقومات تجربته الشعرية وأبانت عن مكونات مخياله فإذا كان هذا النص نصا شعريا فإنه لا يمكن إلا أن ينصهر في صلب تلك التجربة وذلك المخيال لا أن يتنافر معهما. وذلك أن الشاعر الواحد ذا التجربة العميقة الصلبة إذا كتب في العمودي والحر مثلا أو في الحر وقصيدة النثر فإن جوهر تجربته يبقى هو نفسه ولا يكون التغيير إلا في الحلية الخارجية.

لعل من أنجع المفاتيح لولوج مخيال الشاعر هو دراسة معجمه في علاقته ببنية شعره الدلالية. ففي حدود هذا النص الذي اتخذناه أنموذجا تتألف النواة الدلالية التأسيسية من ثنائية تقابلية هي حياة الشاعر السعيدة أمس وحياته الشقية اليوم لكن عنصري هذه الثنائية غير متعادلين. فالأول قد غطى أكثر من ثلاثة أرباع النص، في حين لم يسجل الآخر حضوره إلا في أقل من عشره. وهذا الاختلال في التوازن أثر تأثيرا بالغا في البنية المعجمية للقصيدة يلمس في توزع معظم وحدات الرصيد المعجمي المستخدم على حقول دلالية زاهية توحي بالراحة والانشراح أقواها حضورا حقول الطبيعة والعالم العلوي والذات.

فالحقل الأول يضم الوحدات التالية: غيمة – نهر – جدول – واد – ماء – صخرة – غاب – حقل – سحاب – بدر – ضياء – قمر – مرج – ساقية – طائر – زيتونة – ظل – شجرة – لوز – كوكب – بحيرة – شعاع – شفق – نار– فصل – نجم – كهف – ظلام – زهرة – جمال – صباح – ليل – يوم – أمس (34 معيجمة)

أما الحقل الثاني فوحداته هي: فردوس – حورية – ملاك – بنات الأحلام – عرائس الغابات – خلود – أبد – دهر– وحي – بنات الربيع – غول – منية – موت (13 معيجمة)

وأما الحقل الثالث فيشتمل على هذه الوحدات: حلم – قلب (ي) – صدر (ي) – نفس (ي) – حيات (ي) – شفت (ي) شاعر – صلاة – حب – رؤية – غرام (10 معيجمات)

أما العالم السفلي فهو الأقل حضورا. ومع ذلك فليست كل الوحدات المحيلة عليه ذات دلالات سلبية. وهي: قبر – قبة – درع – قيثارة – محراب – خمر – عالم (7 معيجمات)

هذا التوزع لوحدات المعجم الشعري المستخدمة في النص منسجم إلى حد بعيد مع بنية مخيال الشاعر. والعنصر الوحيد الذي لا يطابقه في هذا المخيال هو ما أسميناه في دراسة سابقة البؤرة الأرضية. فهذه البؤرة في شعر ألشابي الموزون هي السبب الأول لشقائه. وعذابه النفسي فيها هو الذي دفعه إلى اللواذ بالطبيعة ومحاولة الاتصال الدماغي بالعالم العلوي، بحثا عن السعادة الروحية التي لم يهتد إليها داخل المجتمع. لكنها هنا لا يحيل عليها إلا لفظ واحد هو القبر. وقد يرجع ذلك إلى أن الشابي قد اختزل في هذا النص حديثه عن حاضره التعيس على الرغم من أن العنوان يتصل بهذا الجانب الذي اختصر. وربما الغرض من الإطالة في وصف سعادة الأمس هي إبراز النتائج الوخيمة التي ترتبت على زوالها دون حاجة إلى تفصيل الحديث عن تلك النتائج. وهذا العنصر في حد ذاته يجعل النص يزخر بطاقات إيحائية عارمة.

كل هذا يثبت لنا أن النص الذي بين أيدينا يحضر فيه الشعري على نحو مكثف جدا. ومثل هذا الحضور علامة على كونه قصيدة، لأن القصائد التي تروي أحداثا كثيرة العدد منذ القديم في الشعر العربي والعالمي. فهو إذن قصيدة سردية غير خاضعة للوزن العروضي. وهذا ما يدعونا إلى تحديد الصنف الذي تنتمي إليه ضمن أنواع الشعر غير الموزون. وهي كما ذكرنا متنوعة.

إن هذه القصيدة لا تنطبق عليها كل مواصفات قصيدة النثر التي نظرت لها سوزان برنار في أطروحتها الموسومة بقصيدة النثر من بودلير إلى يومنا هذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعرفتها كالآتي: «هي عبارة عن نص نثري قصير يشكل وحدة وسمته الأولى هي الاعتباطية أي أنه لا يهدف إلى سرد حكاية أو إلى تبليغ معلومة وإنما إلى محاولة التأثير الشعري»[19].

فالشرط الأول وهو القصر لا يتوفر في هذا النص الذي جاء اشتمل على إحدى وعشرين جملة ومثله الشرط الثاني وهو الخلو من السرد أو اللازمنية.

لكن الغاية من اشتراط القصر هي التكثيف لأن العبرة بنوعية النص لا بطوله. فإذا نظرنا إلى نصنا من هذه الزاوية وجدنا تكثيف الإيقاع والصورة فيه، كما رأينا، حاصلا لكثرة وسائل التنغيم والصور المجازية التي يزدحم بها حتى داخل الجملة الواحدة.

وأما التأثير الشعري أو التوهج فهو أمر نسبي. ففي الثلث الأول من القرن العشرين وإن كانت السريالية في أوجها بفرنسا فإن فكرة إنشاء الصورة المباغتة القائمة على كسر قاعدة التناسب بين المشبه والمشبه به أو بين المستعار والمستعار له أو بين المكني والمكني عنه لم تتسرب بعد إلى الثقافة الشعرية العربية التي ظلت وفية لمعقولية المجاز التقليدي. لكننا إذا نظرنا إلى هذا النص من زاوية تلك المعقولية مع وضعه في الإطار الزماني والمكاني الذي أنشئ فيه وجدناه وإن حافظ عليها فقد خطا بالصورة خطوات شاسعة في اتجاه التجديد والتطوير. فكان من هذه الناحية مباغتا فعلا للقارئ العربي في ثلاثينات القرن الماضي.

ومهما يكن من أمر فان ما ينبغي تسجيله من الناحية التاريخية في هذا النص هو أن مواصفاته الإنشائية تتفق إلى حد بعيد مع مواصفات «غير العمودي والحر» اللون الشعري الذي كتب فيه فقد قام على مبدإ بعض شعراء الطليعة في نهاية الستينات وبداية السبعينات فقد قام على الاستعاضة عن الإيقاع الذي توفره بحور الشعر العربي القديم وقوافيه بإيقاع النثر الفني العربي القديم أيضا الذي يتولد عن السجع والتناسب التركيبي والموازنة ومراعاة النظير. وبذلك يمكن القول - وهذا يقال لأول مرة - إن الشابي هو أول من كتب في هذا اللون الشعري بتونس وأن الطليعيين الذين كتبوا فيه إنما كانوا له فيه متابعين. وهي حقيقة ذات أهمية بالغة من الناحية التاريخية، على أنه لا بد من تشريح بقية قصائد مجموعة الشابي النثرية للتأكد من صحة هذه النتيجة.

الهوامش :

1 - انظر خاصة : زين العابدين السنوسي : «الشعر المنثور»، مجلة «العالم الأدبي»، العدد 6 أوت 1930 ص 166. وقد أشار صاحب المقال في الهامش إلى أنه سبق أن نشره سنة 1928 بجريدة «النهضة» لكن هذه الصيغة الثانية محورة ومنقحة.

جاء في تقديم المجلة لهذا النص أنه «صفحة من كتاب بهذا العنوان لحضرة الشاعر المتفنن الأستاذ أبي القاسم الشابي». انظر « العالم الأدبي» ج 3، ماي 1930 ص 24

2 - أبو القاسم الشابي، صفحات من كتاب الوجود : القصائد النثرية، جمع سوف عبيد وتحقيقه، نشر «بيت الحكمة»، قرطاج، تونس 2009 ص ص371 - 176.

ومما يبعث على الأسف أن جامع نصوص الشابي من هذا القبيل لم يحترم الطريقة التي وزع وفقها صاحب النصوص جمله ومفرداته وهي كتابتها في شكل فقرات مثل فقرات أي نص نثري، بل وزعها على هيئة أسطر شعرية والحال أن الطريقة التي اتبعها الشابي هي نفسها التي اعتمدها الرومنطيقيون خاصة منهم شاتوبريان ولامرتين فيما سمي «نثرا شعريا» في حين أن طريقة التوزيع إلى أسطر شعرية توهم بأن هذه النصوص تنتمي إلى جنس آخر هو «قصيدة النثر». وما هي كذلك.

3 - « العالم الأدبي»، ج 3، ماي 1930 ص 24

4 و5 و6 و7 و8 و9 و10 و11 و12 و13 و14 و15 - المصدر نفسه

16 - انظر : أبو القاسم الشابي حاضر بيننا (جماعي) : إعداد : أحمد السالمي، المركز الثقافي الليبي التونسي، تونس ص ص 145 -166

17 و18 - « العالم الأدبي » ج 3، ماي 1930 ص 24

19 - تقول في هذا التعريف. :

« Il s'agit d'un texte en prose bref, formant une unité et caractérisé par sa « gratuité », c'est-à-dire ne visant pas à raconter une histoire ni de transmettre une information mais recherchant un effet poétique ». Suzanne Bernard, dans sa thèse *Le Poème en prose de Baudelaire jusqu'à nos jours* , Nizet, Paris 1959 p.6

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

الوطنية في شعر الشابي

بقلم: الأستاذ حسن بن سليمان

«الوطنيّة في شعر الشابّي» من المواضيع التي لم تنل إجماعا بين نقّاد الشّعر التونسي الحديث. فقد ظلّت قضيّة خلافيّة حسب المصطلح الفقهيّ الشّائع، أي أنّنا لا نجد إجماعا بنفيها أو بإثباتها. ويمكن أن نصنّف موقف النقّاد والدّارسين لشعر الشابي إلى صنفين: صنف اتّخذ موقفا إيجابيّا فأثبت هذا الغرض الشعريّ في مدوّنة أشعار الشابي. ولتعزيز موقفه، استخرج منها شواهد نصيّة تأوّلها وتعسّف في قراءتها تأكيدا لوطنيّة الشاعر. ويمكن أن نتّخذ أنموذجا لهذا الموقف الأستاذ التونسي أبا القاسم محمد كرّو في كتابه «الشابي، حياته، شعره، تونس، 1973» عندما اعتبره «أحد المكافحين الأبطال، بل هو نموذج رفيع منهم»، ص 33، أو الهادي العبيدي الذي رأى فيه «شاعرا يملك قلبه الذي ذوّبه أناشيد وطنيّة لمحاربة الذل والخضوع». وهما موقفان نجد لهما صدى في الدّراسات التالية لهما والتي أكّدت تعاطي الشاعر تعاطيا إيجابيّا مع القضيّة الوطنيّة.

أمّا الموقف الثاني، فقد اتّخذ من وطنيّة الشاعر موقف المتحامل، فرأى أنّ ما دعا له الشاعر في قصائده من لجوء إلى الغاب، وتغنّيا بالطّبيعة، ودعوة إلى الهدم، وإنشاد للخيال، وتضخيما للأنا، وهدما للموضوع (الآخر ممثّلا في المجموعة) يتنافى مع الوطنيّة والالتزام بقضيّة الشّعب، ومع دعوته إلى الانتفاض على الاحتلال واسترداد الحريّة. ولهذا الموقف أنصار كثيرون من تونس ومن المشرق ونقّاده الذين انكبّوا على دراسة شعر الشابي واستقصوا مضامينه الشعريّة. فهذا مصطفى هدّارة يثبت أنّه «يريد أن يهرب إلى الغابات والجبال أو أيّ مكان يعصمه من واقع حياته كما عصم شعراء المهجر قبله» (دراسات في الشّعر العربيّ، ج 1، مصر، 1982). ويذهب النّاقد عبد العزيز عتيق هذا المذهب فيرى أنّه «حتّى إذا ما انتهت ثورته آوى إلى دنياه يتلمّس فيها العزاء»، معتبرا أنّ موقف الشاعر نفيٌ لنضاليّته الفنيّة والتزامه بقضايا قومه وبلاده. وهو رأي يشي بعجز أصحابه عن استيعابهم للمتناقضات في شعر الشاعر الذي تعتريه حالات متباينة، ويعيش أوضاعا نفسيّة بالغة التّعقيد لا بدّ للنّاقد الفطن أن يتنبّه لها وأن يدرجها ضمن تقويمه للمسار الشعريّ.

الآن وقد رصدنا موقفين مختلفين في المنطلق والنّتائج، نطرح على أنفسنا التّساؤل التالي: ما هي غايتنا من العودة إلى قضيّة الوطنيّة في شعر الشابي، وماذا نروم من إعادة التّساؤل حولها؟ فهل نسعى إلى مجرّد إحياء للمواقف السّالفة- المتبنّية لوطنيّة الشاعر أو النافية لها لتكرارها واتّخاذ موقف نقديّ منها؟ أم أنّنا نروم إحياء النّقاش وتجديد الجدل المثار من أجل إضافة موقف آخر يلتقي، أو يختلف معها؟

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

إنّ ما نروم تحقيقه من وراء هذه المساهمة لا يتعدّى إعادة تقويم الموضوع في ضوء المكاسب المعرفيّة الحديثة التي تحقّقت بفضل تضافر العلوم وتصدّع الحواجز المصطنعة والحدود الوهميّة التي كانت تفصل بين أقسام المعرفة. فبنية المعرفة الحديثة لم تعد تأبه بالتخصّص الدّقيق، كما أنّها لم تعد تعترف بما كان يميّز المعرفة من تجزئة وفصل. إنّها صارت شموليّة في مبناها ومنهجها وغاياتها. ونحن نروم دراسة الوطنيّة في شعر الشابي من خلال هذا الموقف الحديث الذي تبنّته نظريّة نقد الشّعر التي أكّدت على ضرورة العودة إلى النصّ الشعريّ واستنطاقه في ضوء ما استجدّ في مختلف أقسام المعرفة (علم النّفس التحليليّ، اللّسانيّات بمختلف نظريّاتها ومدارسها، أنتروبولوجيا الرّمز...). ويستند هذا الموقف إلى ما لاحظنا من أحكام صيغت حول الوطنيّة في شعر الشابي (وغيرها من الأغراض) انطلاقا من قصائد وأبيات شعريّة قُرئت قراءة متسرّعة مرتَجَلة أحيانا بغاية الانتصار لهذا الرّأي أو ذاك.

وينضاف لذلك سعينا إلى نقد القراءات المدفوعة برغبة التقديس وبالهمّ الدّعائي والأدلجة التي أفقدت التجربة الشابيّة خصوصيّتها وجرّدتها في نصيّة عامّة لا تقارن بين قصيدة وأخرى ولا تنفذ إلى عناصر بناء القصيدة الواحدة لتبحث في نبضها الخاصّ (المرجع نفسه، ص 15). ولأجل ذلك، أعدنا النّظر في ديوان «أغاني الحياة» لنستنطق النصوص الشعريّة استنطاقا مباشرا لا يحول بيننا وبينها حاجز النّقد أو التقديس، ولنقف عند كثافة الكون الشعريّ الملتبس الذي يَصْدَى ويضجّ بتجارب سابقة له ليقيم معها علاقة تأثّر وتفاعل.

ولمّا كانت تجربة الشاعر مشدودة إلى كون الإنسان وعالمه، وجب علينا أن ننزّل شعر الشابي في إطار الرومنسيّة العربيّة والغربيّة ممثّلة في أبرز رموزها التي تفاعل معها وتأثّر بها. فقد كانت له صلات ووشائج بجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وزكي أبي شادي (وضع الشابّي مقدّمة ديوانه «الينبوع»)، كما كان له إلمام بشعر لامارتين وهوجو وألفريد دي فيني ودموسيه وغيرهم عبر اطّلاعه على النّصوص المترجمة لهم من خلال صديقه محمد البشروش. وهو ما أقرّ به الشاعر في مواضع مختلفة من رسائله (ص: 45، 60، 106، 169).

فالوطنيّة إذا هي حصيلة فكريّة وثقافية أفاد منها الشاعر فكانت عنوان التفرّد والتفاعل. كما تنزّلت في سياق رؤية إصلاحية شاملة رام من خلالها الشاعر إصلاح الفرد والجماعة، وجدّد النظر في مفهوم الشعر ووظيفة الشاعر ومكانة الأنا والآخر (خاصّة المرأة).

مفهوم الشعر:

نظر الشاعر إلى مفهوم الشعر في ضوء ثنائيّة الهدم والبناء. فماذا هدم؟

ما يميّز «الشعر الجديد» هو طاقته الإيحائيّة وقدرته على التخييل. فقد اتّخذ الشاعر قطعة منه تتلبّس به. فلم يعد أداة يتكسّب منها الشاعر، كما لم يعد عنصرا خارجيّا بعيدا عنه ينظر إليه من الخارج إذ قال: «شعري نفاثة صدري... إن جاش فيه شعوري... فالشعر ما ينفثه المرء من أعماقه، ولذلك فهو منسوب له. وتأسيسا على هذا الموقف، أصبح الشاعر يحادثه ويناجيه في سرّه وعلنه:

أنت يا شعرُ فلذةٌ من فؤادي
تتغنّى وقطعةٌ من وجودي».

وهي قصيدة تضمّ 32 بيتا (مطوّلة في عرف الشعر القديم)، فيها تصوير لما يراه الشاعر من مفهوم للشّعر يقطع مع المفاهيم الموروثة في الشّعر العربيّ الكلاسيكيّ. بل إنّ الشعر «قصّة عن حياة الشاعر»:

أنت يا شعرُ قصّةٌ عن حياتي
أنت يا شعرُ صورةٌ من وجودي».

إنّ الظّاهرة المتكرّرة في البيتين هي توجيه الخطاب من الشاعر إلى الشعر، وارتباط الشعر بالوجود.

فالتجديد هنا ينبع من ربط مضمون «الشعر الجديد» بالحياة والوجود البشريّين. ولعلّ تسمية الدّيوان «أغاني الحياة» تمثّل لهذا المفهوم الجديد في ثورته على المفاهيم القديمة التي همّشت الشعر والأدب عموما.

وظيفة الشاعر:

في اتّساق مع تجديد النّظرة إلى الشعر ومكانته في المجتمع، رأى الشاعر أنّ مهمّته تكمن في عقد الصّلة بينه وبين عناصر الوجود والعالم. فليس من شاعر يعيش معزولا عن قومه، يحلم في برج عاجيّ، وينظر متساميا عن الآخرين نظرة فوقيّة. فهو كائن مجبول على التواصل، مدعوّ بحكم رسالته إلى الإصلاح والتغيّر حتّى وإن لقي من قومه تجاهلا وإنكارا. فهو «النبيّ» صاحب الدّعوة التي حمّل تبليغها والجهر بها، وهو «فيلسوف» أدرك بثاقب نظرته أسرار الحياة ومعانيها فكشفها لقومه، وهو «شاعر» قدّم رحيق الحياة لهم رغبة منه في إطلاعهم على السرّ الذي لم ينكشف لسواه (قصيدة النبيّ المجهول).

الوطنيّة في شعر الشابي:

ما مفهوم الوطنيّة؟ «نعني بالوطنيّة جملة الخصائص المكوّنة لرؤية الفرد لأرض معيّنة وللمجموعة البشريّة التي تشاركه الانتساب إليها وما يمازج تلك الرؤية من موقف عاطفي وجداني وتصوّرات للتّعامل الإيجابي مع تلك الأرض وتلك المجموعة بما يكفل ازدهارها ورقيّها ومناعتها» (القرقوري، ص 174).

فالوطنيّة عاطفة، ولكنّها مع ذلك موقف. وفي هذا يختلف الشاعر مع الأفراد المنتسبين للوطن والمكوّنين له.

أنـا يا تونس الجميلة في لجّ
الهوى قد سبحت أيّ سباحة
شرعتي حبّك العميق وإنّـي
قـد تـذوّقـت مـرّه وقـراحـه
لا أبـالـي وإن أريـقـت دمائي
فـدمـاء الـعـشّـاق دومـا مباحه

وفي هذا المقطع نلاحظ ثراء المعجم العاطفيّ الوجدانيّ واستلهامه من ألفاظ الغزل القديمة (الهوى، الحبّ، العشق) وهو يزخر بالمشاعر الطّافحة التي تدفع المحبّ إلى تمنّي الشهادة من أجل محبوبه، كما نرصد تمازجا بين المعجم الغزليّ والمعجم الصوفيّ.

لكنّ هذه الرّؤية لم تبق حبيسة الموقف الوجدانيّ المحدود الضيّق- وهو المستوى الحسيّ الذي يشترك فيه الشاعر مع المجموعة-، بل تجاوزها ليتطرّق إلى المشاكل التي كان الوطن يعاني منها، والمجموعة التي تستوطنه في محاولة معالجتها وإصلاح الأوضاع المتدهورة. وقد وفّر الاستعمار والتخلّف الحضاري والانحطاط الفكريّ مادّة خصبة نهل منها الشاعر لتصوير الأوضاع ومن ثمّة حاول إصلاحها وتغييرها.

1- تشخيص معوقات التقدّم:

أدرك الشابي أنّ الاستعمار والتخلّف والظّلم الاجتماعي هي معوقات تحول دون تقدّم الوطن وازدهاره ونموّ المجموعة. وفي ذلك دليل لا يمكن دحضه بوعيه الحادّ ونظرته الثاقبة وحرصه على التوعية بها.

وقد تفطّن الشاعر وهو يشخّص حالة البلاد إلى ما كان يعانيه شعبه من اضطهاد وعسف واستغلال جائر:

البؤس لابن الشّعب يأكل قلبه
والـمـجـد والإثــراء لـلأغـراب
والشّعب معصوب الجبين مقسّم
كالشاة بين الذّئب والقصّاب

كما تعمّق في البحث عن العلل التي يعاني منها شعبه والتي ليس الاستعمار سوى جزء يسير منها والتي جعلته يعيش على هامش التاريخ. فجعل من الجهل رديف الاستعمار:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يــا قـــوم عـيـنـي شـامـت
لـلـجـهـل فــي الـجـوّ نــارا
تــتــلــو ســحــابــا ركــامــا
يــتــلــو قــتــامــا مــثــارا
يــثــيــر فـــي الأرض ريــحــا
يــهــيــج فــيــهــا غــبــارا
تــلــقــي الــشّــديــد صريعا
تــبــقــي الأديــــب حــمــارا

وقَرَن الحديث عن الجهل بالتّحذير من عواقبه ومن مغبّة التّمادي فيه. وكما حمّل الجهل مسؤوليّة التخلّف والتردّي والغفوة الحضاريّة، فقد خاطب أهل العلم النّائمين وحمّلهم مسؤوليّة صمتهم عن الحقّ والتّخاذل في الدّفاع عنه، كما دعاهم إلى اليقظة والانصراف عن التّرّهات والتّرويج لإسلام الخمول والرّكون إلى الزّوايا والانحراف عن روح الدين الأصيلة المتوثّبة:

لقد نام أهل العلم نوما مغنطسا
فلم يسمعوا ما ردّدتـه العوالم
سكتّم حماة الدين سكتة واجم
ونمتم بملء الجفن والسّيل داهم
أفيقوا فليل النّوم ولّـى شبابه
ولاحـت لـلألاء الصّباح علائم
أفيقوا وهـبّـوا هبّة ضيغميّة
ولاتحجموافالموت في الجبن جاثم
فوا الحقّ ما هذي الزّوايا وأهلها
سوى مصنع فيه تصاغ السّخائم

فهذا المقطع يشير بوضوح إلى المسؤولين عن غفوة الشعب. لكنّه دعاهم إلى الاستفاقة من سباتهم ليتداركوا وضعهم ووضع أمّتهم. كما دعاهم إلى التفتّح على الاقتباس عنه مجدّدا بذلك دعوة المصلحين السياسيّين من أمثال (خير الدين، ابن أبي الضياف، بيرم الخامس) والمصلحين الاجتماعيين (الطاهر الحداد) الذي دعوا في مؤلّفاتهم السياسيّة إلى تطهير الدّين ممّا علق به من الشوائب وما خالطته من بدع تراجعت بالإسلام والمسلمين.

ولئن توقّف الشابي في أكثر من قصيدة عند وضع التخلّف والانحطاط مشخّصا -في رؤية شعريّة- أسباب العلل ومكامن الخلل، فإنّ برنامجه الإصلاحيّ في شعره لم يقف عند هذا المظهر، بل جاوزه إلى موقف إيجابيّ إذ جعل من الثورة على الغاصب والجهل عماد هذا البرنامج، فذكّر بما جُبِل عليه الإنسان من توق طبيعيّ إلى الحريّة:

خلقتَ طليقا كطيف النّسيم
وحـرّا كنور الضّحى في سماه
فمالك تـرضـى بـذلّ القيود
وتحني لمن كبّلوك الجباه
وتسكت في النّفس صوت الحياة
الـقـويّ إذا مـا تغنّى صداه
أتخشى نشيد السماء الجميل؟
أترهب نور الفضا في ضحاه؟
إلى النور فالنور عذب جميل
إلـى الـنـور فالنور ظـلّ الإلـه

كما استنهضه على التوثّب والثّورة والتمتّع بمفاتن الحياة التي حرم منها منكرا عليه -عبر الاستفهام الإنكاري- خنوعه وقبوله بالاستكانة والقيد.

الموقف السّلبي:

تابعنا الشاعر عبر قصائده وهو يشخّص وضع شعبه الحضاريّ المتردّي للوعي به ومن ثمّة الثورة عليه وعلى المسؤولين عنه والسّعي إلى إصلاحه وتغييره عبر الثورة على الرموز التي كبّلته وعاقته عن الوثبة واليقظة، لكنّنا سنرى وجها آخر من هذا الموقف، أي الإحساس بالفشل في المحاولة والانتهاء إلى السلبيّة والارتداد عن موقفه الإيجابيّ.

فما الذي دعا الشاعر إليه؟ وما هي الأسباب الكامنة خلف ذلك؟

الشاعر ذاتيّ في رؤيته الوطنيّة، يصدر عن تصوّر فرديّ في تحليل أوضاع مجتمعه وشعبه،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتعامل دون أن يدرك حقيقة الأوضاع الماديّة والموضوعيّة، ودون وعي بثقل الإرث الذي يرزح تحته الشعب. لذلك كان موقفه عفويّا، ساذجا، حالما كالأطفال، عندما يصطدم بالخيبة وفشل الآمال. ولئن نجح إلى حدّ كبير في تفسير الأسباب والعوامل (الاستعمار، الجهل، التقليد...)، فإنّه لم ينجح في تبليغ دعوته وفي نقل حلمه بالثّورة والخلاص إلى شعبه، كما لم ينجح -شعرا- في استنهاض الهمّة وشحذ العزائم والإقناع بما قدّمه من برنامج إصلاحيّ. كما أنّه لم يدرك السّبب الموضوعيّ لفشله ولم يقف عند قصور رسالته الفنيّة على التغيير والإصلاح، وإذ ثورته الإيجابيّة التي رأينا تصبح ثورة سلبيّة ونقمة على شعبه الذي عجز عن فهم دعوته، وإذا بالتّسامي والنّزوع إلى الانعتاق تتحوّل نكوصا إلى الوراء وارتدادا إلى الطبيعة والعزلة. وفي هذه المرحلة، يتحوّل الشاعر نبيّا مجهولا ينكره قومه. وتصوّر قصيدة «النبيّ المجهول» إحساس الشاعر بالفشل المرير، وهو في ذلك يتشارك مع المسيح عليه السلام في تاج الشوك الذي وضعه قومه على رأسه دليلا على معاناته من أجل شعبه، ومع النبيّ الذي وسمه قومه بالشاعر المجنون.

في دلالة التجربة الاجتماعية:

هل يجوز الحديث عن فشل الشابي في التزامه بقضايا قومه وإصلاح أوضاعهم ودعوتهم إلى الثورة على رموز الخنوع والاستكانة وفي شحذ هممهم في الانبعاث الحضاريّ المرجوّ؟

إنّ إعادة تقليب النّظر في مدوّنة القصائد، لا على أساس تتابعها الزمنيّ، بل على قاعدة تقلّب أوضاعه النفسيّة وأحواله الشعوريّة والعاطفيّة يسمح لنا بتقويم جديد لهذه التجربة لا في ضوء مآلها وإنّما في سيرورتها وتدرّجها خاصّة وأن هذه القراءة تجد ما يسندها ويعزّز مشروعيّتها في ديوان «أغاني الحياة». فالشاعر لم ينأ عن قومه، ولم ينعزل عنهم في غابه، ولم يستنكف منهم ولا من الحياة، بل هجم على أهوالها وخاض غمارها:

هجمت بـي الدّنيا علـى أهوالها
وخضمّهـا الرّحب العميق الطّامي
مـن غيـر إنـذار فأحمـل عدّتي
وأخوضـه كالسّـابح العـوّام

«الديوان، 170»

لقد واجه الشاعر كغيره من الأفراد الآحاد التجربة الوجوديّة في أبعادها المختلفة وعمقها الإنساني، رغم عدم استعداده لذلك، فخاض أهوالها وكابد معاناتها وتجرّع غصصها. ولعلّنا نجد في قوله «وأخوضه كالسابح العوّام» صدى فخر الشاعر العربيّ القديم بنفسه في مقارعة أعدائه وافتخاره بصلابته وتجلّده في مواجهة الحياة ومصارعة أهوالها. إلاّ أنّ الفخر لم يعد الفخر الكلاسيكيّ، بل شُحن مفهوما جديدا ينبع من شعور الشاعر بالتفرّد وامتلاك وضع جديد يؤهّله للرّيادة والقيادة.

أمّا قصيدة «الاعتراف» فتتضمّن اعتراف الشاعر بضمئه للحياة، وشرابه من نهرها، وإقباله على مفاتنها وملذّاتها الساحرة وانبهاره بأضوائها وألوانها:

أنّـي سـأظمأ للحياة وأحتسـي
مـن نهرهـا المتوهّج النّشـوان
وأعـود للدّنيـا بقلـب خافـق
للحـبّ والأفـراح والألحـان
حتّـى تحرّكت السّـنون وأقبلت
فتـن الحيـاة بسـرّها الفتّـان
وإذا التّشاؤم بالحيـاة ورفضهـا
ضـرب مـن البهتـان والهذيـان
إنّ ابـن آدم فـي قـرارة نفسـه
عبـد الحيـاة الصّـادق الإيمـان

«الدّيوان، 257»

وهذا اعتراف صريح على لسان الشاعر نفسه أنّه لم يهجر الحياة -لتشاؤم منها أو لفشل في إدراك معانيها- بل إنّه عاشها في تلوّنها وتقلّباتها، بأحزانها وأفراحها، معتبرا أنّ التشاؤم بها ومنها

كذب وقصور عن استيعاب ألغازها وأسرارها، ليختم قصيدته -في شكل تقريريّ- يستمدّ عمقه وحقيقته من تجربته الإنسانية متغنّيا بـ«أغنية الحياة». ومن هنا ندرك أنّ التشاؤم الظاهر الذي يطفح به الديوان ليس تشاؤما مطلقا ونهائيّا. إنّه مجرّد وجع، وجع معاناة التأسيس يتغنّى به الشاعر (محمد لطفي اليوسفي، دراسات في الشعريّة، الشابي نموذجا، ص 139).

وفي هذا الإطار، يحسن أن ننظر في دلالة الغاب في «أغاني الحياة» لنتساءل عن دلالته الرمزيّة في الديوان، ومكانته في تجربة الشاعر. فهل كان الغاب رمزا للعزلة السلبيّة التي رآها البعض دليلا على فشل الشاعر في الالتزام بقضايا شعبه؟ وهل كان الغاب إذا بديلا موضوعيّا للشعب التجأ إليه تعويضا عن فشل أو إخفاء لإخفاقه في التواصل معه؟

يجيب الديوان عن هذه التساؤلات الممضّة في نصوص عديدة. فما هي صورته؟

هكذا قال، ثم سار إلى الغاب
ليحيا حياة شعر وقدس
وبعيدا، هناك في معبد الغاب
الذي لا يضلّه أيّ بؤس
في ظلال الصّنوبر الحلو والزّيتون
يقضي الحياة حرسا بحرس
في الصباح الجميل يشدو مع الطير
ويمشي في نشوة المتحسّي
نافخا نايه حواليه تهتزّ
ورود الرّبيع من كل قنس

«الديوان، 148»

يتبدّى الغاب إذا انطلاقا من هذا المقطع مدينة الشاعر الآمنة، الحيّة بعناصرها الطبيعيّة التي تبعث في الشاعر حياة وامتلاء، يتعبّد سعيدا في محرابه الطاهر، بعيدا عن دنس الحياة الماديّة. فالغاب إذا مصدر تجدّد شعريّ، باعث على الحياة في نقائها الأوّل وفي طهرها القديم. وهو ليس ملجأ يعوّض به الشاعر خيبته، بل إنّه طاقة مولّدة للإلهام الشعريّ، إنّه معادل ذاتيّ لربّة الإلهام في الميثولوجيا الإغريقيّة التي توحي وتلهم الشاعر. إنّها «صدى» يضجّ بما في نفس الشاعر من مشاعر وأحاسيس، ومكان المناجاة والاستماع للفؤاد:

أصرف العمر في الجبال وفي الغابات
بين الصّنوبر الميّاد
ليس لي من شواغل العيش ما يصرف
نفسي عن استماع فؤادي
وأغنّي مع البلابل في الغاب
وأصغي إلى خرير الوادي
وأناجي النّجوم والفجر والأطيار
والنّهر والضّياء الهادي

«الديوان، 167»

الخاتمة:

هكذا، إذا بدت الوطنيّة في ديوان «أغاني الحياة» أحد مقاطع هذه الأغنية التي أنشدها الشاعر وتغنّى بها، واتّخذ منها سنفونيّة. ولم تكن الوطنيّة مجرّد غرض شعريّ تعاطاه الشاعر من جملة الأغراض الشعريّة، بل كان في اعتقادنا غرضا جامعا دارت حوله مختلف الأغراض الفرعيّة الأخرى وجعلت منه معنى مشدودا إلى الكون الشعريّ للشاعر، غير منفصل عن رؤيته الشعريّة بل عن رؤيته الوجوديّة، وعن تمثّله لعلاقته بالأنا، وبالآخر، وبالكون، وبجميع المخلوقات والكائنات.

فالوطنيّة، في مدوّنة الشابي الشعريّة ليست التزاما بقضايا الوطن، وليست مجرّد تعبير عن وضع تاريخيّ اتّسم بالاستعمار والتخلّف، بل إنّها التزام بمنزلة الإنسان في شموليّته، مجرّدا عن الزمان والمكان، خاليا ممّا يشدّه إلى منزلته الأرضيّة. إنّها رابط بين روح الشاعر والآخرين، وصلة بينه وبين الكون.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السياق الشعريّ المُحايث:

ما بين المذكّرة والقصيدة

في منظور أبي القاسم الشابيّ للكتابة الأدبيّة

بقلم: د. مصطفى الكيلاني

1- بعيدا عن الوثوق القائل بثُنائيّة الشعر والنثر:

ما المقصود بالسياق الشعريّ المحايث تحديدا؟ وهل «مذكّرات» أبي القاسم الشابي تؤدّي البعض من وظيفة هذا السياق باعتبارها شهادة على جُزء من تجربة الكتابة الشعريّة والعديد من الظروف الحافّة بها والماثِلة في عديد نُصوصها؟ كيف يتنادى النصّ والسياق داخل منظومة التعالق النُصُوصِيِّ في بنية النص الواحد؟

نصّ، سياق، تناصّ، هذا الثالوث الاصطلاحي المرجعيّ يقتضي البحث في تنادي نصوص الشابّي المختلفة شعرا وما هو مُتاخِم للشعر دون التورّط، هنا، في الوثوق القائل بثنائيّة الشعر والنثر التي مثّلت في تراثنا النقديّ العربي معياراً مرجعيّا للحكم على البعض الكثير ممّا هو شعريّ التوهّج والأداء الوظيفيّ من غير أن يوضع في خانة الشعر تحديدا، لظاهر بنائه المرسل، رغم كثيف دلالته ووَسيع معناه الاستعاريّ، كالذي يسمّى، تقريبا من قبيل المجاز المتعسِّف، «نثر المُتصوّفة».

فما أوجه الشعريّة ومراتب الشاعريّة في مجمل أعمال الشابّي الأدبيّة، كأن نحيل بَدْءًا على «أغاني الحياة» و«المذكّرات» و«الخيال الشعري عند العرب» باعتبارها تُمثّل أهمّ الأسس التي قام عليها مشروع الشابي في الكتابة عامّة، وفي الأداء الشعريّ، على وجه الخصوص؟

2- في التناصّ العامّ: لعبة المتون الهوامش والهوامش المتون

في تجربة الكتابة الشابيّة:

إن بحثنا في بيبلوغرافيا أعمال الشابّي الأدبيّة تصدّر ديوان «أغاني الحياة» في المقام الأوّل من حيث الأهميّة يليه كتابه النقديّ «الخيال الشعريّ عند العرب» فـ«المذكّرات» ثم «الرسائل». ويُشار إلى أعمال أخرى يبدو أنّها ثانويّة القيمة الأدبيّة، كأن نذكر «جميل بثينة» (محاضرة) و«شعراء المغرب» (محاضرة) و«الاعتراف» أو «في المقبرة» (نصّ سرديّ)[1].

فيمثّل مشروع الكتابة التّحديثيّ الرومنسي" مختلف هذه الأعمال بمنظور مرجعيّ يسعى إلى مراجعة الاستمرار في القول بثنائيّة الشعر والنثر والتبعيد الاعتباطيّ المتعسّف بينهما، كأن يحرص على تعريف الشعر بالخيال في "الخيال الشعريّ عند العرب" وتعريف الشعر في القصيدة وبالقصيدة في "أغاني الحياة" ليتّسع مجال الكتابة في الشعر وعن الشعر ضمن نصّ مشترك جامع يصل بين الديوان والكتاب النقديّ

المذكور، مثلما تتّضح ملامح أخرى لتجربة الكتابة بـ"المذكّرات" و"الرسائل" وما تبقّى من الأعمال المُشار إليها أو تلك التي ظلّت طَيَّ النسيان إلى اليوم لعَدَم نشرها لتندثر، ربّما.

فتتنادى النصوص عند استقراء تجربة أبي القاسم الشابّي العامّة في الكتابة بعيدا عن مُسبق الفصل بين جنس أدبيّ وآخر، إذ النواة الدلاليّة الوالدة (matrice) هي ذاتها استنادا إلى مُفرد الذات الكاتبة.

فإذا توقّفنا عند مفهوم الشعر لدى الشاعر من خلال هذه الأعمال تبيّن لنا في المجال النقديّ الحُكم للشعر العربيّ الأندلسيّ في «الخيال الشعريّ عند العرب»[2].

إنّ للخيال قيمة مرجعيّة أولى في تحديد ماهيّة الشعر عَوْدًا إلى الطبيعة بمنظور رومنسيّ حادث، وذلك ما يتردّد دلالة في القصائد المُدرجة ضمن ثِيمَة الشعر:

"أنت يا شعر فلذة من فؤادي
تتغنّى، وقطعة مِن وجودي"
(قلت للشعر)

"كلّ مَا هبَّ وما دَبَّ وما
نام أو حام على هذا الوجود
مِن طيور وزُهور وشذى
وينابيع وأغصان تميد (...)
ها هُنا تعصف أهوال الدُّجى
هَا هُنا تخفق أحلام الورود"
(قلب الشاعر)

وبهذا التعالقُ بين المفهوم النقديّ للخيال والكتابة عن الشعر بالقصيدة يتنادى كلّ من النصّ النقديّ والنص الشعريّ لبيان الثابت الدلاليّ في منظومة الكتابة الشابيّة الذي مفاده أنّ الشعر هو بمثابة المتن الذي يحيل على هوامشه داخل القصيدة ذاتها وخراجها، إن وسّعنا النظر إلى مجمل نصوص الكتابة الأدبيّة لدى الشابّي بـ"الخيال الشعريّ عند العرب" وبـ"المذكّرات" و"الرسائل"، على وجه الخصوص، دون التغافل عن مقدّمة الشابي الهامة لديوان "الينبوع" لأحمد زكي أبو شادي[3] حينما أدرك البعد الآخر للشعر بعد الخيال الذي هو الموسيقى ضمن سياق الفنّ، بعد أن تفطّن إلى وجود الشعر وما يُمكن اعتباره ما وراء الشعر آنَ التوغّل في فكرة الخيال كالتوصّل إلى التمييز بين ما به يتشكّل الشعر (الألوان والظلال والأضواء) وما يمثّل "لُباب الشعر"، أي "الحياة" بلغة الشاعر، مُرادف الوجود. وما الموسيقى إلاّ العلامة الدّلة على ذلك "اللباب" الذي يُمكن تسميته "روح الحياة" "الميتوس" في الاصطلاح الأفلاطوني، القوّة الروحيّة المتوهّجة التي تفيض لينكشف بعضها موسيقى تؤلف بين النغم والإيقاع. لذلك قد يذهب بنا الاعتقاد، ما دام الشابّي حريصا على إعادة القصيدة إلى الشعر وإرجاع الشعر إلى الفنّ، إلى التسليم بأنّ الرحم المُولّد لمختلف الفنون هو الموسيقى، ذلك الصوت الذي امتلأ به الجسد، بل حوّل مُجمل الجسد في بدايات الوعي الكينونيّ إلى فيْض من الأداء الفنّيّ، لِيَلد الأصل الأوّل بذلك أصولا يتصدّرها الشعر، بل قد تعني بدايات وجود الشعر ذلك التلازم الحميم أو التزامن المُخصب بين الكلمة والإيقاع ليلد الشعر الموسيقى مثلما تلد الموسيقى الشعر. لذلك حرص الشابي على الاستمرار في تعريف الشعر بالحياة والحياة بالشعر: "إنّ الشعر هو الحياة نفسها... في حسنها ودمامتها، في صمتها وضجّتها، وفي هدوئها وثورتها في نومها ويقظتها، وفي كلّ صورة من صورها ولون من ألوانها"[4].

وبهذا المنظور لا ينحصر وجود الشعر في ظاهر القصيدة، بل يتّسع أفقه بالفنّ وبالحياة،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والموسيقى على وجه الخصوص التي هي أبعد مدى وأعمق دلالة من ظاهر الإيقاع. كذا يتماهى المتن والهامش في أعمال الشابي الأدبيّة، مثلما تنتفي الحدود الفارقة بين ما هو شعر وما ليس بشعر، لأنّ المشغل الكتابيّ المرجعي، هنا، هو "شعر الشعر"، إذا جازت العبارة، ذاك القريب مفهوما من "الشعريّ" الهيدغريّ (dichten)[5]. لذلك تمتلئ نصوص الشابّي المُدرجة خارج حدود القصيدة بالوهج الشعريّ، مثلما تحمل عديد قصائده ثقافة النقد وسُمُوّ الحكمة.

وإذا تابعنا أطوار تجربة الشابّي الشعريّة وقصائد الأعوام الأخيرة من حياته بصفة أخصّ لاحظنا اندفاع القصيدة صوب الحكمة، باعتبار أنّ الشعر المُختلف هو حكمة، شأن الحكمة التي إن بلغت أعلى ذُراها أضحت من قبيل الشعر.

3- "المذكّرات": حضور الشعر والشهادة عليه في ذات الحين:

ما حضور الشعر في "المذكّرات" تحديدا؟ وما حضور الشهادة فيها على الشعر، بما أسميْناه "السياق المحايث"؟ وكيف يتداخل القصدان في أداء مشترَك يصل بين توهُج الحال وإبانة البعض من الأسباب النفسيّة والمجتمعيّة والتاريخيّة؟

وبهذا ننتقل من تناصّ تجربة الكتابة العامّ إلى ضرْب من التناصّ الخاصّ، وتحديدا المذكّرات في صلتها بالقصائد التي ظهرت في مطلع سنة 1930؟ كيف نستقرئ متعدّد الأحداث والنصوص في المذكّرات، إن أحَلْنا هذا المتعدِّد على بعض الوقائع الصادمة في حياة الشاعر النفسيّة والمجتمعيّة وثقافته الأدبيّة والشعريّة منها، على وجه الخصوص؟

إنّ قارئ هوامش المذكّرات الدالّة على أزمنة كتابتها بَدْءا بـ 1 جانفي 1930 وانتهاء بـ 2 فيفري 1930، وهوامش القصائد المؤرّخة في هذه المدّة الزمنيّة أو قريبا منها[6] يدرك حضور أثر المذكّرة في القصيدة وحضور أثر القصيدة في المذكّرة، بضَرْب من التنادي استلزمه السياق الخارجيّ الجامع بينهما، وقد تحوّلت آثاره إلى داخل القصيدة والمذكّرة، على حدٍّ سواء، مثلما أضحى نصّ المذكّرة بعضا من سياق القصيدة المُحايث، إن توقّفنا تحديدا عند كلٍّ من مذكّرة الثلاثاء 7 جانفي 1930 وقصيدة "النبيّ المجهول" المؤرّخة كتابةً بـ 21 جانفي 1930.

فتمثّل مذكّرة 7 جانفي 1930 أحَدَ الهوامش المُضمرة لِمَتْن مُعْلَن هو قصيدة "النبيّ المجهول"، كما يمكن اعتبار هذه القصيدة هامشا مُضمرا داخل متن مُعلن هو المذكّرة، إن أقرْنا بأنّ التناصّ ليس استذكارا فحسب، بل هو استباق أيضا، بانفتاح "مكتبة النصّ"، هنا، على السالف والحادث والممكن حدوثا[7].

ولأنّ النصّ "إنتاجيّة" (Productivité)، على حدّ عبارة جوليا كريستيفا (Julia Kristéva)[8]، أي إعادة كتابة لنصوص أخرى سابقة ضمن سياق حادث فإنّ ذاكرته لا تنفي النسيان، كأن تُخفي بنيته لتُظهر، وتُظهر لتُخفي تبعا لمدى اقتدار ذاكرة الكتابة وذاكرة القراءة معا على الكشف عن المُخبّأ لحظة إنتاجه ولحظة تقبّله بسياقيْن مختلفين يتواصلان عند الاستقبال.

وبهذا المنظور يتّضح لنا، وتحديدا ضمن هذه القراءة، التنادي شبه الصريح بين المذكِّرات عامّة ومذكّرة الثلاثاء 7 جانفي 1930، بصفة أخصّ، وبين قصيدة "النبيّ المجهول"، حتى لكأنّ تواتُر المذكّرات وتراكُم حالات التوتّر تفضي في الأثناء إلى إنشاء القصيدة المذكورة، بضَرْب من التنفيس تزَامُنا وتلازما مع تفاقم الشعور بالغربة.

4- غُربةٌ هُنا، وغُربة هناك:

إن توقّفنا عند مذكّرة الثلاثاء 7 جانفي 1930، مع الإحالة على المذكّرات السالفة واللاحقة تؤكّد

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لنا تكاثف الشعور بالغربة: "أنا أشعر الآن أنّي غريب في هذا الوجود، وأنّني ما أزداد يوما في هذا العالم إلاّ وأزداد غربة بين أبناء الحياة وشعورا بمعاني هاته الغربة الأليمة"[9].

ويسترسل الشابي في توصيف هذه الغربة بضرب من الترجيع بواسطة التكرار اللفظي: "غربة من يطوف مجاهل الأرض... غربة الشاعر الذي استيقظ في أسحار الحياة... الآن أدركت أنّي غريب بين أبناء بلادي... أمّا الآن فقد يئست... إنّني طائر غريب بين قوم لا يفهمون كلمة واحدة من لغة نفسه الجميلة... ويقولون: حَدِّثنا عن الحقيقة... ويقولون: صِفْ لنا الحياة... ويقولون: مالك لا تُفكّر في شعرك...؟"

كذا يبدو أسلوب التقديم في نصّ المذكّرة شبيها بالتداعيات التي استلزمت الاسترسال في توصيف حال الغربة وبيان وضع الاختلاف مع الإلماح إلى الآنيّة "أشعر الآن... الآن أدركت... أمّا الآن فقد يئست". وإذا الآنيّة والمكانيّة متلازمان في هذا النصّ المزحوم بالحالات لإكساب عنصر التقديم وهَج الكتابة الشعريّة بظاهر إنشاء الاسترسال، ولكن بموسيقى أو تنغيم هو أعمق أداءً من إيقاع الوزن وتكرار القافية.

ولأنّ المذكّرة مجال قد يتّسع ليشمل كتابة الأحداث والحالات معا فقد انفتح بناؤها في حركة الاطّراد الثانية على السرد: "اجتمعتُ صباحَ هذا اليوم بأديبيْن أعرفهما كثيرا ولا أريد أن أسمّيهما..."[10]، حتى لكأنّ هذه المتوالية الثانية في بنية المذكّرة جملة اعتراضيّة في نسق اطّراد حركة نصّ ينتهي من حيث ابتدأ في وصف حال الغربة.

لقد اعتمد الشابي أسلوب الإفاضة في أداء هذا الاعتراض للتدليل على حَدَث مؤثِّر تمثّل في اختلاف صديقين للشابي حول أدبه: "قال ثانيهما يُخاطبني: إنّ أدبك يا صديقي فنّ غريب لا أظنّه يعيش في تونس... فعَارَضه الأديب الأول قائلا: أراك غلوت كثيرا في حكمك... فأجابه الآخر قائلا: إنّني لا أزال مصرّا على رأيي..."[11].

ولئن غاب هذا الحدث المؤثّر في بَدء المُذكّرة فقد حضر في الأثناء للتدليل الواضح على الدافع إلى حال الضيق والاكتئاب الناتج عن الحكم على أدبه بالغربة التي جعلته يصطدم هو الآخر بحال غربته في المجتمع والوجود.

لذا استعادت المذكّرة في المتوالية الثالثة أسلوب اطّراد الحالات بعد السرد لتتماهى الذات الكاتبة وأحد المواقف في النصّ الشكسبيريّ، وتحديدا "يوليوس قيصر" الذي خاطب أنطنيوس أقرب الناس إليه مندهشا من جَهْلِه له، كموقف الأديب الصديق.[12]

إلاّ أنّ المتوالية الثالثة في بنية المذكّرة ظلّت متردّدة بين السرد ووصف الحال ليتّجه الأسلوب نحو وصف الحال بعد أن تغيّرت الوجهة من الخارج إلى الداخل: "سرْ في سبيلك يا قلبي، ولا تحفل بصفير الأبالسة، فإنّ وراءك أرواحا تتّبع خطاك"[13]، وإذا الغربة حكم نقديّ يولّد حالا تَمَثّل في الشعور الحادّ بالغربة ليتعالق أسلوبان في أداء الحدث والحال معا: كتابة السرد وكتابة الانفعال.

5- "المذكّرات": من الصحو إلى الانقباض:

إنّ قارئ ما قبل مذكّرة الثلاثاء 7 جانفي 1930 لا يلاحظ أيّ وجه للتوتّر، كأن يرد حلم اليقظة الهادئ في مذكّرة الأربعاء 1 جانفي 1930، ووصف الصديق الذي فقد عقله بأسلوب سرديّ تغلب عليه المُحايَدَة لا الانفعال في مذكّرة الخميس 2 جانفي 1930، وسرد بعض الأحداث من حياة يوميّة عاديّة في مذكّرة الجمعة 3 جانفي، والحديث عن نزهة رائقة في مذكّرة السبت 4 جانفي، واصطحاب رفيقين إلى حديقة البلفيدير بتونس العاصمة في نزهة أخرى ضمن مذكّرة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأحد 5 جانفي، وزيارة قاعة المطالعة بجمعيّة قدماء الصادقيّة في مذكّرة الاثنين 6 جانفي.

وإذا الحدث المؤثّر الوارد في مذكّرة الثلاثاء 7 جانفي، وتحديدا في متوالية الاعتراض، يمثّل قادحا غيّر حياة الشاعر النفسيّة من الطمأنينة إلى التوتّر، ومن الفرح إلى الاكتئاب.

أمّا المذكّرات اللاحقة فقد اتّجهت إلى تعميق هذه الحال بالتجاء الشاعر إلى العزلة، كالوارد في مذكّرة الأربعاء 8 جانفي[14] ووصف "ناظر العملة" بأسلوب ساخر لا يخلو من عدوانيّة، مع الاكتفاء بسرد أحداث بسيطة عارضة، ومثل نزعة التفلسف والتفكير بالعبث والتمرّد في مذكّرة الخميس 9 جانفي حيث الاسترسال في الحوار مع الصديق حول الحياة والموت والفائدة من الحياة. وتتأكّد حال التوتّر وانحباس الأفق بالتفكير في الموت وتفاقُم اليأس في مذكّرة الأحد 12 جانفي[15].

ولئن بدت مذكّرة الاثنين 13 جانفي في الظاهر عن وصف الاكتئاب نتيجة التواصُل مع الصديقين زين العابدين السنوسي ومصطفى خريّف فإنّ حَدَث الغياب الجماعيّ عن محاضرته التي كان يُزمع إلقاءها في "النادي الأدبي" يمثّل، حسب تقديرنا، ضاغطا آخر يدفع إلى مزيد التوتّر، وذلك ما يتّضح في مذكّرة الثلاثاء 14 جانفي[16].

ويسعى الشاعر إلى التخفيف من حِدّة هذا الاكتئاب بزيارة "حديقة البلفيدير" دون جدوى، في مذكّرة 16 جانفي، إذ يصرّح بقوله: "آه يا قلبي ! أنت مبعث آلامي ومستودع أحزاني، وأنت ظُلمة الأسى التي تطغى على حياتي المعنويّة والخارجيّة»[17].

وإذا بحثنا في مذكّرة السبت 18 جانفي لاحظنا انشغال الشاعر بتفاصيل تعيينه خلال السنة الثانية من دروس الحقوق في الدائرة العدليّة، حتّى لكأنه يصرف نظره، ولو إلى حين، عن حالة تأزّمه النفسيّ.

إلاّ أنّ اللاّفت للانتباه في هذه المذكّرة تحديدا تلك الإشارة الصريحة إلى مزاجه الخاص: "وأنا رجل عصبيّ لا أحتمل الذُلّ، ولا أستطيع أن أخمد غضبي، فتنجلي الثورة عن شيء جميل جدّا [هكذا]... ! الله أدرى بنتائجه»[18].

إنّ قارئ مذكّرة الاثنين 20 جانفي يلاحظ تكرار الحدث الصادم لنفس الشاعر الوارد في مذكّرة 7 جانفي المرجعيّة، إذ ورد ذكر من كان يعترض على كتابته الشعريّة ويصفها بالغموض الناتج عن كثافة الرمز، وهو زين العابدين السنوسي، مثلما يشار إلى الصديق المُنتصر له الذي قد يكون مصطفى خريّف[19]. وعند قراءة الدلالة المضمرة في نصّ مذكّرة الاثنين 20 جانفي نستشفّ انفعال الشابي الحادّ في الردّ على السنوسي[20].

كما تُلمح مذكّرة الثلاثاء 21 جانفي إلى وجه آخر للتوتّر الناتج، ربّما، عن نقد محمد الحليوي لبعض الآراء الواردة في "الخيال الشعريّ عند العرب" ضمن رسالة بعث بها إليه، وقد استلمها في التاريخ المذكور، رغم تصريح الشابي بقبوله النقد ردّا على الحليوي[21].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

6- ما بين المذكّرة والقصيدة:

حينما نتابع هذا المتراكم من الأحداث والمواقف والحالات نلاحظ أنّ تفاصيل هامّة من حياة الشابي اليوميّة مثّلت سياقا محايثا داخل مذكّرات ما بين 7 و21 جانفي 1930 لإنشاء مجمل المذكّرات بَدْءا، وللحفز على كتابة قصائد هذه الفترة تحديدا، و"النبيّ المجهول" منها على وجه الخصوص.

ولأنّ السياق المُحايث للمذكّرات هو من قبيل التغالُب الحادّ بين اليأس والأمل، مع القول بهيمنة اليأس على الأمل فقد مثّلت قصيدة "النبيّ المجهول" ما هو أبعد من الواقع، بل هو الواقع كما ينظر إليه شعرا، إذ تحوّل مقابل الذات من الصديق المنتقد، سواء كان زين العابدين السنوسي

أو محمد الحليوي أو الاثنين معا أو غياب الأدباء والمثقّفين في محاضرة النادي المُلغاة إلى مسمّى استعاريّ جامع هو "الشعب":

"أيّها الشعب ! ليتني كنتُ حطّابا

فأهوي على الجذوع بفأسي»

وما بَدَا يأسا في حياة المدينة بمختلف وقائعها اليوميّة الواردة في المذكّرات أضحى فرارا إلى الغاب:

«إنّني ذاهب إلى الغاب يا شعبي

لأقضي الحياة وحْدي بيأس»

وما اتّضح شعرا بالدون والغبن والمرارة أمسى رفضًا للآخر (الشعب) واستعلاء بلغ أعلى درجات الكبرياء:

«هكذا قال شاعر، ناول الناس

رحيق الحياة في خير كأسٍ (. . .)

هكذا قال شاعر فيلسوف

عاش في شعبه الغبيّ بتعْسِ».

كذا تتنادى مذكّرات ما بين 7 و21 جانفي وقصيدة «النبيّ المجهول» بمشترك الحال رغم اختلاف الأساليب، بين شاعريّة السرد وسرديّة الشعر المرسل في «المذكّرات» وخاصّة تلك المؤرّخة في 7 جانفي 1930 وبين توهّج حال الرفض والتمرّد في قصيدة «النبيّ المجهول» بشاعريّة لا تخلو من سرد يتجاوز حدود الواقع إلى المتخيّل الذي لا يقطع مع الواقع، بل يسعى إلى إعادة تركيبه ليتّخذ له بالقصيدة صفة التحوّل (métamorphose). فأين الحدّ الفارق، إذن، بين الشعر والسرد، إن وسّعنا دائرة القراءة من مفرد القصيدة إلى المشترك بين المذكّرة والقصيدة؟ وكيف يتحوّل السياق المحايث من المذكّرة إلى القصيدة نتيجة التزامن الكتابيّ بينهما؟ وهل تُمثّل المذكّرة مَتْنا يستدعي إليه هامشا هو القصيدة أم هي القصيدة- المتن تُحيل على هامش هو المذكّرة ضمن منظومة أدبيّة جامعة تصل بين مُختلف الأعمال، كما أسلفنا؟ وما الأبعاد الأخرى للسياق المُحايِث المشترك بين المذكّرة والقصيدة؟

7- عَوْدٌ على بدء: ثقافة الكتابة الأدبيّة عامّة والشعريّة منها، على وجه الخصوص:

يتّسع، هنا، مجال التناصّ عند الإحالة على ثقافة الكتابة، إذ تلتقي الحال والموقف والحدث الواقعيّ مع رؤية/ رؤيا العالم والوجود بتمثّل رومنسيّ ينزع إلى رفض الواقع والتمرّد عليه بما هو أبعد من ثنائيّة الشعر والنثر عند المُراوحة بين المذكّرة والنزر القليل من السيرة الذاتيّة وكتابة القصيدة والرسالة ومحاولة إنشاء السرد القصصيّ والعمل النقديّ، وبتجاوز شاعريّة المطابقة إلى أداء دلالة الإيحاء، وبمقاربة الشعريّة الذي لا يقتصر على مُفرد القصيدة، بل ينفتح على سواها من أساليب الكتابة الأدبيّة ويفتحها في الداخل على الوصف السرديّ والحوار والموقف الحكمي وتنويع الضمائر بسيادة الأنا المتكلّم تشبّثا بالإنشاد بَدْءًا ومرجعا وفي الأثناء.

كذا الغربة باعتبارها والدة مرجعيّة في مذكّرة 7 جانفي يقابلها التمرّد في قصيدة "النبيّ المجهول". وإن بدت وليدة وقائع وانفعالات يوميّة فهي وليدة ثقافة أدبيّة أيضا، كأن يذهب محمد فريد غازي في كتابه "الشابي من خلال يوميّاته" إلى أنّ هذه الغربة تُمثّل تناديا آخر بين عبارة الشابّي وكلمة جبران خليل جبران وألفاظ شعراء آخرين قرأ لهم الشابي وتأثّر بهم[22].

إنّ قارئ مذكّرة 7 جانفي 1930 وقصيدة "النبيّ المجهول" للشابي و"العواصف" و"الأجنحة المتكسّرة" لجبران خليل جبران يستنتج، دون كبير عناء، واقع التنادي بين هذه النصوص، استنادا إلى الأمثلة التالية:

أبو القاسم الشابي	جبران خليل جبران
- أشعر الآن أنّي غريب في هذا الوجود، وأنّني ما أزداد يوما في هذا العالم إلا وأزداد غربة بين أبناء الحياة وشعورا بمعاني هاته الغربة الأليمة . . . - أمّا الآن فقد يئست. إنني طائر غريب بين قوم لا يفهمون كلمة واحدة كمن فهم لغة نفسه الجميلة (. . .) وتلك هي مأساة قلبي الدامية. (مذكرة 7 جانفي 1930) - إنّني ذاهب إلى الغاب يا شعبي لأقضي الحياة وحدي بيأس إنّني ذاهب إلى الغاب علّيَ في صميم الغابات أدفن بؤسي (قصيدة «النبيّ المجهول»)	- أنا غريب في هذا العالم. أنا غريب وفي الغربة وحدة قاسية ووحشة موجعة. . . (كتاب «العواصف») - للكآبة أيد حريريّة الملابس قويّة الأعصاب تفيض على القلوب وتؤلمها بالوحدة. فالوحدة حليفة للكآبة. كما أنّها أليفة كلّ حركة روحيّة. . . («الأجنحة المتكسّرة»)

كذا الغربة أو الألم في مذكّرة 7 جانفي 1930 وقصيدة "النبيّ المجهول"، على سبيل المثال لا الحصر، تجربة وجود ومَجْمَع أصداء لقراءة / قراءات يعتبر جبران خليل جبران أهمّ أصواتها المرجعيّة واستعداد نفسيّ تبعا لمِزاج حادّ صرّح به في مذكّرة 18 جانفي 1930، وهو الذي يدفع عادة إلى المبالغة في تقبّل الوقائع الصّغرى والتخيُّل وتوجّس الخطر في كل حين والنزوع في الغالب إلى الغضب أو الاكتئاب.

أمّا النصّ الجبرانيّ، باعتباره أحد المراجع المذكورة لتجربة الكتابة الشابيّة فهو في ذاته مَجْمَع أصداء لنصوص- تجارب أخرى، كأنْ نذكر شيوع الغربة والألم والتغنّي بعذابات الإنسان في الوجود الانقليزيّ جون كيتس (John Keats) (1795-1821)، على سبيل المثال لا الحصر.

8- من قبيل الخاتمة: تَنَادِي الأصوات والأصداء، أو لعبة المتون والهوامش:

تتنادى القصائد في ديوان "أغاني الحياة" بضَرْب من تراكم تجربة الكتابة تتخلّله إبدالات كبرى يُمكن اعتبارها القصائد المرجعيّة أو القصائد- الأصوات في حين تمثّل قصائد الفجوات أو الما-بين في النسق التراكميّ أصداء ضمن مسار الحركة الشعريّة العامّ للديوان. مثلما تتنادى مُجمل القصائد دون تمييز بين أمّهات القصائد وتابعاتها، وأعمال الشابي الأدبيّة الأخرى.

ولأنّ "السياق المحايث" هو ذلك الهامش الماثل في المتن فإنّ موقع القراءة وقَصْديّتها يحدّدان مفهوم كلّ منهما، أي النصّ والسياق معا، كمذكّرة 7 جانفي 1930 فهي في ذاتها متْن استقدم إليه سياق الأحداث اليوميّة، وهي بعضٌ من الهوامش، إن حوّلْنا النظر القِرَائِيّ إلى "النبيّ المجهول".

إلاّ أنّ الشعريّ حاضر في "المذكّرات" حضوره في قصائد "أغاني الحياة"، ومجال اشتغاله يشمل كلّ الأعمال. لذلك تحيل أبعاد التخييل في "النبيّ المجهول" على تلك الوقائع الصادمة بانزياح الكتابة الشعرية عن الوقائع المباشرة أو بالهواجس والاستيهامات (fantasmes) وخيالات الوقائع أو أطيافها تدفع إلى مزيد من اليأس الذي لا يخلو من أمل عند النظر في ما هو أبعد من الدلالة المُعْلَنَة. مثلما تشتمل مذكّرة 7 جانفي على وهج الشعر في ذاتها، وتستبق مجمل مذكّرات ما بين 7 و21 جانفي البعض الكثير من وَهَج الروح الشعريّة في "النبيّ المجهول".

أليس الخروج، هنا، من مَطَبّ القول الجازم حَدّ الوثوقيّة بثنائيّة الشعر والنثر التقليديّة يفتح الآفاق واسعة لمقاربة، أو مقاربات أخرى تناصيّة تسلّط الأضواء على بُؤر أخرى لا تزال غامضة إلى اليوم في تجربة الكتابة الشابيّة؟

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوامش:

1 انظر «مشاركة في دراسة أبي القاسم الشابي» لتوفيق بكّار، حوليّات الجامعة التونسيّة، عدد 2، 1965.
وقد أحال الباحث على الشيخ زين العابدين السنوسي في فصل تأبينيّ نشره بعد وفاة الشاعر في «العالم الأدبيّ»، السنة 4، العدد 1، 12 نوفمبر 1934، وعلى مقال آخر له نُشر بمجلة «الأفكار»، العدد 2، ديسمبر 1936.

2 «واختلاف بلاد الأندلس عن جزيرة العرب في الهواء والمشهد وطبيعة الأرض، كلّ هذه الأسباب قد عملت عملها فأثّرت في الأسلوب الأندلسيّ وطبعته بطابع تلك الأرض الجميلة وصقلته بصقيل ذلك الوسط فأصبح أنيقا رشيقا يحاكي هواء الأندلس لطفا ورقّة...»، أبو القاسم الشابي، «الخيال الشعريّ عند العرب»، الدار التونسية للنشر، ط 3، 1985.

3 صدر في القاهرة، 1934.

4 «نثر الشابي ومواقفه من عصره»، إعداد وتقديم أبو القاسم محمد كرّو، «الشابي»، المجلّد الثاني، تونس: دار المغرب العربيّ، ط 1، 1994.

5 Martin Heïdegger، « Approche de Hölderlin »، Gallimard، 1962.

6 نشير إلى كلّ من «النبي المجهول» (21 جانفي 1930) و«الأبد الصغير» (19 فيفري 1930) و«صفحة من كتاب الدموع» (7 جوان 1930) و«الجمال المنشود» (19 جويلية 1930) و«طريق الهاوية» (19 جويلية 1930) و«شجون» (28 أكتوبر 1930) و«الأشواق التائهة» (26 ديسمبر 1930) والغالب على قصائده هذا العام (1930) هو الحزن والألم والشعور الحادّ بالخواء والخوف من المصير. ولعلّ لموت الأب تأثيرا عميقا في نفس الشاعر، إن أحلنا على «يا موت» (1 أكتوبر 1929) و«إلى الله» (29 أكتوبر 1929) حيث وَقَع كارثة اليُتم.

7 Tiphaine Samoyaul، « L'intertextualité، mémoire de la littérature »، France : Nathan، 2001.

8 السابق، ص 9-10.

9 أبو القاسم الشابّي، «المذكّرات»، الدار التونسيّة للنشر، ط 4، ص 31.

10 السابق، ص 32.

11 السابق، ص 32-33.

12 «حتى أنت يا أنطنيوس. أجل! فقد كنتُ حسبتُ أنّه خير من فهمني».

13 السابق، ص 34.

14 «لم أغادر المدرسة سحابة هذا اليوم، فقد كان النهار كئيبا متجهّما تلبّدت في سمائه غيوم كثيرة». السابق، ص 35.

15 «ليس لديّ ما أكتبه الآن عن نهاري هذا. ولعلّ خيرا لي أن أذهب إلى فراشي وأنام، لأنسى في عالم الأحلام مشاهد هذا الوجود السخيف وآلام القلب المُرّة الموجعة». السابق، ص 44.

16 «أشعر اليوم بفتور في بَدَني، وبتوعّك في مزاجي، ولا أدري مأتاه، وأحسّ بكآبة عميقة تستحوذ على مشاعري وتقبض على قلبي وتجعلني أكره الكتب والأسفار والمحابر والأقلام». السابق، ص 50.

17 السابق، ص 52.

18 السابق، ص 55.

19 دار حوارٌ بين الشابّي والسنوسي، وهو من قبيل الحوار الوارد في مذكّرة 7 جانفي.

20 «فقلت له: لك أن تسمّي طريقتي بأيّ الأسماء التي تشاء، فأنا لا أعرف كيف أسمّي، ولا يهمّني معرفة أسمائها (...) وإنّما الذي يهمّني والذي أودّ أن تعرفه، هو أن أدعو إلى الطريقة التي تسكن إليها نفسي، ويرتضيها ضميري ما استطعت إلى الدعوة سبيلا». السابق، ص 57.

21 «كأنّه يحسب - سامحه الله - أنّ انتقاده عليّ ربّما يثير حفيظتي، ويحرّك في نفسي عوامل الغضب...»، السابق، ص 59-60.

22 «فكرة الشابي هذه مستقاة من فيض يُنبوع الإبداعيّة الغربيّة التي تروّى بها شاعرنا من خلال جبران، ومن خلال «رفائيل» للامارتين و«ورتر» لغوته الألماني، ترجمة الزيّات...» إنّني طائر غريب (...) «أليست هذه بعينها الفكرة التي تغنّى بها «شاعر الهاوية «شارل بودلير في قصيدته «القطرس» (L'albatros)». محمد فريد غازي، «الشابي من خلال يوميّاته»، الدار التونسيّة للنشر، ط 3، 1987، ص 48.

إشكاليّة التجنيس في أدب الشابي:

قصيدة النّثر

بقلم: محمد الصالح البوعمراني

تثير المسألة الأجناسية مع الرومنطيقيّة جدلا كبيرا، سواء كانت الرومنطيقيّة الغربيّة أو الرومنطيقيّة العربيّة، فقد مثّلت كلتاهما ثورة على المنظومة الأجناسية التقليدية، وعلى حدودها الصارمة، فانفتحت الحدود بين النّثر والشعر، وتبلورت معالم أجناس جديدة، والتبست مسألة تجنيس نصوصها على النقّاد، واستعصى الحسم في انتماء أثر مّا إلى جنس ما.

وننظر في هذه الدّراسة في جنس مخصوص اختلف النقّاد في نسبته إلى الرومنطيقيّين، وهو قصيدة النّثر. فرغم قرب هذا الجنس وحداثة نصوصه إلا أن الخلاف قائم إلى اليوم حول بداياته الحقيقيّة. فجمهور النقّاد يرى أن فترة خمسينات القرن العشرين هي مرحلة التأسيس الحقيقيّ لقصيدة النثر، مع أنّ شعراء مثل أنسي الحاج ومحمد الماغوط وجبرا إبراهيم جبرا وأدونيس ويوسف الخال وغيرهم، حيث وجدت هذه القصيدة في مجلّة «شعر» خير حاضن لها ولروّادها، (واستطاعت بعد ذلك أن تثبّت أقدامها وترغم أنصارها وخصومها على الاعتراف بشرعيتها). وحاول آخرون إرجاع قصيدة النثر إلى الأدب الرومنطيقي وأدب أمين الريحاني وجبران خليل جبران خاصّة في ما سُمِّي حينها «الشعر المنثور». في حين راح البعض الآخر يبحث عن جذور لهذا الجنس في التراث الأدبيّ، فأرجعوه حينا إلى المتصوّفة، وأحيانا إلى الجاحظ والتوحيدي وغيرهم.(1)

وإنْ كنّا نخرج هذا الرأي الأخير من دائرة اهتمامنا لتفاهته، ولمحاولة أصحابه البحث عن أصل في التراث لكلّ وافد جديد، هكذا فعلوا مع الأقصوصة والرواية والمقالة وغيرها من الأجناس، فإنّ الرّأيين الأوّلين في حاجة إلى وقفة تأمّل.

الرأي الأول الذي يكاد يُجمع عليه النقاد يستند أساسا إلى استواء هذا الجنس قائم الذات نصّا ومصطلحا، فتاريخ ميلاد الجنس هو تاريخ ميلاد المصطلح، ولا حضور لمصطلح "قصيدة النّثر"(2) قبل فترة الخمسينات. وهؤلاء النقّاد يولون أهميّة للنصوص التي كتبت قبل هذا التاريخ، إمّا بتجاهلها حينا أو بنفس انتمائها إلى قصيدة النّثر كما تعارف عليها النقاد والمبدعون في هذه المرحلة حينا آخر. وفي أقصى الحالات الحديث عن هذه المرحلة باعتبارها مرحلة تمهيديّة لقصيدة النّثر الحقيقيّة. وما "الشعر المنثور" في تصوّرهم سوى نثر شعريّ

أمّا الرأي الثاني، ويتبنّاه نقّاد كبار، بل وممّن يكتب قصائد النثر، مثل أدونيس(3) ومحمد بنيس(4)، فإنّهم يتحدّثون عن قصيدة نثر قبل ذلك وتحديدا في أدب جبران، حيث اتّفق على وسم هذا الجنس حينها بالشعر المنثور.

أمّا الحديث عن قصيدة النثر في شعر الشابي فهو حديث متأخّر نسبيّا(5)، يرجع أساسا إلى ما

نشره أبو القاسم محمد كرّو وما كتبه حول نصوص للشابّي ردّها إلى قصيدة النثر، ثمّ وقعت الإشارة إلى القضيّة مجدّدا من طرف سوف عبيد مضيفا نصوصا أخرى إلى نصوص كرّو.[6]

إنّ الحديث عن "قصيدة النّثر" في شعر الشابي لا يمكن أن يكون أمرا واضحا إلا في ظلّ تشكيل رؤية حول سرّ الخلاف في أصل النشأة، نشأة الأجناس، وتشكيل رؤية حول المسألة الأجناسيّة عموما، ورؤية حول علاقة نصوص الشابي بقصيدة النّثر الجبرانية أوّلا والحديثة ثانيا.

1 ـ سرّ الخلاف في أصل النّشأة:

غالبا ما كان البحث في تاريخ نشأة الأجناس محلّ خلاف بين الباحثين والدّارسين، يكفي أن نذكر في عصرنا الحديث اختلافهم حول بداية جنس الأقصوصة، والرواية، والشعر الحرّ، وصولا إلى قصيدة النثر، هذا الاتفاق على الاختلاف في نشأة الجنس يبدو أمرا لافتا ولا يمكن أن نرجعه إلى مجرّد الصدفة، أو إلى ترف نقدي يستهوي البعض ويجعلهم يبحثون عن الخلاف والاختلاف. المسألة في اعتقادنا أعمق من ذلك، وتتعلّق بطبيعة الأجناس الأدبيّة نفسها، أو بالأحرى بطبيعة نشأة الجنس وبروزه إلى الوجود جنسا قائم الذات، أن توضيح هذا الأمر يقتضي منّا الإجابة عن سؤال كيفيّة نشأة الأجناس؟ فتحديد رؤية تتعلّق بنشأة الأجناس سيخوّل لنا النّظر إلى ما يسمّى قصيدة النّثر في شعر الشابي بصورة أكثر موضوعيّة.

نشأة الأجناس تتحكّم فيها، في التصوّر الذي نبنيه، ثلاثة مبادئ: مبدأ التدرّج، ومبدأ المزج، ومبدأ التراكم.

– مبدأ التدرّج[7]: يتطوّر الجنس الأدبيّ من نموذج، يمكن أن نسمه بالنموذج الطّرازيّ وهو النّموذج الذي يعتبر الممثّل الأفضل لجنسه، وصولا إلى النصوص غير الطرازيّة، في شكل من التطوّر التدرّجي الذي يمكن أن نشبّهه بالتحوّل التدريجي في شبكة الألوان، فليس هناك ألوان شديدة الوضوح منفصل بعضها عن بعض، إنّما ننتقل مثلا من الأبيض إلى الأسود أو من الأحمر إلى الأصفر بعد تحوّلات متنوّعة من الألوان. وكذلك شأن النصوص الأدبيّة فهي تبتعد شيئا فشيئا عن النموذج الطرازي حتى تفقد صلتها بأصلها، ولكن أين بالضّبط يمكن القول إنّنا انتقلنا من الأسود إلى الأبيض أو من الأحمر إلى الأصفر فهذا ما لا يمكن الحسم فيه. من هذه الزاوية يمكن أن نفهم الاختلاف بين النقّاد في التحديد الدّقيق لميلاد الجنس، لأنّ العمليّة بكلّ بساطة هي عملة تدرّج وليست عمليّة حسم.

مبدأ المزج: والواقع أنّ التحوّل في الألوان هو نتاج عمليّة "مزج" متواصل بين لونين مختلفين أو أكثر. وعمليّة المزج هذه هي التي تحكم نظام تفكيرنا، وتؤسس لتصوّراتنا، ونشأة الأجناس وتطوّرها لا يشذّ عن هذه القاعدة حيث تتحوّل الأجناس عن طريق التداخل والتفاعل بينها وبين أجناس أخرى إلى الحدود التي يولد فيها جنس جديد مختلف من الأجناس التي وقع الدّمج فعن طريق هذا الدمج يولد ما يسميه فوكنيي وتيرنير بـ "الفضاء الدّمجي"[8]، الذي يمثّل في سياقنا هذا الجنس الأدبيّ الجديد. ويمكننا أن نعتبر أنّ نشأة الأجناس الأدبيّة هي تجلّ من تجليّات "المزج التصوّري الذي يحكم أنظمتنا التصوريّة، ويؤسّس لجانب كبير من ممارساتنا الحياتيّة، وهو ما تعكسه الطّبيعة أيضا في نشأة عناصرها الجديدة، حيث أنّ الإنسان نفسه هو نتيجة عمليّة مزج بين عنصرين مختلفين، وبالمزج بين شجرتين مختلفتين نتحصّل على ثمرة جديدة، وبالمزج بين جنسين مختلفين من الحيوانات نتحصّل على جنس جديد، وكذا يفعل علماء الجينات اليوم بدمجهم بين جينات مختلفة لإنتاج أنواع أفضل[9]. لذلك نذهب مع تودوروف (T. Todorov) إلى القول بأنّ الأجناس متأتيّة بكلّ بساطة من أجناس أخرى. ولكنّ هذا الجنس قد تخوّل له الظروف الموضوعيّة المحيطة به فيولد مكتملا وينمو ويتطوّر. وقد يولد ضعيفا،

ولا يتكيّف مع محيطه الطبيعيّ فيموت حتى دون أن يسمّى. لذلك فإنّ كلّ محاولة لـ «تخنيث» قصيدة النثر، هي محاولة لا تفهم طبيعة تطوّر الأجناس في حدّ ذاتها.

- مبدأ التراكم: إنّ أمر ميلاد جنس جديد لا يقتصر على عمليّة الدّمج، ولا يؤدّي كلّ دمج إلى ميلاد جنس جديد. فالأمر يستدعي مبدأ آخر به يتحقّق ميلاد الجنس وبه يكتسب الشرعيّة، حتى لا يبقى نصّا لقيطا. هذا المبدأ هو مبدأ التراكم. وهذا الإشكال تطرحه نصوص الشابي فهل حقّقت نصوص الشابي من التراكم ما يسمح بوسمها بـ«قصيدة نثر»، وما يسمح بالحديث عن شرعيّة جنس جديد؟

قبل أن نبحث في شرعيّة الجنس يجب أن نتساءل أوّلا عن شرعيّة السؤال. فهل كانت نصوص الشابي هي المؤسّسة لقصيدة النثر، لا نعتقد ذلك بكلّ بساطة لأن المؤسس الحقيقيّ لقصيدة النثر هو جبران، بالتراكم الذي حقّقه هذا الجنس في مدوّنته، وبوعيه النقدي بهذا الجنس، حيث أن الرجل كان على اطّلاع على ما كتبه نظراؤه الغربيون في هذا الضّرب من الكتابة، وأيضا بالمميزات التي وسمت قصيدة النثر عنده. لذلك لا يمكن في اعتقادنا قراءة نصوص الشابي المنتمية إلى هذا الجنس إلا في ضوء ما كتبه جبران من نصوص مشابهة لها، خصوصا وأن الشابي يتكئ بنسبة كبيرة جدا على النّثر الجبرانيّ. فما كتبه الشابي لا يخرج في ما نعتقد عمّا كتبه جبران في ما نتصوّر أنّه قصائد نثر.

2. في إشكاليّة تعريف الجنس:

نعتقد أنّ جانبا كبيرا من خلاف النقّاد حول التأريخ لقصيدة النّثر، وخلافهم حول قصيدة النثر في أدب الشابي، يرجع إلى اختلاف في تعريف «قصيدة النثر» ذاتها، بل إنّ هذه المعضلة تمتد لتشمل أغلب الأجناس، فإشكاليّة التّحديد هي التي توقع اللّبس، إذ غالبا ما يضبط كلّ ناقد حدوده الخاصّة التي يُخضع لها كلّ نصّ ويحكم على انتمائه لهذا القالِب أو تجاوزه هذه الحدود وبالتالي خروجه عن الجنس. وهذا مبدأ يرجع إلى التصنيف المقوليّ الأرسطيّ، مبدأ «الشروط الضروريّة والكافية». وهذه مشكلة الأجناسيّة التقليديّة بصورة عامّة.

ولعلّ من أشهر التعريفات التي تداولها النقد العربي هو تعريف سوزان برنار، فرغم إقرارها بصعوبة الظّفر بتعريف يضبط قصيدة النثر، ويمكن أن تندرج ضمنه جميع التحقّقات النصيّة المندرجة تحت إطار هذا الجنس، إلا أنّها تنتهي إلى ثلاث خصائص مميّزة، في اعتقادها، لهذا الجنس:

1- أوّل الحدود التي تميّز قصيدة النّثر هو «الوحدة العضويّة»، تقول: «سبق لي أن قلت إنّ قصيدة النثر تفترض إرادة واعية للانتظام في قصيدة، وينبغي أن تكون وحدة عضويّة مستقلّة، مما يتيح تمييزها من النّثر الشعريّ الذي هو ليس غير مادّة، وشكل من الدّرجة الأولى إن شئنا، يمكن انطلاقا منه أن نبنيَ مقالات وروايات وقصائد.

وسوف يقودنا ذلك إلى التسليم بمعيار الـ«الوحدة العضويّة»: فمهما تكن القصيدة معقّدة وحرّة في مظهرها فإنّ عليها أن تكون وحدة واحدة، وعالما معلّقا، خشية أن تفقد صفتها كقصيدة».[1]

2- الحدّ الثاني الذي تقوم عليه قصيدة النثر في نظر سوزان برنار هو "المجّانيّة"، تقول: "ولنسلّم مع هذا بأنّه ليس للقصيدة أيّة غاية بيانيّة أو سرديّة خارج ذاتها. وإذا كان بمستطاع القصيدة استخدام عناصر سرديّة وصفيّة، فذلك يشترط تسميتها، و"تشغيلها" في مجموع ولأغراض شعريّة بحتة، وهنا يبرز عنصر الـ"المجانيّة" (. . .) ويمكن أن نضيف أنّ فكرة المجانيّة يمكن أن تحدّدها فكرة اللازمنيّة" في الحدّ الذي لا تتطوّر فيه القصيدة نحو هدف، ولا تعرض سلسلة أفعال أو أفكار ولكن تظهر للقارئ "حاجة" وكتلة لا زمنيّة".[1]

ويكوّن بذلك لقصيدة النثر عالمها الذاتيّ، الذي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يبني نظامها الداخليّ بعيدا عن كلّ غائيّة خارجيّة، فليس لها غائيّة إلاّ في ذاتها.

3- أمّا الحدّ الثالث فيتمثّل في "الايجاز"، فقصيدة النثر يجب أن تتلافى الاستطرادات في الوعظ الخلقي وما إليه، كما عليها أن تتلافى التّفصيلات التفسيريّة، وكلّ ما يؤول بها إلى عناصر النّثر الأخرى، وكلّ ما قد يضرّ بوحدتها وكثافتها".[1]

وتربط برنار بين خاصيّة "الإيجاز" والغنائيّة، فأغلب القصائد النثريّة تقوم على ضمير "الأنا".

في حين لجأ آخرون إلى معايير أخرى ضبطوا من خلالها مميّزات قصيدة النثر، وقد ركّز أغلب الدّارسين على ميزتين أساسيتين من خلالهما تتشكّل قصيدة النثر جنسا قائم الذات، وتتميّز وتخلق طاقتها الشعريّة وهما "الإيقاع" و"الصورة الشعرية".[1]

ولكنّنا مثلما سنبيّن أن هذه الخصائص لا يمكن أن تمثّل خصائص ثابتة في قصيدة النّثر، وهي أيضا ليست خصائص تمييزيّة:

- فخاصيّة "الوحدة العضويّة" التي تجعل منها سوزان برنار شرطا أساسيّا تقوم عليه قصيدة النثر لا يبدو في اعتقادنا مبدأ تمييزيّا، بمعنى أنّه لا يبدو مقصورا على قصيدة النثر، فالوحدة العضويّة خاصيّة يُطلب تحقّقها في كلّ الأجناس الأدبيّة، وعلى أيّ حدّ ليكون مقبولا يجب أن يكون مميّزا للجنس عن غيره من الأجناس.

- وخاصيّة "المجّانيّة"، خاصيّة يمكن أن تتوفّر في كلّ عنصر شعريّ، وهي لا تميّز بالضرورة قصيدة النثر.

- أمّا الايجاز، ويقصد به عادة التكثيف والقصر، أما التكثيف فيميّز كل ممارسة شعريّة بل قد يمتدّ إلى الممارسة القصصيّة، وأما القصر فالممارسة الشعرية تنفيه، فالعديد من القصائد النثريّة تمتد على كتاب كامل.

- أمّا الايقاع وإن كان لا يعتمد على مولّداته العروضيّة في قصيدة النّثر فإنّه ليس خاصيّة تمييزيّة لها، ولا يمكن أن يكون سمة تُعرّف بها قصيدة النّثر دون غيرها من الأجناس. وبالأحرى يمكن من هذه الزاوية تعريف قصيدة النثر بالسّلب لا بالايجاب فهي القصيدة غير الخاضعة للوزن سواء كان وزنا خليليّا أو وزنا على نمط الشعر الحرّ.

- أمّا الصورة الشعريّة والمقصود بها الصّور الدلاليّة خاصّة، فهي وإن كانت سمة طرازيّة في قصيدة النّثر، فهي كذلك في الشّعر بمختلف أنواعه، كما أنّ قلّة حضورها في نصّ ما لا يمنع من اعتباره قصيدة نثر لأنّ جماليّته قد تتولّد من جوانب أخرى.

إنّ قصيدة النثر يمكن إذن أن تكون دون أن تتوفّر إحدى هذه الخاصيّات، بل يمكن أن تكون في ظلّ غياب لجميع هذه الخاصيّات. والأهمّ من ذلك أنّه لا خاصيّة، في اعتقادنا، ثابتة، يمكن أن نجدها في كلّ النصوص. فالنّصوص المندرجة في إطار هذا الجنس مختلفة فيما بينها اختلافا كبيرا بحيث لا يمكن أن نجد جامعا يمكن أن يجمع بينها، أو مشتركا يمكن أن تلتقي عنده. يقول جوليان رومات (J. Roumette): «إنّ هذه الطبيعة المتمرّدة لقصيدة النّثر هي ما يجعل منها بالفعل أحد الأشكال الأكثر حريّة، وأكثر أشكال الشعر الحديث عدم استقرار أيضا ! (...) فهي وليدة استبعاد لأجناس الطّور الكلاسيكيّ، ترفض أن توصف باعتبارها جنسا جديدا لأنّها تنوّعٌ في الشكل، وغياب لإكراه قويّ في الموضوع والأسلوب، وحريّة إبداع يعلنها ويطالب بها كلّ شاعر. وهذه الخصائص هي سماتها الكبرى إلى حدّ يَحْسُن معه الحديث - في غياب تعريف دقيق وشامل- عن قصائد نثر بدل قصيدة نثر».[1] وهذا ما دعانا إلى فهم الجنس وفق وجهة نظر طرازيّة، حيث يمكن أن تجتمع التحقّقات النصيّة لهذا الجنس في مقولة واحدة دون أن تشترك في جملة شروط ضروريّة وكافية، كما هو الحال في التّصنيف الأرسطيّ. لذلك فتبنّي قالب معيّن يقوم على جملة شروط ومحاولة إخضاع كلّ نصّ له لإقرار انتمائه إلى الجنس أو خروجه عن حدوده،

هو سبب من الأسباب التي أدّت إلى تجاهل قصيدة النّثر قبل الخمسينات. لقد كان أنسي الحاج أكثر وعيا بطبيعة الجنس عندما رفض حصره في قوالب جاهزة، قد تحدّ من إمكانيّاته.[1]

3 ـ الانتماء الأجناسيّ والخارج نصّي:

نعتقد أنّه من التصوّرات الخاطئة السائدة في التصنيف الأجناسيّ الاعتماد على النصّ وحده سبيلا إلى تحديد انتمائه الأجناسيّ، وقد تدعّم هذا التصوّر مع الأدبيّات البنيويّة التي همّشت كلّ ما يقع خارج النصّ وأعطت المنجز اللغويّ الأولويّة في النظر. والمنجر اللغويّ، على ما نعتقد، لا يكفي وحده لتحديد انتماء النصّ. فللسياق الثقافيّ من جهة وللسياق الإيديولوجي من جهة أخرى الدّور الأهم في تصنيف النصّ. فاستجابة نصّ ما لمقتضيات قصيدة النثر لا يكفي وحده للإقرار بانتمائه إلى هذا الجنس، وكذا أمر الأجناس الأخرى. وهذه إحدى الأسباب التي جعلت البعض يتحدّث عن الأقصوصة في التراث العربيّ القديم، بل أيضا عن الرواية وقصيدة النثر. فنفس النصّ لو افترضنا أنّه كتب في فترات تاريخيّة وثقافية مختلفة، سيكون في كلّ مرة منتميا إلى جنس أدبيّ مختلف. فرسالة الغفران لو كتبت في عصرنا لجعلناها دون نقاش رواية، ولكن في عصرها لا يمكن أن تكون إلا رسالة، وإن كانت رسالة غير طرازيّة. وبعض الخرافات لو كتبت الآن لكانت أقاصيص بل لو كتبنا نادرة لكانت أقصوصة ولو كتبنا حكاية لكانت أقصوصة ولو كتبنا مقامة لكانت أقصوصة، لأن الأقصوصة استوعبت جميع هذه الأجناس القصصيّة القصيرة. لذلك فإنّ ما يسمّيه يوري لوتمان الخارج النصّي[1] يلعب دورا مهمّا في تحديد طبيعة الجنس. والنظام الثقافيّ السائد هو تعبير في آن عن نظام معرفيّ سائد وعن نظام إيديولوجيّ سائد. وغالبا ما يكون هناك توافق بين النّظام المعرفيّ والنظام الإيديولوجيّ.[1]

إنّ النظام الثقافيّ قد يقف حاجزا أمام أجناس قد لا تتوافق مع ثوابته المعرفيّة والإيديولوجيّة، ويظلّ ذلك الجنس في حيّز الكمون حتّى تتوفّر له الظروف الموضوعيّة، أو الظروف الثقافية التي يُعلن فيها عن شرعيّة وجوده.

إنّ تحالف المعرفيّ والإيديولوجيّ يتحكّم بدرجة كبيرة في انبثاق أجناس جديد، وإعطائها شرعيّة الوجود. "الجنس ليس معطى ثابتا، وإنّما هو خاضع لسلسلتين من الضغوط: ضغوط متأتّية من السياق الاجتماعي الثقافيّ الأكبر، وضغوط داخلة في السياق الأدبيّ، لنا أن نمثّلها بجدليّة الأجناس ومن ورائها الآثار".[1]

وإذا تأمّلنا في السياق الثقافي الذي ولدت فيه نصوص الشابي، نتبيّن بنسبة كبيرة انتماء هذه النصوص إلى المناخات الجبرانيّة في الكتابة، وإلى ممارسة جبران لقصيدة النثر. فقد وجد "الشعر المنثور" اهتماما نقديّا في عشرينات القرن العشرين في المشرق العربيّ، في خضمّ الجدل الدائر حول ما كان يكتبه جبران خاصّة، ووصل هذا الجدل إلى المشهد الثقافي التونسي إذ نجد زين العابدين السنوسي يكتب في إحدى مقالاته سنة 1927: "أكتب عن الشعر النثريّ لأنّه نثر في مادّته تستند روحه إلى الشعر. ولكن ما حيلتي وقد سبقني المشارقة إلى تسميته كذلك في لغتنا، فلم أر مندوحة من اتّباعه. وقلت لنغضّ عن المتبادر والمعاني الأصيلة لهذا التركيب، ولنقل مع من يقول: "لا مشاحة في الاصطلاح"[1]. كما نجد في هذا المقال إشارة إلى الجدل الدائر حول ترجمة هذا المصطلح، وهل هو تعبير عن المصطلح الفرنسي Poème en prose.

ليكتب أبو القاسم الشابي، بعد ذلك بمدّة وجيزة، سنة 1928، أوّل قصيدة نثر تونسيّة، يقول أبو القاسم محمد كرّو: «إنّ أقدم نص تونسيّ حديث في قصيدة النثر نجده منشورا عام 1928 بتوقيع «أبو القاسم الشابي» وبتقديم وعناية راعي الأجيال المرحوم زين العابدين السّنوسي».[2] ونشر هذا النصّ تحت باب "الشعر المنثور".

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والشابي نفسه في بعض مراسلاته يشير إلى وعيه بطبيعة ما يكتب من "شعر منثور" كما وسم حينها.

ولكنّ الأمر لا يتعلّق في اعتقادنا بما كتبه الرومنطيقيّون في هذا الجنس بل يمتدّ ليشمل ما كُتب في أواخر الأربعينات وبداية الخمسينات، إذ وقع تهميش لما كتبه جبرا إبراهيم جبرا أواخر الأربعينات، وحتّى ما كتبه محمّد الماغوط من قصائد نثر اتّبعت في بنيتها نظام السّطر الشعري في الشعر الحرّ لم تُنسب إلى قصيدة النّثر، وإنّما إلى الشعر الحرّ أو ما سمّي حينها بالشعر المطلق وجبرا يسم ما كتبه من قصائد نثر بالشعر الحرّ(2).

وأضحت البداية الحقيقيّة لقصيدة النّثر مع مجلّة شعر، وعددها الرابع تحديدا، وفي هذا الإطار يمكن أن نفهم الأسباب التي جعلت الفكر النقديّ يشرّع لهذه الولادة دون غيرها:

* تجمّع هؤلاء الشعراء حول مجلة شعر، مما أعطى هذه النصوص شرعيّتها. في حين كانت الأصوات قبل هذه البداية أصواتا منفردة، كأنّها تغرّد خارج السرب.

* مواكبة هذا الإنتاج بجدل نقديّ، وبمحاولة البحث عن تعريف لهذه القصيدة.

* تبلور المصطلح بصورة نهائيّة مع أدونيس. وقبل هذا التّبلور كانت مصطلحات مثل الشعر الحرّ والشعر المنثور والشعر المطلق تحيل إلى نفس المنجز النصّي.

* هناك تحوّلات اجتماعيّة وسياسيّة واكبت هذا الحسّ التجديدي، في حين كان صوت الموروث أكثر قوّة زمن الرومنطقيّين.

* كان جبران يغرّد منفردا، وانتهت هذه الموجة من قصائد النّثر بموته، ولم تُعرف القصائد القليلة التي كتبها الشابي ولم يكن لها أيّ تأثير على المشهد الأدبيّ في عصره ولا بعده.

يجب أن نعي أنّ المسألة ليست مسألة حسم، وإقرار صارم بالانتماء الأجناسيّ لنصّ من النصوص وإلا وقعنا في التصوّر التقليديّ الذي بنينا رؤيتنا على هدمه، فالمسألة من جهة هي مسألة تدرج واختلاف في النقطة التي نُقرّ فيها التحوّل من جنس إلى آخر، وهي من جهة أخرى زاوية نظر وطريقة إدراك، فيمكن للنصّ الواحد أن ينتمي إلى أكثر من جنس، وعلى هذا الأساس يختلف النقّاد في تصنيفه، لأنّ كلّ واحد يقارب النصّ من الزاوية التي يراه من خلالها. ولكنّ الأمر أيضا ليس عبثيّا فتوفّر جميع المعطيات السابقة يسمح لنا بترجيح انتماء نصّ ما إلى جنس ما.

4 ـ من خصائص قصيدة النثر في أدب الشابي:

يمكن أن نتبيّن بعض الخصائص التي تميّز قصيدة النثر في مدوّنة الشابي وهي في الواقع نفس الخصائص التي تميّز قصيدة النثر الجبرانيّة. فقد سيطرت النّزعة الغنائيّة على هذه النصوص، وهي سمة تسم أدب الشابي والأدب الرومنطيقيّ عامّة، حيث تتحوّل القصيدة إلى صورة لأصداء الذات الشاعرة وعذاباتها. لذلك طغت على هذه القصائد الأساليب الإنشائيّة التي جلّت صورة الأنا الرومنطيقيّة.

كما تميّزت هذه القصائد بكثافة استعاريّة ملحوظة، وإن كانت التصوّرات الاستعاريّة في قصائد الشابي النثريّة ترجّع صدى هذه التصوّرات في أدب جبران، وتصوّراته في شعره الموزون. وليس هذا فحسب بل إنّ التجليّات اللغويّة لهذه الاستعارات تكاد تتماثل في عديد الأحيان.

أمّا السطر الشعريّ في هذه القصائد فقد راوح بين شكله في الشعر الحرّ حيث لا يمتدّ على كامل السطر، وشكله في النّثر حيث تمتدّ الجملة إلى فقرة، وهذا ما وسم قصيدة النثر الجبرانيّة.(2)

كما تميّزت هذه القصائد بكثافة إيقاعيّة كبيرة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوامش:

(1) يقول أبو القاسم محمد كرّو: «فقصيدة النّثر أو القصيدة الحرّة موجات متعاقبة من الأدب العربيّ منذ ظهر النص القرآني إلى اليوم»، «قصيدة النثر عند الشابي وجيله»، ضمن «الشابي»، المجلد الثاني، الجمهورية التونسية، وزارة الثقافة، 1994، ص 141.

(2) يُرجع النقّاد مصطلح «قصيدة النثر» في الأدب العربي إلى أدونيس.

(3) أدونيس نفسه، وهو من أبرز كتاب قصيدة النثر والمؤسّسين لهذا الاصطلاح يقرّ بعض نصوص جبران تنتمي إلى قصيدة النثر، يقول مشيرا إلى تنوّع إنتاج جبران: «من هذا الشكل القصّة القصيرة والطويلة نسبيًا، والمسرحية والمقالة والحكاية الرمزيّة والكلمة الجامعة (الحكمة، المثل) والسيرة وقصيدة النثر وقصيدة الوزن. . .» أدونيس، الثابت والمتحوّل: بحث في الاتّباع والإبداع عند العرب: صدمة الحداثة، دار العودة، بيروت، الطبعة الرابعة، 1983، ص 208.

(4) يحلّل محمد بنيس نماذج من كتابات جبران باعتبارها من قصائد النثر، انظر: محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته، الرومانسيّة العربيّة، دار توبقال للنشر، الطبعة الثانية، 2001، ص ص 94- 103.

(5) نقول متأخّر نظرا للحديث المتأخّر عنه في الساحة النقديّة، ولعدم علمنا بنصوص الشابي التي نشرها تحت باب الشعر المنثور في «العالم الأدبي».

(6) سوف عبيد، حركة الشعر الجديد بتونس، جريدة الحريّة، سبتمبر 2008، ص ص 17- 28.

(7) حول البنية التدرجيّة للعناصر داخل المقولة، يمكن النظر في المراجع التالية:

(8) G. Fauconnier and M. Turner، The way we think، Conceptual Blinding and the Mind's Hidden Complexitiers، Edition Basic Book، 2002.

(9) يرى تودوروف أنّ مفهوم الأجناس أو الأنواع في الدّراسات الأدبيّة مستعار من العلوم من الطبيعيّة، فليس من قبيل المصادفة أن يلجأ مؤسّس التحليل البنيوي للسرد، فلادمير بروب، إلى المماثلة مع علم النبات وعلم الحيوان. ولكنّ فروقا نوعيّة تميّز تصنيف الأجناس في العلوم الطبيعيّة بتصنيف منتجات العقل البشريّ. ففي الحالة الأولى لا يغيّر ظهور مثال جديد أو عنصر جديد من خاصيّات النوع، لأنّ خصائص هذا العنصر متوارثة عن سابقه، فميلاد نمر جديد مثلا لا يغيّر من خصائص نوعه فهو يحمل السّمات التي تميّز الجنس، وكذا الأمر بالنّسبة للغة فإنتاج جمل مخصوصة من قبل الأفراد لا يغيّر من النّحو. بل أنّ النحو يتحكّم في إنتاج هذه الجمل. وهذا الأمر لا ينطبق بنفس الكيفيّة على مجال الفنّ أو العلم. فتطوّرها يجري وفق إيقاع مختلف كليًا، فكلّ أثر يغيّر من مجموع الإمكانات التي يتطلّبها الجنس. ذلك أنّ كل أقصوصة مثلا تغيّر من طبيعة النوع. وكلّ نص يُنتج يحوّل تصوّرنا عن الجنس، فإذا كنّا نستطيع الحديث عن إنتاج أمثلة متماثلة أو متطابقة في الصّناعات التقليديّة أو في الإنتاج الميكانيكي، فإنّ هذا الأمر يستحيل في الأدب الحقيقي. انظر:

T. Todorov، Introduction a la littérature fantastique، éditions Seuil، Paris، 1970، p 10.

(10) سوزان برنار، قصيدة النّثر (من بودلير إلى أيّامنا)، ترجمة زهير مجيد مغامس، الهيئة العامة لقصور الثقافة مصر، 1996، ص 18.

(11) المرجع نفسه، ص ص 17، 18.

(12) المرجع نفسه، ص 19.

(13) انظر أحمد بزون، قصيدة النثر العربيّة (الإطار النظريّ)، دار الفكر الجديد، طبعة أولى، 1996.

(14) عن أحمد الجوّة، من الإنشائيّة إلى الدراسة الأجناسيّة، مكتبة قرطاج للنشر والتوزيع، صفاقس، 2007، ص 70.

(15) أنسي الحاج، (المقدّمة).

(16) Lotman (Iouri) : « Structure du texte artistique » éditions Gallimard، 1973.

(17) تعرّض فرج بن رمضان إلى شيء من هذا القبيل في دراسته للقصّ العربيّ القديم، وتفسيره لعدم مأسسة النادرة في النظام الثقافي العربي القديم.

(18) عن محمد القاضي، الخبر في الأدب العربيّ دراسة في السرديّة العربيّة، منشورات كليّة الآداب منوبة، 1998، ص 26.

(19) عن محمد الصالح الجابري، الشعر التونسي المعاصر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة، بيروت، 2000، الجزء الأول، ص 219.

(20) أبو القاسم محمد كرّو، «قصيدة النثر عند الشابي وجيله»، ضمن الشابي، (المجلد الثاني)، الجمهورية التونسية، وزارة الثقافة، طبعة أولى، 1994، ص 143.

(21) انظر كمال خير بك.

(22) محمد بنّيس، مرجع مذكور، ص 97.

الشمولية الشعرية
في قصيدة النثر عند الشابي

بقلم: نصر الدين الزّاهي

يقول عبد الفتاح إسماعيل «كل أدبيات الحديث والقديم في رأيي موجودة في مشكلية قصيدة النثر». إن الحركة الرومنطيقية اتسمت بالشمولية الفنية التي ساهمت في تفجير الأشكال التقليدية للتعبير الشعري.

يرى هنري لوميتر أن أهمية ما يسميه بـ «الشمولية الشعرية» في الرومنطقية تكمن في أنها وجدت «الشعر في كل مكان، في المسرح وفي الرواية، وربما في الحياة نفسها».

فهنالك نقد رومنطيقي لمفهوم النوع ورفض لاعتبار الشعر كنوع بسيط وإنما هو حالة شعور. لقد تأثر طرح مجلة (الشعر) لمشكلة قصيدة النثر بما ذهبت إليه سوزان برنار[1] من أن النثر الشعري وقصيدة النثر رغم تمايزهما تقوم بينهما علاقة تجاور.

الشمولية الشعرية في رومنطيقية جبران خليل جبران:

يقول ميخائيل نعيمة في حديثه عن (الأجنحة المنكسرة) «يروي جبران رواية حبه الأول يوم كان ما يزال طالبا في بيروت، ويرويها بأسلوب شعري وجداني مشبع بروح التقديس للحب...».

إن هذه الشمولية من خصائص الوعي الرومنطيقي المبكر أو العاطفي ما قبل الرومنطيقي كما بلورها فيكتور هيغو[2] وعليه فإنه لا مبرر للقول مع محي الدين صبحي بأن الشمولية الشعرية هي خلط بين الأجناس الأدبية لأن هيغو يمزج بين الأجناس استنادا إلى فكرة الإنسان المزدوج في المسيحية أما جبران فتنطلق شموليته من رفضه للقيم الجمالية أو البلاغية والتعبيرية للشعر العربي وهذا ما عبر عنه في نصه (لكم لغتكم ولي لغتي) فهو يرفض لغة البديع والبيان والمنطق والعقم المزركش».

بهذا يثور الشعر على «العروض والتفعيلات والقوافي وما يحشر فيها من جائز وغير جائز».

يقول جبران «ففي العربية قد خلقت لغة جديدة داخل لغة قديمة كانت قد وصلت حدا بالغا من الكمال – لم أبتدع مفردات جديدة بالطبع بل تعبيرات جديدة واستعمالات جديدة لعناصر اللغة[3]». موقف يقوم على أولوية حالة الشعور على الصنعة وأولوية الدفقة على التنظيم وأولوية التفجر على البناء.

إن جبران يتحدد كما يقول أدونيس «بتفجيراته لانبناءاته» فعماد الفن وروحه هو «ذلك الشكل اللامحدود» أو بتعبير آخر لجبران» كان عليّ أن أجد أشكالا جديدة لآراء جديدة».

وإذا كان جبران قد اعتمد أسلوب التعبير الغنائي للتعبير عن الذات في استباق عميق لمعنى الحداثة فإن الحداثة قد تجاوزت حالة الشعور المتمركز حول الذات إلى مفهوم الشعر ذاته.

هو أول من قال بأن الشعر رؤيا واستكشاف فـ «الفن خطوة من المعروف الظاهر نحو المجهور الخفي» ورغم أن حالة الشعور عنده ذات وعي رومانسي فإنها تجاوزت ذلك الوعي إلى تضمن

استباقي لعناصر الرمزية: مثل تراسل الحواس والمطابقات ومنهما ينشأ نظام من المطابقات بين المرئي واللامرئي بين المحسوس والمجرد بين المألوف والمجهول.

وإذا كانت الكلاسيكية الجديدة تواجه مشكلة اللغة التي أورثها شعر العرب بالقول أن العربي في حالة نكوص إلى الماضي. فإن جبران يرى ضرورة إيقاظ «قوة الابتكار المختبئة في روحه» وهي مهمة الشاعر بوصفه «أبو اللغة وأمها» إنه إنسان النهضة.

الوعي النهضوي على المستوى الثقافي الشعري:

التقت «الشمولية الشعرية» لجبران في المهجر بـ «عصرية» الهلال في المشرق العربي والتقى «الغربال» لنعيمة بـ «الديوان» لعباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني.

- الهلال: كانت تربط عصرية النهضة بمدى قدرتها على تمثل روح العصر في أوروبا الليبرالية العقلانية.

وفي سنة1921 يعرف جورج زيدان الشعر العصري قائلا:

«الشعر العصري يختلف عن سائر ضروب الشعر مثل اختلاف أحوال هذا العصر عن أحوال سائر العصور فهو يوافق عصرنا بأسلوبه ومعناه. ولكل جيل أو عصر روح عامة تتجلى في كل جزء من أجزائه، وفي جملتها الشعر. لأنه مرآة أخلاق الأمة. ومعرض آدابها فيخشن أو يلين، ويسمو أو ينحط حسب أحوال الأمة... ومميزات الشعر العصري ترجع إلى عوامل المدينة الحديثة وما كان من تأثيرها على أخلاقتنا وآدابنا وأحوال اجتماعنا وسياستنا».

معايير تسمية الشعر المنثور:

أ: تمثيل ميدان الارتقاء الداروني على الارتقاء الشعري.

يرى (إلياس أنجليل) أن الشاعر البدائي كان يكتب الشعر دون أن يميز بينه وبين الموسيقى. ثم كان الشاعر المعجب بالوزن فسنّ الوزن شريحة وسماها بحرا وبالتميز بين فن الشعر وفن الموسيقى وهو الوزن والقافية وشيء من الشعر في الموسيقى وهو الكلام ولكن الإحساس بالقيود جعل الشاعر يفصل بين الفنين فأغفل الوزن والقافية وكان الشعر المنثور.

إن قانون التفرع والاختصاص يماثل قانون الاختلافات الفردية الدارويني.

فهل كان الوزن من آثار عدم التمييز بين الشعر والموسيقى لدى الشاعر البدائي؟

يرى (إلياس أنجليل) استنادا إلى «الكتابات النثرية» للامارتين والتي يعتبرها «خطوة إلى الأمام نحو الشعر النثري» وما كتبه شاتوبريان وجون جاك روسو وفيكتور هيجو الذي وجد أن الوزن على وسعه في اللغات الأوروبية يربط الشاعر بهيئة التعبير وأن الشعر لا يعرف «بهيئة التعبير» أو اللفظ بل في المعاني.

ب: الخيال الشعري أو الأحداث النفسية.

في أول استخدام لعبارة الشعر المنثور يقول (جورجي زيدان) «الشعر عند العرب الكلام المقفى الموزون فإن لم يكن كذلك لا يجدونه شعرا فَهُمْ عرفوا الشعر بلفظة لا بمعناه. وأما الإفرنج فيعرفونه بمعناه دون لفظه. فهو عندهم منظوم ومنثور. والمنظوم قد يكون موزونا غير مقفى أو مقفى غير موزون وإنما العمدة عندهم على الخيال الشعري أو المعاني الشعرية»[4].

وفي تقديمه لما سمّاه «قصيدة منثورة» لأمين الريحاني يرى في الوزن والقافية مجرد إمكانية أمام الشاعر فالشعر المنثور هو «سبك الخيال الشعري بعبارات منثورة ممّا لم يتعوده العرب».

إن قول شحادة بالشعر الموزون غير المقفى في مطلع القرن العشرين سيتطور إلى القول بـ «الشعر المرسل» وبأكثر عمق عند جماعة (أبولو) في الثلاثينات وإن تاريخ أمين الريحاني للشعر المنثور انطلاقا من (ملتن) و(شكسبير) حيث عرف هذا النمط في فرنسا بـ Vers Libres وفي انجلترا بـ Free

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

Vers وهو ما يستعيده زكي أبو شادي في (أبولو) في شعر «يجيز مزج البحور حسب مناسبات التأثير».

غير أن (خليل شيبوب) وهو أحد شعراء جماعة (أبوبو) يميز[5] بين الشعر المطلق والمنثور، فنثره هو افتكاكه من قيود الوزن والقافية فإذا تم الاحتفاظ بالقافية صار نثرا مسجعا في حين أن المطلق أو الحر يحتفظ بالوزن فقط.

يمكن أن نحدد مبدأ الشمولية الشعرية في اللحظة المهجرية من تاريخ الأدب العربي في:

- كتابة ما يسمى بالشعر المنثور.
- اختيار لغة ألصق بالحياة وأقرب إلى الفهم.
- المزج بيت الذات والموضوع.
- الإعلاء من شأن الخيال ونبذ التصوير الأمين للطبيعة.

فإلى أي حدّ استوفى الشابي هذه السمات في شعره وفي رؤيته النقدية؟

+ في شعره: كانت صلته بالمهجريين بينة فهو يقول في تأبين جبران "كان جبران ثورة في الأدب العربي ولكنها ثورة حبيسة"[6]. ورغم صعوبة التوثيق لشعره المنثور[7]، فالمعروف أنه قد كتب ما يمكن تصنيفه تحت هذا الجنس ورجوعه بالشعر إلى عهد ازدهار الموشح والمجزوء والقصائد القصيرة. فالشعر - القطعة تسميته العفوية[8] لجنس أدبي ظل يكتبه على صفحات مجلة (العالم الأدبي) التي يديرها زين العابدين السنوسي المعروف بدفاعه عن التجديد الأدبي في الثلث الأول من القرن العشرين.

وإذا كان التحرر من قانون الوزن والقافية مظهرا من مظاهر شعره المنثور في مرحلة أولى فإن عودته في مرحلة أخرى إلى القصيدة الكلاسيكية ذات الأوزان الطويلة والقوافي الموحدة لم تكن لتحول دون بروز سمة أخرى من سمات الشعر المنثور وهي الموسيقى الداخلية. فقد طوّع الوزن إلى حدّ أننا لو جردنا القصيدة من وزنها لبقيت مكتفية بموسيقاها الداخلية.

- أهم ملمح موسيقي في شعره المنثور هو التكرار.

+ ففي قصيدته: النفس التائهة يتكرر التركيب النحوي واللغوي الواحد للفصل بين أقسام النص وهو ما يقابل الترجيعة Refrain في الشعر الفرنسي وقد يرد ذلك إلى زمن كتابتها وهو المناخ الذي ظهرت فيه أشكال متنوعة من الشعر العمودي وشعر متحرر من التنميط العروضي وشعر مقتبس من أعمال آداب المهجر ومن الأدب الفرنسي.

لكن مبدأ «تردد الصور الصوتية» خاصية مشتركة بين مختلف تقنيات الشعر[9].

فبماذا انفرد التكرار في قصائد الشابي؟

- تجاوب المقطع الواحد مع نفسه على فترات متقاربة.
- طغيان الحركات الطويلة كما في قوله "يا إله الحياة والموت".
- تتابع نسق معين من المقاطع التي هي انصاف أو أثلاث أو أرباع أبيات على بحور مختلفة.
- كتابة جل فقرات النص كتابة فيها رجوع إلى السطر قبل انتهائه على امتدادات خطية مختلفة.

إن هذه الخصوصية الأخيرة في مبدأ التردد لدى الشابي سيستمدها الشعر الحر فيما بعد.

ففي مرحلة ثانية من تاريخ قصيدة النثر العربية تتعدد الأشكال بالتصرف في تقنيات البناء فتظهر تسمية القصيدة الدائرة والحلازونية الكوكتال والبانوراما، وتضاف الآن تقنية هندسة التوزيع الخطي على الورق.

أما عن قرب كلامه إلى الإفهام فهو مبحث لا يتيسر إلا بالنظر في صلة موسيقى شعره بمعناه.

يذكر Evgueni polivanov أنه يمكن أن «تكون قطع شعرية خالية من أي مضمون معنوي» ولكن ذلك في حالة إيحائها كأصوات إما لانعدام المنطق فيها أو لأنها أصوات سمعت في الطبيعة. فهل الصوت الموسيقي إيقاع لاحق لإيقاع المعنى؟

في بحث Raman Jakobson عن الإمكانيات التعبيرية لأصوات مفردة ومركبة تصريح بهذه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النتيجة الممكنة «عندما يصبح الصوت صدى للمعني بحق»[10] لكن الملاحظ في بعض قصائد الشابي هو ارتداد اللاحق (الصوت الموسيقي) على السابق (إيقاع المعني) فقد جر الوزن عبارات وتراكيب هي من قبيل "الجواهز" الموروثة مثل "ليس شعري" كلما كان البحر رملا. أو "الدهر" و"المجد" كلما كان البحر طويلا. أو هي من قبيل "الجواز" المبتكرة. إن القوافي قد اضطرت الشاعر في قصائده الطويلة إلى ترصيف المعطوفات المترادفة والنعوت ترصيفا يضعف القدرة الرمزية للخطاب الشعري بما هي اختزال وإيحاء وتكثيف لصالح الانسياق إلى حد التنافر في التجاور الدلالي للمعاني.

– وفي عدم الفصل بين الذات والموضوع فإن الملفت لانتباه القارئ هو عودته بالخطاب الشعري إلى ينابيع الذات فهو القائل:

"لم أنظم الشعر أرجو به رضاء أمير".

حسبي إذا قلت شعرا أن يرتضيه ضميري".

– بقي أن نؤكد في تغنيه بالطبيعة على رومانسية من خلال موسيقى قصائده. فقد كتب جل شعره على البحور ذات التواقيع المتنازل الضعيف وعلى البحور الصافية (الموحدة التفعيلة) وهو ما يعكس غلبه الباسطة على موسيقى الشعر وهي صفة للمرحلة البدائية في تاريخ الإيقاع عندما كان يتألف من تكرار النمط الواحد.

فهل كانت عودة الشابي على التنغيم في التركيب الصوتي للكلمة على حساب التناغم بين المعاني المتجاورة في القصيدة؟.

إن التركيب الصوتي أساسه المقطع والنبرة. وبعودة الشابي إلى تنغيم المقاطع والنبرات يكون من واضعي أساس الشعر "غير العمودي والحر" الذي ظهر في بداية السبعينات.

هل كان هذا التأسيس عملا عفويا؟

*** في رؤيته النقدية:**

– قد يكون شعار "الشعر المنثور" الذي تصدر قصيدتين له من وضع الناشر. لكن الشابي كان على وعي بأن الموزون المقفى يعجز عن "التعبير المراد و"التصوير" فالتحرر من الإكراهات يعتبر "انقلابا آخر حيث أدخل في الشعر التونسي نوعا جديدا"[11].

لكنه ظل في مرحلة لاحقة مدافعا عن ثبات الصيانة العروضية الخارجية فهو على حد تعبيره "حلي ساحر جميل" وهي حافظ لنا القطيعة بين الأجيال والعصور كما تستمر الحياة بما هي "سلسلة يتصل فيها الطريف بالتليد".

... "ولكن لكل منا روحه وطابعه الممتاز"[12].

– إن رؤيته ليسر اللغة التعبيرية قائمة على فكرة الحدس الحسي للحياة وهي فكرة عبر عنها في رسالة إلى صديقه الحليوي معرفا الشعر بأنه "فيض الحياة في أيقظ ساعاتها واحفلها بنوازع الفكر والشعور"[13].

– ويجد لحظة التقاء الذات بالموضوع في براءة بدائية مفترضة فقد جاء في مذكراته قوله "أخذ يتلو ما فيه من شعر بصوت غنائي غليظ بذلك الصوت الغنائي الذي بدا به الشعر أول مرة"[14].

– أما رومانسيته فلم تكن هروبا إلى الطبيعة بل لتجديد روح الحياة فهو يربط تنوع أشكال الأدب بتنوع أوساطه ذلك أن النزعة الخطابية تكونت في النفس العربية "بحكم الطبيعة وبمفعول الوسط"[15] "فالشاعر العظيم عند الشابي هو ذلك الذي يتوفّق إلى المعادلة بين نسب الفكر والخيال والأسلوب والوزن"[16].

إنه يقيم مماثلة بين "قشور الحياة وأزيائها" و"أوزان وفنون الكلام" فيعيب على الأندلسيين أنهم "بحثوا عن الشعر في قشور الحياة وأزيائها وفتشوا عن حَقيقة النفس. في فنون الكلام فجددوا في الأوزان ولم يتجددوا في الروح".

في مرحلة ثانية من تاريخ قصيدة النثر يقول "يوسف الخال" مؤسس حركة مجلة "شعر" في رده على الرومانسية أنه عليها "الامتزاج بروح

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشعب لا بالطبيعة، فالشعب مورد حياة لا ينضب أما الطبيعة فحالة آنية زائلة".

وفي الحقيقة كان تقديس الشابي للجمال في الدال تقديسا للكلمة الشعرية التي تناهض الرداءة، الأمر الذي يجعل من رومانسيته رومانسية ثورية أو واقعية مناضلة.

إن تردده بين تنظيراته النقدية الحرة والتزامه بإكراهات التقليد الأبي يجعل مبدأ الشمولية الشعرية في قصائده موسوما بالغموض والعمومية الحماسية.

الهوامش:

(1) في كتابها (قصيدة النثر منذ بودلير إلى أيامنا).
(2) في مقدمته لمسرحية (كرومويل 1827).
(3) في رسالة إلى (ماري هاسكل).
(4) في مقال له بعنوان (الشعر المنثور في اللغة العربية سنة 1905).
(5) (أبولو) سنة 1932.
(6) جريدة الزمان عدد 83. 31 جويلية 1931.
(7) سنة 1948 صدرت الأعمال الكاملة للشابي وجاءت نصوص شعره المنثور في الجزء الثاني من تلك الأعمال دون تحقيق أو تصنيف.
(8) مجلة (Change) عدد 6. الثلاثي الثالث 1970 باريس ص 41.
(9) مجلة (Change) عدد 6. الثلاثي الثالث 1970 باريس ص 41.
(10) مجلة (Change) عدد 6 ص 209.
(11) الهادي العبيدي «محاضرة عن الشعر التونسي» أشار إليها توفيق بكار ضمن مشاركة في دراسة أبي القاسم الشابي. حوليات الجامعة التونسية عدد 2. 1966.
(12) آثار الشابي وصداه في الشرق لأبي القاسم كرو «الأدب العربي في العصر الحاضر ص 113».
(13) رسائل للشابي إعداد محمد الحليوي ط 1 جانفي 1966 دار المغرب العربي الرسالة الخامسة والعشرون.
(14) مذكرات الشابي الدار التونسية للنشر 1966.
(15) الخيال الشعري عند العرب ص 46.
(16) آثار الشابي وصداه في الشرق «الأدب العربي في العصر الحاضر ص 113».

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبو القاسم الشابي وتاج الشوك
لجلال المخ أو الشاعر في منهج النبي

بقلم: سلوى الراشدي

«أبو القاسم الشابي وتاج الشوك» دراسة خصصها الباحث التونسي جلال المخ للبحث في التيارات والمدارس التي أثّـرت في أدب الشابي و وجهت نظرته إلى العالم .

وقد صدر هذا الكتاب سنة 1998 عن دار المعارف للطباعة والنشر بسوسة وأعادت مؤخرا إصداره دار الجيل اللبنانية تزامنا مع مأوية شاعرنا .

«تاج الشوك» . . . . . . ترى ما الذي يجعل شاعرا مثل الشابي تلقّى تكوينا عربيا إسلاميا كلاسيكيا مثل الذي تلقاه وفي بيئة تقليدية مثل بيئته يستعمل ألفاظا وصورا مسيحية غريبة تماما عن ثقافته .

إن صورة المسيح المتوج بالشوك الواردة في قصيدة النبي المجهول

ليست الصورة الوحيدة المستعملة من قبل الشاعر ، إذ هناك العديد من الصور والألفاظ الأخرى الموزعة في كتاباته الشابي الشعرية منها والنثرية ، وهذا البحث يبين بدقة الدارس المتفحص أن هذه الإستعمالات ليس من محض الصدفة كما اكده بعض النقاد بل إن وراءها تأثرات عميقة عرفها فكر الشابي وقلبت نظرته بصورة جذرية ووجهة إنتاجه إلى وجهة مختلفة تماما عن وجهة سابقيه ومعاصريه من الكتاب التونسيين .

لم تكن كتابات الشابي الأولى التي عرف بها في مراهقته بين 1924 و1927 تخرج عن المألوف ولم تكن لتمكنه من البروز إذ كانت في سياق ما يكتبه معاصروه . وكانت تنم عن ثقافة كلاسيكية تنهل من الموروث الأدبي الأموي والعباسي والأندلسي إلى جانب المعلقات والأدب الجاهلي وقد كتب الشابي في الأغراض التقليدية وغالبا ما لم تكن كتاباته نابعة من معاناة أو تجربة حياتية فكادت تكون خالية من ذلك التوهج العاطفي الذي سيميز أشعاره اللاحقة. ويذكر الباحث جلال المخ أن تلك الفترة من حياة الشابي ظلت ضبابية وينقصها الدرس إذ طالما سيطرت عليها وحجبتها صورة الشابي المجدد التي تلتها.

ضاق صدر الشابي بثقافته التقليدية التي ضيقت عليه آفاقه ، فأنهمك في قراءة ما تـرجم من الآداب الإنقليزية والفرنسية والأمريكية وإكتشف كتابات العرب السوريين واللبنانيين المهاجرين. وقد أحدثت تلك القراءات الجديدة تقلبات في نظرته إلى الحياة وإلى الشعر والأدب ولم تعد أشعاره مجرد تقليد خال من الروح بل أصبحت تعبيرا صادقا عن الأحاسيس الإنسانية المتدفقة و وإنعكاسا لهمومها وآلامها. لقد تغيرت لهجة الشابي وخرجت من الأغراض التقليدية العربية المنحصرة في الغزل والخمريات والفخر والرثاء . . .وإهتمت بأغراض ومواضيع جديدة تنمّ عن فلسفة حياتية أعمق – مواضيع مثل : الحياة والموت والطبيعة الحب – الحرية – الكآبة – الغربة والثورة. . . . . تلك المواضيع التي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

جعلت النقاد والباحثين يُبَوِّبُونه في صف الكتاب الرومنطقيين.

لم يكن بوسع الشابي المتشبع بثقافات جديدة غيرت نظرته للحياة إلا الثورة على الأدب العربي الذي يواصل إجترار ذات المواضيع في ضرب من القناعة الذاتية التي لا تؤدي إلا إلى العقم. وفي محاصرته الشهيرة بمدرسة الصادقية أعلن الشابي الحرب على رموز الجماد الفكري مشهرا ثورته مما أغضب الكثير من معاصريه وحتى اللاحقين.

من البديهي أن تنزلق في كتابات الشابي الرومنطيقي عن وعي أو عن غير وعي عبارات إنجيلية وخاصة لما نعرفه من تشبعه بفكر جبران خليل جبران الذي يّكن له الشابي إعجابا لا متناهيا إذ يقول في الدموع الحائرة : «أما عبقرية جبران - أما فن جبران فكل منه حيّة خالدة لأولى تموت بل ستظل مصدر وحي ومهبط إلهام» والمعلوم أن جبران متشبع بتعاليم المسيحية إلى حدّ أن أدبه أصبح صدى لها كما يقول الناقد المصري علي شلق. وجبران كان يعتقد أن المسيح يظهر له في المنام واليقظة ويحدثه ويوجه أفعاله (جبران خليل جبران بين المصلوب والمجنون - لجلال المخ).

إن الرومنطيقية كمدرسة أدبية ظهرت بأروبا في مطلع القرن التاسع عشر تنهل من تعاليم المسيحية لتحرر الفن والأدب من قيود المدرسة الكلاسيكية التي كانت تستمد مواضيعها

و تعابيرها من الأساطيرالإغريقية وتفرض على الفنانين والأدباء مجموعة من القوانين والضوابط سعى الرومنطقيون إلى التخلص منها لتحقيق أكثرحرية في الخيال والتعبير عن الهموم.

والآلام الشخصية التي كانت تهملها المدرسة الكلاسيكية. وقد أكد ذلك «بول فان تيقام»

أحد أبرز الذين إشتغلوا على الرومنطيقية وقد إستعمل في درسه الأدب المقارن.

كما أن الأديب « شاتو بريان» بكتابه عبقرية المسيحية قد أعاد إلى هذه الديانة إعتبارها بعد ما لاقته من فلاسفة القرن الثامن عشر وسياسية الثورة الفرنسية.

لا يفوتنا أن نعلق على ما ذكره الباحث من تأثر الرومنطقين بالمسيحية بأن هذا التيار الذي جاء كردة فعل على الثورة الفرنسية عند الأوروبيين قد كان للشبابي الوسيلة المثلى للثورة على الشعراء العرب الذين كانوا متمادين في تمجيد مآثر الماضي.

إن تحليل الباحث جلال المخ يقودنا إلى النتيجة التالية وهو أنه من الضروري معرفة مبادئ المسيحية ونتساءل إن كان الشابي قد إطلع فعلا على الكتاب المقدس وهو الذي إستعمل صورة «تاج الشوك» «رمز الآلام والعذاب بالنسبة للنبي وللشاعر اللذان ضحيّا كلاهما بحياته من اجل إنقاذ شعبه الناكر للجميل.

وقد إستعمل الشابي عبارات إنجيلية أخرى مثل «هيكل» و«ترانيم» و«تجديف» و«اجراس» و«راهب» و«قديس».... وإضافة إلى تلك العبارات فقد إستعمل الشابي[2] مفاهيم مسيحية مثل تأليه المرأة المستمد من تقديس العذراء - وتقديس الأمومة وتمجيد الطفولة والألم ...... كل هذه الإستعمالات دققها الباحث بأمثلة من النصين.

إنّ المبادئ الأساسية للمسيحية والتي هي : الحب - الخطيئة - ياسوع المخلّص- والايمان - لم تكن غريبة عن الشابي الذي إطلع على أدب «شاتوبريان»و «فيكتور هيقو» و«ألفريد دوفيني»وخاصة «ألفونس ديلمارتين الذي كان شديد الإعجاب به إلى حد أنه كان يلزم كتابه رافائيل كما يقول في مذكراته وكما وصل به الأمر إلى وضع كل المدوّنة الشعرية العربية في كفة وشعر لا مرتين في كفّة. ولقد كان للشابي في رسائله مع صديقه الحليوي حديث عن الكتاب المقدس وعن مزامير داوود. كما أن إقتناء ذلك الكتاب لم يكن صعبا جدا في تلك الفترة الإستعمارية. وإذا كنا نعلم تعطش الشابي الكبير

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

للمعرفة وفضوله الشديد فلا نستبعد أن يكون قد إطلع على الكتاب المقدس.

اكد جلال المخ في خاتمة بحثه أن الشابي ولئن كان قد تأثر بعمق بالرومنطقيين المسيحيين وإستلهم من مبادئ الفكر المسيحي ومن سيرة ياسوع فإنه قد نَحَتَ شخصيته بنفسه في معزل عن كل تقليد أعمى. ولعله من المفيد العودة إلى مصادر الإلهام تلك لفهم عوالم الشاعر الأدبية والثقافية التي كانت تبدو شديدة البعد عن واقع الأدب التونسي في تلك الفترة. فأين الشابي من أشعار الشاذلي خزندار ومجاميع محمود قابادو؟ بينما كل شيء يقربه من جبران ولا مارتين وغيرهما من الرومنطقيين الذين عرفهم أولم يعرفهم. وإن نصوص الأناجيل وسيرة ياسوع كانت للشاعر مصدر إلهانم شعري بحت.

ولو أن الطبعة الثانية لهذا الكتاب قد صدرت في لبنان وتزامنت مع احتفاء تونس بمأوية الشابي فهي هامة لما تسلطه من ضوء على بعض نواحي أدب هذا الشاعر.

أما دار المعارف بسوسة التي أصدرت الطبعة الأولى فقد أصدرت هذه السنة طبعة خاصة لديوان الشابي من تقديم وتعليق جلال المخ ، وإن هذه الكتب وغيرها من الإصدارات حول الشاعر تندرج كلها في محاولة تخليص الشابي من هالة الصوة «الكليشي» التي حبسناه فيها، تلك الصورة التي توحى بقناعة خاطئة بأننا أمام أكبر شاعر في وطننا لأنه لحظه أو لسوء حظه قد قال يوما بيته الشهير «إذا الشعب يوما أراد الحياة ....»

ذلك البيت الذي يمجد إرادة الشعوب وأصبح بمثابة علامة وقوف أمام إرادة المضي قدما في التنقيب عن الكنوز المخفية لهذ ا المخلوق من نور، الذي غادر في الخامسة والعشرين في سن لا زال غيره فيها يتلعثم.... غادر تاركا أثرا مشرّفا للمدوّنة الإنسانية. وأنه من المفيد أن نعرف كيف تكونت مثل تلك الشخصية في كائن هش مثل أبي القاسم الشابي كما أنه من الضروري فهم مصادره ومعرفة الأصوات التي أوقدته وحددت الخطوط العريضة لفكره.

بالرغم من ثراء الأرضية الثقافية العربية الإسلامية التي كان يحظى بها الشاعر فإنها لم تكفه ولم تمنعه من الإبحار بعيدا في محيط الفكر الكوني. ولقد جعل من تكوينه العربي الموّحد الذي كان يتألم له إذ كان يقول «لا أستطيع أن أطير في عالم الأدب بجناح واحد منتوف» جعل منه بفضل إرادته ومساعدة صديقه محمد الحليوي المركب التي بها يبحر.

لعل الشابي الذي هدّه المرض وشبح المنية المقترب قد وجد في تلك السيرة الوسيلة المثلى لتثمين حياته وموته معا. وكما النبي نرى الشاعر يمجّد آلامه في بحثه الدؤوب عن طريق الخلود.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبو القاسم الشابي والرومانسية

بقلم: حسونة المصباحي

قبل الخوض في علاقة الشابي بالرومانسية، يتوجّب علينا إبداء بعض الملاحظات العامة، بشأن هذه الحركة الأدبية التي ظهرت في أواخر القرن الثامن عشر في بعض البلدان الأوروبية مثل بريطانيا وفرنسا وإسبانيا وإيطاليا وألمانيا والبلدان الاسكندنافية، وازدهرت في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ثم لم تلبث أن أخذت في الذبول في العقود الأخيرة من القرن المذكور، لتلفظ أنفاسها قبل حلول القرن العشرين.

وتشترك الحركات الرومانسية في البلدان المذكورة في ثورتها على الكلاسيكية في الأدب والفن، وفي رفضها لكل ما يشوه الحياة والوجود، ولكل ما يبيح الظلم والاستعباد، بالإضافة إلى اشتراكها في عشقها وتقديسها للطبيعة، وتغنيها بها، وفي تمجيدها للطفولة والبراءة، وفي ميلها للحلم بمواجهة كوابيس الواقع والتاريخ، وفي دفاعها عن القيم الإنسانية النبيلة، وفي بحثها الدائم عن الحب وعن السعادة إذ «حين ينعدم الفرح، لا يكون للوجود الإنساني أي معنى كما يقول الشاعر الإنجليزي ويليام بليك. ويقول الكاتب الفرنسي جان جيرودو أن اللحظة الرومانسية في بلد من البلدان هي تلك التي يصبح فيها القلب ومشاغله أقوى من كل شيء، أقوى من الأحداث والقضايا السياسية، ومن الحياة الاقتصادية، ومن الأمجاد العسكرية، إنها اللحظة التي يصبح فيها السؤال طاغيا على كل فكرة، والقلق مسيطرا على النفس. وهي تلك التي، بدلا من اللجوء إلى الفلاسفة لتشييد صرح الميتافيزيقا، وإلى المفسّرين لشرح القضايا المتعلقة بالدين، وإلى رجال القانون للبتّ في القضايا العامة، تسعى كل نفس بمفردها إلى معالجة ومواجهة كل هذا، أو تموت، أو تحيا من دون أن تكون لحياتها أي معنى.

ومحاولا تعريف الرومانسية، كتب جان جيرودو يقول: «الرومانسية هي حلولية العصور المتحضّرة. كل ألوهيّة تسلّم من قبلها إلى ذلك المواطن الذي يصبح في الوقت ذاته الخالق والمخلوق. إنه عصر المرض والاستقامة الأخلاقيين، وعدم الرضا والصفاء الذهني، وهو العصر الوحيد الذي فيه يرتقي دور رجل الأدب إلى مستوى يصبح فيه ضمير عصره». وأما الرومانسي فهو بحسب رأي جان جيرودو ذلك الذي لا تواطؤ له مع كل إنسان، ومع كل مؤسسة إنسانية، والباحث عن هذا التواطؤ مع ما تبقى من الطبيعة».

وإن اشتركت في الكثير من الملامح العامّة، فإن الحركات الرومانسية في البلدان التي ظهرت فيها تميّزت بخصوصيات هي ثمرة الواقع الذي فيه نشأت، والتاريخ الذي فيه تطوّرت. فبالنسبة للرومانسية الألمانية التي انبثقت كما يقول جان جيرودو في الضباب الذي كان قد غمر أوروبا الوسطى في ذلك الوقت، كان كل واحد من الكتاب والشعراء الرومانسيين يبحث عن خلاصه

من خلال شيء معيّن، وهو متوحّد بنفسه في المدينة التي يقيم فيها. فقد كان تاك (TIECK) يبحث عن الضوء، ونوفاليس عن الواقع، وكلايست (KLEIST) عن الشكل، وهوفمان عن الهياكل العظيمة، «مغمضا عينيه عن القرن الذي عاش فيه لكي يصل إلى تلك الوجوه أو تلك العظام التي لا يمكن التعرف عليها إلاّ باللمس أو المداعبة». وأما العصر الرومانسي الإيطالي فإنه كان ذلك العصر الذي ارتفعت فيه الصّرخات العالية ضدّ الاستعباد والعجز، والتي كان قد أطلقها قرنين قبل ذلك، الشعراء الملعونون الذين عاشوا في العصور السّعيدة. وفي فرنسا، كان الجيل الرومانسي هو الجيل الذي ولّدته الثورة، وهو الجيل الذي نشأ في فترة «الغموض والارتباك وتذبذب الآراء وشيوع الفوضى»، إنهم «أبناء الذين شنقوا أثناء الثورة وليسوا أبناء الجنرالات». وفي بريطانيا، كانت الحركة الرومانسية، حركة إنسانية مناهضة للجوانب المصطنعة في الحضارة الجديدة، وداعية لإعادة الاعتبار للحياة ذلك «أن كل حيّ مقدّس».

وفي كتابه «راسين وشكسبير» كتب ستاندال يقول: «إن الرومانسية هي أن تقدّم للشعوب أعمالا أدبية تكون في الوضع الحالي، وفي عاداتها وتقاليدها، قادرة أن توفر لها أكثر ما يمكن من المتعة».

بعد هذه الملاحظات المكثفة والمختصرة نأتي إلى علاقة الشابي بالرومانسية. وأول شيء يجدر بنا الإشارة إليه هو أن الرومانسية جاءت إلى العالم العربي متأخّرة، وتحديدا في تلك الفترة التي أصبحت فيها الرومانسية الأوروبية شيئا من الماضي، وفقدت بالتالي تأثيرها وإشراقاتها، وباتت عرضة للسخرية وللنقد العنيف من قبل من يحمل الحركات الحداثية التي تكاثرت كالفطر في القارة العجوز. وقد تمّ انتشار الرومانسية في العالم العربي عن طريق الترجمة، وعن طريق بعض الأدباء الذين هاجروا إلى أوروبا أو إلى أمريكا مثل جبران خليل وكان من الطبيعي أن ينجذب إليها بقوة وحماس كل الشعراء والكتاب الذين ولدوا في أوائل القرن العشرين، والذين راحوا يبحثون هنا وهناك عن الوسائل التي تمكنهم من بعث أدب جديد يعكس واقعهم المريض، ويعبّر عن أحاسيسهم التي لم تعد تطيق الظلم والتخلف والاستبداد والتزمت بجميع أشكاله وألوانه، وتتيح لهم إطلاق صرخاتهم المدويّة لإيقاظ الضمائر الميّتة، واستنهاض شعوبهم المكبّلة بقيود الماضي، والتي أضحت عاجزة وهامدة همود الأموات. لذلك يمكن القول إن الرومانسية العربية لم تكن رومانسية الشاعر الباحث عن الخلاص الفردي بل هي رومانسية الغضب والثورة والتطلّع إلى فجر جديد، وإلى خلاص جماعي. وهذا ما عبّر عنه نزار قباني حين قال:

الشعر ليس حمامات نطيّرها
نحو السماء ولا نايا وريح صبا
لكنه غضب طالت أظافره
ما أجبن الشعر إن لم يركب الغضبا

كما عبّر عن ذلك الشاعر أنسي الحاج حيث كتب يقول: «الشعر هو الثورة الحقيقة، ولا ثورة إياه. بالشعر تتغيّر الحياة نحو الأفضل والأجمل، ولا تتغيّر هكذا بسواه. الشعر هو نهضة الروح. إنه الحياة مضاعفة بما تشتهيه لنفسها من غير حدود». ونحن نعلم أن معرفة الشابي بالرومانسية كانت محدودة للغاية، ولأنه كان «يطير بجناح واحد» كما كان يحلو له أن يقول تعبيرا عن جهله بلغة ثانية، فإنه كان يلجأ إلى الترجمات القليلة المتوفرة لديه أو لدى أصدقائه، ويطلب العون والمساعدة من صديقه محمد الحليوي الذي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان يتقن اللغة الفرنسية ليتعرف على خصائص الحركات الرومانسية. ومن المؤكد أن كتابات جبران خليل جبران التي كان يحرص على قراءتها بمتعة وإعجاب، واتصاله بمجلة «أبولو» ومتابعته للحركة الأدبية في مصر وفي بلاد المشرق عموما، وكل هذا ساعده على توسيع معرفته بالرومانسية الأوروبية وخصائصها. وهذا ما يتأكّد لنا من خلال رسائله إلى محمد الحليوي، وأيضا من خلال مجمل القصائد التي قفل بها ديوانه الوحيد: «أغاني الحياة».

ورغم محدودية معرفته بالرومانسية، وانعدام إطّلاعه على أغلب مؤلفات رموزها الكبيرة، بريطانيين كانوا أم فرنسيين أم إيطاليين أم ألمانا، فإنه نجح في خوض تجربته الرومانسية باقتدار كبير ومن دون تقليد أيّ أحد كان، ناحتا شخصيته الشعرية بموهبة عالية، وبروح الشاعر المؤمن برسالته التجديدية في مجتمع متخلف، مشدود إلى الماضي، نفور من النظر إلى الأمام، إلى المستقبل، ومرتاب من كلّ ما يمكن أن يحرّك السواكن، ويشعل النار في الهشيم، ويحرّض على طرح الأسئلة الحارقة، ويبعث الحياة في النفوس الميتة والجامدة. وكان واعيا منذ البداية أن هذا التجديد لا يمكن أن يتمّ إلا بلغة نَظِرَةٍ، مشرقةٍ، تتعارض تمام التعارض مع اللغة القديمة الثقيلة ببلاغتها، وبتراكيبها الغليظة، وبنفسها البطيء بطء تنفّس العجائز، وبعجزها عن التعبير عن الواقع وحقائقه. وكان يدرك أن المبدع المجدّد الأصيل هو الذي يمتلك «الكرامة والعزّة التي تخلق في نفسه العزيمة الاستقلالية المنتجة. تلك النزعة التي تجعله أكثر شعورا بنفسه واعتزازا بها ممّا عداه. وبذلك تكتسب شخصيته الوضوح والجلاء في آثاره، وتتّخذ لها مسلكا خاصا بين المسالك ومذهبا لها بين مذاهب الحياة» (المذكرات).

ومثل كل الشعراء الرومانسيين، كان الشابي يرفض الاستسلام والخنوع حتى في أحلك الظروف. ومتحدّيا، كتب لصديقه محمد الحليوي يقول في رسالة بعث بها إليه في صيف عام 1929: «سأظل سائرا في سبيلي، وسأظل ناثرا في هذه الحقول الجرداء العارية بذور الأسى إلى أن يبدو القمر الجميل فتتفتح الأكمام عن ورود جميلة ضاحكة... ويتغرّد البلبل من وراء الزهور. سأظلّ سائرا في سبيلي متغنيا بهذه الأوجاع وهذه الدموع وإن كنت أعلم

أن الدهور البواكي
غنية عن دموعي

وأن قلب الحياة ثخين بالجراح وأن راحة الليل ملأى بالدموع الدامية».

ولعل كتاب «الخيال الشعري عند العرب»، هو في الأصل محاضرة كان قد ألقاها في «الخلدونية» عام 1929، أي عندما كان في العشرين من عمره، هو الذي يؤكد إلمام الشابي بخصائص الرومانسية في جميع تجلياتها. ففي هذا الكتاب الفريد من نوعه في النقد العربي خلال القرن العشرين، ينتقد صاحب «أغاني الحياة» ضمور الأسطورة والخيال الشعري عند العرب مقارنة باليونانيين القدماء والرومانسيين الأوروبيين. وهو يقول ممجّدا آلهة اليونان بعد أن انتقد الخيال الشعري عند العرب الخالي من «فلسفة الحياة» بحسب تعبيره: «وهكذا كانت آلهة اليونان وأساطيرهم آراء شعرية يتعانق فيها الفكر والخيال. فكل إله رمز لفكرة أو عاطفة أو قوّة من قوات الوجود، وكل أسطورة شيقة من صور الشعر يقرؤها الباحثون فيحسّون

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنها صادرة عن مخيّلة قوية وإحساس فيّاض يشمل العالم ويحسّ بأدقّ أنباض الحياة».

وفي نفس الكتاب يمجّد الشابي حضور الطبيعة في آداب الأمم الأخرى، وبالخصوص عند الرومانسيين الأوروبيين، متحسّرا على ندرته وانعدامه في آداب العرب وشعرهم ومستشهدا بفقرتين يتغنى فيهما كل من الألماني غوته والفرنسي لامارتين، يخلص الشابي للقول بأن شعراء العربية «لم يعبّروا عن الإحساسات الشعرية العميقة» لأنهم حسب رأيه «لم ينظروا إلى الطبيعة نظرة الحيّ الخاشع إلى الحي الجليل وإنما كانوا ينظرون إليها نظرتهم إلى رداء منمّق وطراز جميل». ويضيف الشابي قائلا بأن «هذه النظرة الفارغة لا ينتظر منها أن تشرق بالخيال الشعري الجميل لأن الخيال الشعري منشؤه الإحساس الملتهب والشعور العميق».

أما شعراء العربية «فلم يشعروا بتيّار الحياة المتدفّق في قلب الطبيعة إلا إحساسا بسيطا ساذجا خاليا من يقظة الحسّ ونشوة الخيال».

ولأنه أدرك القيمة الكبيرة التي تحتلها المرأة في الآداب الرومانسية الأوروبية، والنّبل الذي تعامل به كرمز للحب والجمال، فإن الشابي يشنّ هجوما عنيفا على الاحتقار الذي يعامل به العرب المرأة في آدابهم وأشعارهم، وعلى تلك النظرة الاستعلائية التي تجعلها مجرّد جسد يباع ويشترى لإشباع الرغبات الجنسية عند الرجال. وعن هذه النظرة هو يكتب قائلا: «هذه هي النظرة الشائعة في الأدب العربي كله، والتي يتساوى فيها جميع شعراء العربية على اختلاف عصورهم، وتباين طبقاتهم، وتفاوت أوساطهم، سواء في ذلك عفّهم وفاجرهم، وأولهم وآخرهم. وقد يكون من الغريب أن بعضا من هؤلاء الشعراء يؤمنون بالحب إيمانا ساميا، ويضمرون عنه في نفوسهم أبرأ المعاني وأنقاها ما داموا خالين إلى أنفسهم أو إلى من يحبّون، حتى إذا ما أرادوا التحدث عن المرأة لم يتحدثوا عنها إلا بما يتحدث به الفاسق الفاجر من تلك الأوصاف الجسدية السافلة. ولكن لو تعمّق الباحث في فهم الروح العربية لعلم أن ذلك ليس من الغرابة في شيء، لأن من طبيعة هذه الروح أن لا تحيط بغير الظاهر المحسوس».

وكانت للشابي مواصفات الشاعر الرومانسي بامتياز. فمبكّرا أصيب بداء القلب الذي أصاب أغلب الشعراء الرومانسيين الأوروبيين، ومثلهم سوف يموت به وهو في ربيع العمر. وتحت تأثير هذا المرض، هو يطلق أحيانا أنات موجعة، ويعبّر في العديد من قصائده عن إحساسه بالموت المبكر، وعن عذاباته وآلامه الداخلية، وعن تلك الأوجاع التي تجعله أحيانا ضيّقا بالحياة، وغريبا بين الناس. وفي قصيدة «الأشواق التائهة» هو يقول:

يا صميم الحياة ! كم أنا في الدنيا غريب ! أشقى بغربة نفسي

بين قوم لا يفهمون أناشيد فؤادي ولا معـاني بؤسي

وحده الشعر، يعيد للشابي حبّه للحياة، ويبعد عنه الهواجس والمخاوف السوداء، وينزع عن روحه الإحساس المرّ بالغربة والوحدة. وفي قصيدته «قلت للشعر» هو يقول:

أنت يـا شـعـر فلذة مـن فؤادي
تتغنّـى وقطعـة مـن وجـودي
فيك مـا في جوانحـي من حنين
أبـديّ إلـى صميـم الوجـود
فيـك ما فـي خاطري مـن بكاء
فيـك ما فـي عواطفي من نشـيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيـك ما في مشـاعري من وجوم
لا يغنّـي ومـن سـرور عهيـد
فيـك ما فـي عوالمي مـن ظلام
سـرمدي ومـن صبـاح وليـد

وبحكم عمل والده الذي كان قاضيا تنقل الشابي كثيرا بين مختلف مناطق البلاد في سنوات طفولته ومراهقته، فأحبّ الطبيعة، وفتن بجمالها، وعشق جبال وغابات طبرقة وعين دراهم وواحات توزر حيث نشأ وترعرع. وعندما كان طالبا في جامع الزيتونة، كانت أجمل الأوقات بالنسبة إليه تلك التي كان يقضيها في «حديقة البلفدير» متصفحا كتابا، أو جالسا في ظلال الأشجار مستمعا إلى أغاني الطيور، ومسترقا النظر إلى الحسناوات وهن يتبخترن في ممرّات الحديقة، ويحفل ديوان «أغاني الحياة» بقصائد يتغنى فيها بجمال الطبيعة، وبالنور، وبالجمال في أبهى تجلياته ومعانيه. فالطبيعة عند الشابي، كما هو الحال عند الرومانسيين، هي «الوطن الروحي» للشاعر المتوحد بنفسه، الهارب من الزيف ومن القبح ومن السرور. وهي ملاذه الأوحد عندما تضيق به الحياة، وتتشابك السبل، وينطفئ نور الأمل.

وفي قصيدة «مناجاة عصفور» يقول، الشابي:

يـا أيهـا الشـاديْ المغـرّد ههنا
ثمـلا بغبطـة قلبـه المسـرور
قبّـل أزاهيـر الربيـع وغنّهـا
رنـم الصباح الضاحـك المحبور
واشرب من النّبع الجميل الملتوي
مـا بيـن دوح صنويـر وغديـر
واتـرك دموع الفجر فـي أوراقها
حتـى ترشـفها عـروس النـور

ومعبّرا عن المكانة السامية التي تحتلها الطبيعة في قلبه ووجدانه، كتب الشابي لصديقه محمد الحليوي يقول (رسالة بتاريخ 15 أفريل 1932): «وماذا بعد هذا؟ بعده أنني الآن في عزلة محبّبة إلى نفسي في الصحراء أو تحت ظلال النخيل وليس معنى هذا أنني هجرت المدينة وفررت بنفسي إلى أحضان الطبيعة التي أجد فيها من معاني الجمال والعطف والحنان ما لا أجد في قلوب البشر الذين مللتهم ومللت أحلامهم الصغيرة وأحاديثهم السخيفة وضحكاتهم التافهة وإن كانت مخضوبة بالدموع». وعالما بروح الشابي الرومانسية العاشقة للطبيعة، يردّ عليه محمد الحليوي قائلا (رسالة بتاريخ 13 أفريل 1932): «هنيئا لك عزلتك، هنيئا لك انفرادك في الصحراء حيث تمتلئ النفس بعظمة الكون وتتملأ العين من روعته وجماله وتتسع آفاق الحياة في جوانب القلب البشري (...) هنالك في الصحراء ينسى المتأمّل نفسه وشخصه ويتجرّد من قيوده المادية ليصبح «فكرة» هائمة في ذلك الوجود الكبير وذرة من الذرات المكونة لهذا «الكل» الشامل، هنالك تحسّ الروح السابحة في الملكوت الأعلى بصلة القرابة، ومتين النّسب بينها وبين ذلك الأثير السّابح في الفضاء وذلك النور المبثوث في عوالم الضياء وذلك النجم المتألق في أجواز السماء، وفي تلك الظلمة الطخياء والليلة القمراء والرمال الصفراء وفي كل شيء في الوجود ومن الوجود».

وأحيانا، حين يشتدّ يأسه من شعب راض بالمذلة والخنوع، يهدّد الشابي بالهروب إلى الطبيعة، وينشد قائلا:

إننـي ذاهب إلى الغاب يا شـعبي
لأقضـي الحيـاة وحـدي بيأسٍ
إننـي ذاهـب إلـى الغـاب علّي
فـي صميم الغابات أدفن بؤسـي
ثم أنسـاك ما اسـتطعت فما أنت

بأهــل لخمرتــي ولكأســي
ســوف أتلو على الطيور أناشيدي
وأفضــي لهــا بأشــواق نفســي
فهي تــدري معنى الحياة، وتدري
أن مجــد النفــوس يقظــة حسّ

ويحدث أن يحلم الشابي أحيانا بأن يكون سيولا وعواصف هوجاء وأعاصير لكي يحطّم ويدمّر كل ما يحجب النور، ويمنع الزهور من التفتح، والفجر من الظهور، ويبقى شعبه مقيّدا، مكبلا بقيود الماضي والحاضر.

ولا يختلف الشابي عن الشعراء الرومانسيين في نظرتهم للمرأة باعتبارها رمزا للنبل والجمال والحب. لذا هي تحضر بقوة تماما مثل الطبيعة في مجمل قصائد ديوان «أغاني الحياة»، وفي قصيدة «صلوات في هيكل الحب»، يقول الشابي مخاطبا المرأة:

عذبــة أنت كالطفولــة، كالأحــلام كاللحن، كالصباح الجديد
كالســماء الضحوك، كالليلة القمــراء كالورد كابتسام الوليد
يا لها من وداعة وجمــال وشباب منعّم أملود
يا لها من طهــارة تبعث التقديـــس في مهجة الشقي العنيد
يــا لها من رقّة يكاد يرفّ الورْد منها في الصخرة الجلمود

ثم يضيف الشابي قائلا:

يا ابنة النّور، إنني أنا وحدي من رأى فيك روعة المعبود
فدعينــي أعيش فــي ظلك العــذب وفي قرب حسنك المشهود
عيشة للجمال، والفن، والإلهام والطهر والسنى والسّجود
عيشة البــتول ينــاجي الـربّ فـي نشوة الـذهول الشديـد
وامنحيـني الســلام والفرح الـروحي يا ضوء فـجري المنشود

ومثل الشعراء الرومانسيين، كان الشابي رافضا للطغيان والظلم، محرّضا على التمرّد والثورة، داعيا إلى مقاومة التخلف والتحجّر والتزمّت، ممجّدا الحرية والانعتاق، مناصرا للمصلحين والزعماء الذين يقودون المعارك الضارية من أجل مستقبل مشرق لشعوبهم. فالشاعر عند الشابي هو ذلك الذي يسعى من خلال أفعاله وكلماته أن يوقظ الهمم، ويرشد إلى النور، ويعيد الاعتبار للقيم الإنسانية النبيلة المهدّدة بالاندثار والذبول. لذلك هو لا يتردّد في مهاجمة الشعب المشدود إلى أمجاد الماضي والقابل بمظالم الحاضر، وفي ذلك هو يقول:

والشقيّ الشقيّ في الأرض شعب
يومه ميّت وماضيه حيّ

ختاما، نقول بأن تأثير الرومانسيين الأوروبيين الكبار من أمثال لامارتين و ألفريد دوفييني وبيرون وشيلي وكان كبيرا وحاسما على الشابي. ورغم أنه لم يقرأ أعمال هؤلاء في مجملها، بل بعض المقتطفات منها، والمنقولة إلى العربية في ترجمات سيئة في غالب الأحيان، فإنه حدس مكوّنات الرومانسية وخصائصها ورؤيتها للأدب والفن والحياة بصفة عامة. لذلك كان الشاعر المجدّد الأول بامتياز في تونس... إنّه الشاعر الذي أخرج الشعر من السرداب المعتم الذي كان محبوسا فيه، وحرّره من القوالب الجامدة، وبسطه أمام نور الحياة، مضمّخا بعطر الطبيعة، وساطعا بجمال المرأة، ومسكونا بالثورة وبحبّ الحريّة والانعتاق.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشّابي بين العمر القصير والذّكْر الشّهير

بقلم: ناجي الحجلاوي

أن يملأ أبو القاسم الشّابي الدّنيا شهرة بإنتاجه الأدبي محاضرات ورسائل ولا سيّما بشعره سواء في لغته الأصليّة أو عبر اللّغات العالميّة الّتي ترجم إليها[1] وأن يشغل النّاس ذكرا وتمثّلا بشعره ونقدا ودراسة. أن يكون الشّابي على هذه الشّاكلة عبر ثمانية عقود فإنّ ذلك يتجاوز المصادفة ويفنّد بالضّرورة كلّ الاعتبارات الدّعائيّة أو التّمجيديّة الفجّة المنبنية على كلّ ما يندّ عن النّظرة العلميّة الفاحصة ولو كانت العلل الكامنة وراء الشّابي وشعره على هذه الدّرجة من التّبسيط لما استطاع أن يزداد ألقا عبر مرور الأيّام طيلة هذه الفترة الزّمانيّة. أما وقد تضمّن شعره دعائم إبداعيّة مسّت الشّكل كما المضمون وقد تساوقت مع تطلّعات اجتماعية وسياسيّة وثقافيّة فحصل التّعالق بين لحظتين إحداهما داخليّة مثلتها اللّمعات الشّعريّة الفائقة والأخرى خارجيّة تجسّدت في اللّحظة التّاريخيّة الحافّة بهذا المنجز الأدبي فكان اللّقاء الفذّ بين هاتين اللّحظتين خميرة صالحة ومؤاتية لأنّ تجعل أغاني الحياة ذات لحن يزداد عبر الأيّام عذوبة ترديدا لصداها، وخمرة أدبيّة يزيدها التّقادم تعتّقا. إنّها لحظة متفرّدة تتماهى فيها حرارة النّصّ بحرارة الواقع فترتقي فيها الذّات المبدعة أقصى درجات القبول والذّيوع وهو ما يعتبره بعض المنظّرين بالحظّ السّعيد (Bonne chance) الّتي تندّ عن كلّ برمجيّة وإعداد. فكم من شاعر يتمتّع بشاعرية دفقها قويّ لافت لا يحالفه الحظّ ولا يتجاوز إبداعه دائرة ضيّقة ولا يتعدّاها إلى الدّائرة القطريّة أو القوميّة أو العالميّة وكم عاصر الشّابي من الشّعراء والأدباء والمفكرين التّونسيّين الأفذاذ الّذين لم يلاقوا من العناية ما لاقاه إلى حدّ التّعظيم المبالغ فيه نذكر منهم سعيد أبا بكر ومصطفى خريّف ومحمد الحليوي والبشروش والطّاهر الحدّاد الّذين ضاقت أعمالهم بصَمْتنا [2] فما هي مكوّنات اللحظة الأدبيّة الّتي ينطوي عليها شعر الشّابي؟ وما هي علاقتها بواقعها؟ وما المقصود بالحظ السّعيد؟

مكوّنات الدّفق الشّعري لدى الشّابي:

الدّوال

ما من شكّ أنّ الدّوال أوراق لغويّة يصرّفها المبدع كيفما يشاء فينتقي من السّياق المعجمي حسب محور الاختيار علامات يرتئيها دالّة وموحية يُحكم نسجها ويُجيد صياغتها تبعا لمحور التّوزيع وعبر التّراكم يستقيم الخلق الأدبي كائنا له هويّته وتفرّده. والدّوال لدى الشّابي مشحونة بدلالات رومانسيّة بامتياز كالغاب والطفولة والنّسيم والعطر والخيال والصّباح والغروب والمساء واللّيل ومعسول الرّؤى والحلم والفرح والحبور والحزن والكآبة والعمى. وليس خافيا أنّ المدرسة الرّومانسيّة قد وجدت نفسها أمام موروث أدبي ارتاد فيه الأدباء كلّ متردّم فسعى روّادها إلى التّجديد بتفجير الدّوال التّقليديّة وشحنها بمدلولات مستحدثة، إذ

الشّعر يكمن في إقامة نمط خاصّ من العلاقات التّي يقيمها الشّعر بين الدّال والمدلول من جهة وبين المدلولات من جهة أخرى لخرق قانون اللّغة العاديّة[3]. فأصبحنا إزاء استعمالات من قبيل الفوضى الخلاّقة والعمى المبصر والحزن الفعّال يقول جبران : « نحن أبناء الكآبة والكآبة ظل إله لا يسكن في جوار القلوب الشّريرة، نحن ذوو النّفوس الحزينة، والحزن كبير لا تسعه النّفوس الصّغيرة».[4]وهكذا ردّت الرّومانسيّة الفعل على التّقليديّة وحاولت تخليص الأدب من سجن العقل لربطه بنهر الحياة المتدفّق « فأصبحت الكلمة قادرة على أن تعبّر عن فاعليّة الرّوح وحاجتها».[5]

التّناص

يقصد بالتّناصّ التّعالق والتّداخل بين نصّ ونص وما ينتجه ذلك من علاقات بينهما، وهو يحدث بكيفيّات مختلفة[6]. والتّناص يتفرّع إلى أنواع منها المعرضة والنّقائض والسّخرية لجعل الجدّ هزلا والهزل جدّا ومنه المحاكاة والمحاذاة ومنه السّرقات الأدبيّة[7]. وهذه الظّاهرة في الكتابة شديدة الاتّساع إلى درجة أنّه لا يستطيع أحد الفكاك منها، إذ الخلق من لا شيء يستوجب قدرة تفوق قدرة البشر. أمّا وقد تميّزت هذه القدرة بالنسبيّة فلا بدّ لها من مادّة أوّلية تنطلق منها وغاية الأمر إعادة تشكيلها وإخراجها ولعلّ ذلك ما أشار إليه ابن رشيق في قوله: « وهذا باب متّسع جدّا لا يقدر أحد من الشّعراء أن يدّعي السلامة منه، وفيه أشياء غامضة إلا عن البصير الحاذق بالصّناعة وأخرى فاضحة لا تخفى عن الجاهل المغفل. »[8] وتبعا لذلك يتسنّى القول إنّه ما من أدب متأصّل أثيل إلاّ وفيه أصداء من كلّ عمق وتموّجات من كلّ أفق ما يجعله مخلوقا تتحّد فيه الأصوات وتتعالق إلى حدّ التّماهي. ونصوص الشّابي الشّعريّة لا تندّ عن هذه القاعدة الأصيلة فثقافته القرآنيّة تجد لها ظلالا في البيت الشّهير شهرة النّار على رأس الجبل الشّاهق:

إذا الشّعب يوما أراد الحياة فلا بدّ أن يستجيب القدر[9]

إذ هي ترجمة شعريّة لما ورد في الآية «إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيروا ما بأنفسهم»[10]

وإلى جانب الرّافد الدّيني يلفي الدّارس البعد الأسطوري مثل أسطورة الثّعبان وأسطورة بروميثيوس، إلا أنّ هذه الرّمزيّة الأسطورية لم تسر خيوطا في نسيج القصيدة ولم تستو بناء قائما بذات المعمار الشّعري لدى الشّابي. ومضمون هاتيْن الأسطورتين يتمثّل في الآتي أسطورة الثّعبان: إنّ قدموس الفينيقي الذّي علّم الإغريق الكلام سيتحوّل بعد موته إلى ثعبان ثم ينتقل إلى شانزيليزيه أين يعيش الأبطال وقدموس يعني القادم. والثّعبان يجسّد أسطورة العودة بعد الموت وسيحيا قدموس في الحكاية ثمّ ينتقل إلى جنّة العزّة مرتع الأبطال. و أسطورة بروميثيوس تتمثّل في أن الاسم يدلّ على العارف قبل المعرفة والمتروّي المتعقّل وهو بطل من الجبابرة والعمالقة، وبلغة الإنجيل أبناء الله وتعدّ هذه الأسطورة من الأساطير

الإغريقيّة الشّهيرة ترمز إلى الخلاص الدّيني من الشّرور والآثام والتّمرّد على دنيا الحياة الآتية من التّركيبة الاجتماعية البالية والعادات والتّقاليد الحاجبة عن الذات الحقّ والمثقلة بالخضوع. فبروميثيوس أحد الجبابرة في الميثولوجيا الإغريقية، كان محببًا إلى الآلهة، وأوكل إليه زيوس كبيرهم مهمة خلق المخلوقات الأرضية، فخلق الحيوانات كلها وأعطاها المميزات، حتى إذا جاء ليخلق الإنسان لم يجد له صفة غير صفة الآلهة فخلقه على هيئتها مما أحنق الآلهة عليه. عاقبه زيوس بأن ربطه إلى صخرة، ثم أطلق عليه عُقابا أو رخا اسمه «إثون»، يأكل كبده في النهار ويقوم زيوس بتجديدها في الليل. في النهاية قام هيراكليس بتحريره، وعاد إلى جبل أوليمبوس. يعتبر الإغريق، قيامه بتقديم النار للبشر كدليل على كونه من المساهمين في الحضارة الإنسانية.[11] والشّابي لا بدّ أنّه قد استلهم البعض من هذه المعاني في قصيدتيه: « فلسفة الثّعبان المقدّس ونشيد الجبار أو هكذا غنى بروميثيوس».

الصّوت الجبراني

يتمتّع جبران خليل جبران بشخصيّة مركّبة إلى درجة التّعقيد فهو يتمتّع بأرضيّة فكريّة خصبة وخلفيّة روحيّة عميقة فتقاطعت فيه التّصوّرات المسيحيّة والإيمان بالتّناسخ والفلسفة ولا سيّما فلسفة القوّة، منها وهي عبارة عن منازع فكريّة ظهرت ما بين الحربين تعلي من شأن الذّات البشريّة كينونة وصيرورة ويعتبر أنّ الآخرين هم الجحيم لأنّهم يفسّدون صفاء التّأمّل ويتسبّبون في الشرّ ونشر الألم في الكون. ومن ثمّة لزم الانزواء في أحضان الطّبيعة لمقاومة الزّيف والإعلاء من شأن الطّبيعيّ إزاء هيمنة الثّقافي الّذي جرّ المصير البشري إلى الكوارث والدّمار. ولئن ذهب محمّد الخالدي لاعتبار أنّ رومانسيّة الشّابيّ هي من نوع خاصّ لما تضمّنته من أفكار ثوريّة شديدة المساس بالواقع المعيش ذي الأبعاد الاجتماعيّة والسّياسيّة تتجاوز به الإطار الذّاتي المجال الحيويّ للتّيار الرّومنسي.[12] لئن ارتأى الخالدي ذلك فالمذهب على خلافه لأنّ جوهر هذا التّيار ينهض على العزلة الّتي هي وظيفيّة إذ تساعد على التّسلح بالطّاقة الرّوحيّة الّتي تهوّن على الثّائر ثورته. يقول جبران: « الحياة من غير تمرّد كالفصول بغير ربيع»[13]. حتّى إذا انصلحت كلّ ذات بمفعول التّطهّر بالعزلة والتّمرّد انصلح المجتمع. ولعلّ إحسان عبّاس لم يعدم الصّواب في رصده الفعل الرّومانسيّ في الأدب والفنّ عموما حين اعتبر أنّ ظهور الرّومانسيّة قد بشّر بتحوّل قويّ في النّظريّة الشّعريّة بل في النّظريّة الفنيّة عامّة، فقد ظلّ النّاس زمنا طويلا يعتقدون أنّ الفنّ نقل محاكاة لما في الطّبيعة حتّى قام من يقول إنّ الفنّ فيض للعواطف والمشاعر فانكمشت نظريّة المحاكاة.[14] قد رصد الفعل الرومانسي في الأدب

وقد أفلح الشّابّي في ترديد كلّ الأفكار الّتي تناولها جبران فنظم ما وجده منثورا فضلا عمّا قاله جبران شعرا وهذا جدول ببيانيّ على سبيل المثال لا الاستقصاء:

العواصف لجبران		أغاني الحياة للشّابي	
الموضوع	الصّفحة	الموضوع	الصّفحة
الشّاعر.	185.	شعري/ يا شعر/ أغنية الشّاعر.	35/ 38/ 15.
أيّها اللّيل.	31.	في الظّلام/ أيّها اللّيل.	55/ 19.
نحن وأنتم.	45.	الكآبة المجهولة.	31.
على باب الهيكل.	26.	صلوات في هيكل الحبّ.	141.
حفّار القبور/ صراخ القبور×	5.	حديث المقبرة/ يا موت/ إلى الموت/ خله للموت.	12/ 86/ 109/ 157.
يا بَني أمّي.	41.	يا ابن أمّي.	99.
قصّة النّبيّ.		النّبيّ المجهول.	116.
العاصفة/ العواصف (عنوان المجموعة القصصيّة).	111.	أيّتها الحالمة بين العواصف.	178.
رؤيا.	77.	صوت من السّماء/ أحلام شاعر.	132/ 180.
الجبابرة/ مجموعة الأرواح المتمرّدة.	92.	نشيد الجبّار.	206.
بين ليل وصباح.	54.	الصّباح الجديد.	185.
مات أهلي.	97.	إلى الموت.	86.
فلسفة المنطق.	107.	فلسفة الثّعبان المقدّس.	223.

×من مجموعة الأرواح المتمرّدة صفحة 30.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبكلمة هل يتسنّى للدّارس القول: إنّ الشّابي استعار من جبران النّاي وغنّى الحياة بطريقته الخاصّة وردّد أصداء جبرانيّة الّذي استقاها بدوره عن روّاد التّفكير الرومانسي.

الحظّ

تجدر الإشارة إلى أنّ المقصود بالحظّ انطلاقا من تعريف ابن منظور أنّه النّصيب والقسم والبخت والجدّ وهو من فعل القسّام[15] يقسّم الأرزاق كما يقسّم الأعمار وذيوع الصيت ورفع الذّكر. فللشّابي حظّ من العمر ضئيل وحظّ من الذّكر عظيم. فهل هو النّظام حسب عبارة ميخائيل نعيمة في رواية اليوم الأخير، يحدث التّوازن في الكون. فليس كلّ من حاضر في الصّادقيّة كالشابّي ونشرت أعماله بمجلّة عربيّة يلاقي من الرّواج ذاته والقبول نفسه. ومن هذا القبيل يمكن تفسير شهرة محمود درويش بدلا من مجايله ممدوح عدوان أو أبي الشعر الفلسطيني توفيق زياد كما تفهم شهرة عبد الوهاب البياتي بدلا من عدنان الصّائغ.

أصداء شعر الشّابي

لقد وجدت المضامين الشّعريّة لدى الشّابي هوى في النّفوس الّتي حطّ عليها الاستعمار كلكله وصدقت عليهم نبوءته في قوله:

إنّ ذا عصر ظلمة غير أنّي   من وراء الظّلام شمتُ صباحه

فكان الشّابي صوتا، وأبناء تونس المتلقين والمتذوّقين على فترة من الزّمن غير قصيرة ومازال بشعره على بساطته الرّومنسية المشرقة وبرمزيّته منفتحا على مهبّ الدّلالات مشرّعا على مسالك التّأويل وصنوف التّفسير.

الهوامش:

1 تجدر الإشارة في هذا المجال إلى التّرجمة التّي أنجزتها بيت الحكمة لمنتخبات من شعر الشّابي إلى الأنقليزيّة بعنوان songs of live سنة1987

2 العبارة لمحمّد بنيس من "حداثة السّؤال"، ط1، ص9

3 جان كوهن، بنية اللّغة الشّعريّة، ص191.

4جبران خليل جبران، العواصف، المجموعة الكاملة لمؤلّفات جبران، ص ص393-395.

5 إحسان عبّاس، اتجاهات الشّعر العربي المعاصر، ص13.

6 أنظر معجم روبار .

7 محمّد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري استراتيجيّة التناص، ص 122

8 ابن رشيق، العمدة، ج2، ص 280

9 الشّابي، ديوان الشابي، إرادة الحياة ص191

10 الرّعد 13/ 11

11 انظر موسوعة ويكيبيديا

12 انظر محمّد الخالدي، مئويّة الشّابيّ، منشورات قصص 2009، ص32

13 جبران خليل جبران، العواصف المجموعة الكاملة لمؤلّفات جبران، ص 415

14 إحسان عبّاس، فنّ الشّعر، ص ص،28-29.

15 ابن منظور، لسان العرب، مج 7، ص ص 440-441 مادّة حظظ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في ذكراه المئوية:

«أبو القاسم الشابي حياته وشعره» ليوسف عطا الطريفي

بقلم: عبد الله القاق[1]

في الذكرى المئوية للشاعر التونسي الكبير «أبو القاسم الشابي» أصدر الأديب والشاعر يوسف عطا الطريفي كتابا في 340 صفحة تناول فيها جوانب متعددة من حياة أبي القاسم وبيئته وشعره والمجتمع التونسي الذي عاش فيه والدراسات التي أجريت حوله والتعرف على آثاره.

لم يعش أبو القاسم الشابي طويلا... لكنه كما يقول المؤلف الطريفي[2] فهو أحد الشعراء الثلاثة الذين قضوا قبل الثلاثين طرفة بن العبد أولهم ثم أبو فراس ثانيهم وثالثهم أبو القاسم الشابي الذي مات عن خمس وعشرين سنة وقد فاق غيره حين أبدع وحلق في نزعته الرومانطيقية ربما بحكم شاعريته أو سنه أو بحكم عصره. وقد سار في إبداعه مع طبيعة الشاعر المندفع فأصغى إلى وجدانه، وعبر عن بيئته وعصره أجمل تعبير. ورغم قصر حياته فقد حفل أدبه بألوان من التجارب لم تتح لغيره كما يقول المؤلف، حيث آثار النفوس سواء كانت هذه النفوس معه في فلسفته أو كانت ناقدة له. صور من خلال نظرته الأدبية مجتمعه فكان كالآسي يعالج ما أفسد الدهر عليه من حياته بعد أن اجتمعت في شخصيته صفات الفنان الثائر المتمرد الذي عرف الداء فقدم الدواء بما أمكنه في حياته القصيرة.

قريته «توزر» أو منطقة الجريد أو النخيل وقبره الماثل للعيان والذي يزوره كل الأدباء تلفت الأنظار وتستهوي هذه القرية الأفئدة، وعاصمة بلاده تونس الخضراء والقطر التونسي بمجمله كان مقصد الرحالة والأدباء ومضرب الأمثال.. وقد زرتها ووجدت كم الحنين إلى هذه القرية لأن شاعرنا نظم الأشعار وعبر عما في صدره من شكوى وألم وقدم الحكمة ووصف الطبيعة ووحد بينها وبين الإنسان ليصل بفلسفته إلى عقل مجتمعه ووجدانه.

المؤلف اعتمد في كتابة الوثائق مراجع متنوعة ومتعددة لكنه لم يتطرق إلى نثر أبي القاسم لأن عنوان الكتاب خاص بحياته وشعره مع أنه أوضح إليه في مسامرته عن الخيال الشعري عند العرب وما دار حولها امن اراء.

هذا الكتاب يعتبر عملا جيدا ومتنوعا حيث شهد عصر أبي القاسم الشابي بزوغ فجر جديد بتوالد الأفكار الثورية والتحررية تصنع تونس مستقبلا زاهرا يربط الناس بحياة عصرية بعيدة عن الجمود والبدع والخرافات التي سادت فترة الاحتلال وكان لجامع الزيتونة الذي كان لي فرصة زيارته اثره الكبير في إحياء الفكر والتجديد والكفاح لتجسيد روح الحضارة ونفض غبار الظلمة والفساد حيث ظهرت جمعيات فكرية وأدبية حيث ألقى الشابي محاضراته وآراءه بصراحة ليكون عاملا قويا ومؤثرا ليوقظ شعبه ومجتمعه من غفلتهم كما نظم الأشعار ليعبر عما في صدره من أشجان وثورة لطرد المحتل الفرنسي وخلع «البايات» بعد تلك السيطرة على مقدرات تونس واقتصادها وثقافتها وعلى فكر أبنائها.

لقد كانت حياة شاعرنا الذي احتفلنا بمئويته منذ أيام مليئة بالشقاء والألم عامرة بالأحزان طافحة بالحرمان والتعاسة مغمورة بالكآبة والأسى. ولسنا نعرف شاعرا في مثل بيئة الشابي وأجوائه تجمعت عليه مثل ضروب العذاب وألوان الشقاء حيث فجرت في فؤاده الأغاني وألهبت قلبه بالحب وقادته إلى حياة صوفية سامية تميزت بتبرمه العنيف وثورته الجارفة.

(1) نشر المقال في جريدة الدستور بتاريخ 27 مارس 2009.
(2) وهو عضو اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين وله العديد من المؤلفات في الأدب والشعر ترك آثارًا عظيمة من النثر والشعر.

ثقافة المقاومة عند أبي القاسم الشابي

بقلم: شوكت علي درويش

يقول أبو القاسم الشابي:

سأعيش رغم الداء والأعداء كالنسر فوق القمة الشماء

سأعيش نظرة مستقبلية يقهر بها الشاعر المقاوم أولا: الداء، وأدواء النفس البشرية كثيرة كثرة النفوس، فالحب أحد هذه الأدواء، وقد ابتلي به شاعرنا وهو ابن خمسة عشر ربيعا، وفرق الموت بينهما وهي برعم لم يتفتح بعد على الحياة، وهو يرسم (كما أبناء سنه) بفكره طموحاته ونظرته إلى المستقبل فأسقط على الحب كل ما أصابه فقال:

أيها الحب أنت سرّ بلائي وهمومي وروعتي وعنائي

ونحولي وأدمعي وعذابي وشقائي ولوعتي وشقائي

وداء آخر لازمه منذ بداية عمره فكان عليلا ضعيف البنية نحيلا، لكن علته لم تظهر آثارها إلا في السنوات الست الأخيرة من حياته... وهي سنوات العطاء الثرّ في نتاج الشابي.

وقد نصحه أطباؤه بالتنقل في ربوع تونس، فخرج لمصائفها ومشاتيها، مع ما كان يبديه أحيانا من تبرم وسخط، حتى بات يناشد الموت أن يريحه من هذا الشقاء. ففي قصيدته «في ظل وادي الموت» التي نظمها بتاريخ 5/ 4/ 1932 يقول:

قد رقصنا مع الحياة طويـلا وشـدونا مع الشـباب سنينا

وعدونا مع الليالي حـــفاة في شعاب الـزمان حتى دمينا

وأكلنا التراب حتى ملـــلنا وشربنا الدمـوع حتى روينـــا

ونثرنا الأحلام والحب والآلا م واليأس والأسى حيث مشينا

×××

ثم ماذا؟ هذا أنا صرت في الدنـيا بعيدا عن لهوها وغناها

في ظلام الفناء، أدفـــن أيّا مي ولا أستطيع حتى بكـاها

وزهور الحياة تهوي بـصمت محزن، مضجر، على قـدميّا

جفّ سحر الحياة يا قلبي البا كي فهيّا نجرّب الموت... هيّا

فهل هدّه الداء وهزمه، فاستكان وهمد جنانه، وفترت حيويته؟

لا أظن ذلك، بل ظلّ يتغنى بما أحب، وهي من وسائل ثقافة المقاومة. أحبّ طبيعة بلاده وأرضها، فهذه نصوصه المسبّحة في تجليات الطبيعة، المستكنهة لسرّ الأرض ودورها في احتضان الحياة، وإذكاء شعلتها يمكن أن تساهم في إرهاف حساسية القارئ، فضلا عن ربطها بحبل سرّي متين... الإنسان بأرضه ووطنه وتجذير مبدأ الانتماء الوطني في نفسه، فمن ينتمي للأرض ترابًا أقدر على الانتماء إليها تجمعا ودولة

وقيادة، ومن سرى في عروقه حبّ الأرض لن يسمح بضياعها أو الاعتداء عليها، فتكون مقاومة المعتدي أشرس في نفسه.

كيف لإنسان يسمع من «أغاني الحياة» التي قالها الشاعر بتاريخ 6/ 2/ 1933 ولا يعشق الأرض حبّا صوفيّا يذوب معه ليصبح جزءا منه، متوحّدا مع:

أقبـــل الصبح يغني لـــلحياة النائمـــة
والربى تحلم في ظل الغـــصون المائســـة
والصّبا تُرقــص أوراق الزهور اليابســـة
وتهادى النور في تلك الفجاج الدامســـة
. . . .
وإذا جئنا إلى الغـــاب وغـــطانا الشجر
فاقطفي ما شئـــت من عشب وزهر وثمر
أرضعته الشمس بالـــضوء وغـــذاه القمر
وارتوى من قطرات الطلّ في وقت السحر
. . . .

والحب من أولويات ثقافة المقاومة.

ولنقارن مع قصة محمود سيف الدين الايراني «الأرض الطيبة» التي بدأها بقوله: «البحر أمامها، وجنات البرتقال خلفها، وهي بينهما تنعم بما لم تنعم به مدينة من قبل، لياليها ملاح زاهرات، ونهاراتها كدّ وسعي ورزق كبير، حبّة البرتقال والبحر: مورد خيرها، شجرة البرتقال كان صاحبها يغرسها بيده في المنبت الطيب، ويظلّ يتعهدها ويرعاها ويفيض عليها من ماله وحبّه، عينه أبدا عليها، وقلبه مشغول بها، وكلما امتدت جذوعها في الأرض، وغلظت ساقها، وكثرت فروعها، ورفّ ورقها الأخضر، وانتشرت من حولها الظلال والأفياء، تهلل فرحا، واستبشر خيرا، وحمد الله وصلى على نبيه الكريم.

وكانت فرحته الكبرى يوم يرى البرعمة تطلّ من بين الأوراق الخضر بيضاء، ناصعة، لها عبير فواح، يتقطر منها الندى، ويضاحكها النور: سر البرتقالة في البرعمة، والماء سر الحياة في الاثنتين... وتتفتق البرعمة، وتنشق منها حبّة خضراء... وما أن يقبل الشتاء حتى تتلقى تلك الحبة أولى نظراته وقد غدت كرة من الذهب ملء الراحتين بين أوراق مخملية، مزهوة بكنـزها الثمين، ويحين أوان القطاف... ثم ترسل إلى عنابر السفينة حيث تحمل إلى ما وراء البحار، هدية نفيسة من يافا، من الشرق، فيها قبس من شمسه ودفئه، ونفحة من طيبه وعطره، ونبعة حلوة ثرة من رحيقه.

لوحتان فنيتان، تبعثان في القارئ الحبّ للأرض، فكلاهما - الشابي والإيراني- قلماهما ريشتان وألفاظهما خطوط وألوان وأنغام، فهل لكل هذا سوى وبعثه في النفس وتربية النفس على الدفاع عمن تحب.

ومن وسائل التربية التي تعمق ثقافة المقاومة، التربية بالقدوة، فهل وجد الشابي قدوته؟

نعم، وخير قدوة للمرء والده، يقول الأستاذ يوسف الطريفي: «الشيخ محمد الشابي والد أبي القاسم هو عميد أسرة الشابيّة في تونس، وقد كان لعائلة الشابي مكانة مرموقة، ذات مجد لامع في تاريخ

تونس العلمي والسياسي، وخاصة في منطقة الجريد جنوب غرب تونس، التي اشتهر أهلها بالذكاء والفطنة والإقبال على العلوم والمعارف بشتى أنواعها.

والده أزهري لسبعة أعوام نهل من علومه، وتشرب مبادئ الإصلاح على الإمام محمد عبده، وتأثر بأفكار الشيخ جمال الدين الأفغاني، ثم عاد إلى تونس وانتسب إلى كلية الزيتونة حيث نال جائزة «التطويع»، وبعد تخرجه في جامعة الزيتونة عيّن قاضيا شرعيّا ببلدة (سليانة) ثم نقل إلى (قفصة) ثم إلى (قابس) ثم إلى (تالة) ثم (مجاز الباب) ثم إلى (رأس الجبل) ثم إلى (زغوان).

وقد عرف الشيخ بصدقه وقوة عقيدته، وغيرته على الدين، وتفاعله مع ما يجري حوله من أحداث في المغرب العربي، وطرابلس الغرب، وبلاد الريف أثناء غزو الطليان لليبيا وتعاطفه مع عبد الكريم الخطابي، في شمال مراكش.

والوفاء للقدرة وبخاصة إذا كان مقاوما أولى بشائر الثقافة، وقد كان أبو القاسم وفيّا لقدوته الوالد ولذا نراه في أول مطبوعة له «الخيال الشعري عند العرب» يهديه إلى والده يقول: «إلى حضرة الوالد الكريم الشيخ سيدي محمد بن بلقاسم الشابي الذي ربّاني صغيرا وثقفني كبيرا، وأفهمني معاني الرحمة والحنان، وعلمني أن الحق خير ما في هذا العالم، وأقدس ما في هذا الوجود، أتقدم بهذه الصفحات التي هي أول عمل أخرجته للناس، وأنا أرجو أن أكون قد توخيت فيه صراحة الصدق وجمال الحقيقة».

وأسمعه يرثيه شعرا:

يا موت، قد مزّقت صدري
وقصمت بالأرزاء ظهري
وفجعتني فيمن أحب، ومن إليه أبثّ سرّي
وأعدّه، فجري الجميل، إذا ادلهمّ عليّ دهري
وأعدّه وردي، ومزماري، وكاساتي وخمري
وأعدّه غابي، ومحرابي، وأغنيتي وفجري
ورزأتني في عمدتي، ومشورتي في كل أمر
وهمدت صرحا لا ألوذ بغيره، وهتكت ستري
ففقدت روحا طاهرا شهما يجيش بكل خير
وفقدت قلبا همّه أن يستوي في الأفق بدري
وفقدت كفّا في الحياة يصد عني كل شرّ
وفقدت وجها لا يعبّه سوى حزني وضري
وفقدت نفسا، لا تني عن صون أفراحي وبشري
وفقدت ركني في الحياة، ورايتي، وعماد قصري

. . . .

وهذا الإهداء، وهذا الرثاء يبينان بوضوح أثر قدوة الوالد على شاعرنا: وقد عرف عن الشيخ أنه لا يخاف في الله لومة لائم، فقد ربى ولده وعلّمه وأدّبه وثقّفه على صراحة القول وجمال التعبير وهو الذي رافقه في حلّه وترحاله متنقلا مع والده حيث حلّ وحيث ارتحل، والشابي رائد من رواد الإصلاح في التعليم، وقد تحدث عن هذا الأستاذ محمد الصالح المهيدي فقال: «. . . لما قام الطلبة يطالبون بالإصلاح

الزيتوني، كان الشابي أول رئيس للجنة الطلبة... وهو الذي وضع أول برنامج عمل للمطالبة بالإصلاح، وما زلت أذكر الليلة الأخيرة من شهر ديسمبر (كانون الأول) عام 1928، تلك الليلة التي واصلت فيها لجنة الطلبة العمل إلى الصباح، وذلك إثر إلقائي القبض على بعض الطلبة الذين اتهموا بالتحريض على الاغتصاب، وما أبداه الشابي من الثبات والشجاعة المتناهية.

ولما وجهت لجنة الطلبة منشورا إلى رجال الفكر والرأي المصيب بالقطر التونسي تطلب منهم إمدادها برأيهم في الإصلاح، كان أول جواب تلقته من والد أبي القاسم الذي حرّر تقريرا إضافيّا احتوى على نحو عشرين صفحة، ضمّنه آراءه في الإصلاح، أردفه بمكتوب لطيف يعتذر فيه عن التقصير لكثرة أشغاله حيث كان قاضيا على زغوان.

وهذا يدلّ أيضا على أن الشابي قد تأثر بحياة والده الوطنية والسياسيّة والأدبيّة... ويظهر هذا أن الشيخ كان يشجع ابنه على ذلك مؤثرا فيه بشكل كبير»[1](1).

أليس الإصلاح وسيلة من وسائل ثقافة المقاومة؟ أوليس الثبات في الموقف والشجاعة المتناهية من وسائل ثقافة المقاومة؟ أوليس تشجيع القدوة لابنه من وسائل ثقافة المقاومة؟

والإصلاح، والمقاومة لا يتأتيان إلا بتشخيص الداء ووصف الدواء، وقد وعى مبكرا أن الجهل سبب كل داء، ففي قصيدة "الصيحة يقول:

يا قومي ! عيني شامت — للجهل في الجو نارا

....

يا قوم سرتم حثيثا — خطى وراء كبارا
نبذتم العلم نبذ النوى — قِلى وصغارا
لبستم الجهل ثوبا — تخذتموه شِعارا
يا قوم مالي أراكم — قطنتم الجهل دارا
أضعتم مجد قوم — شادوا الحياة فخارا
أبقوا سماء المعالي — بما أضاءوا منارا
حاكوا لكم ثوب عزّ — خلعتموه احتقارا
ثم ارتديتم .... — لبوس خزي وعارا

....

يا ليت قومي أصاخوا — لما أقول جهارا
يا شعر أسمعت لكنّ — قومي أراهم سكارى
فلا تبال إذا ما — أعطوا نداك ازورارا
واصبر على ما تلاقي — وأصدع وقيت العثار

وفي قصيدته «النبي المجهول» يقول:

....

أيها، أنت طفل صغير — لاعب بالتراب والليل مغسي
أنت في الكون قوة لم تسُسها — فكرة عبقريّة ذات بأس

(1) [1] أبو القاسم الشابي، حياته وشعره، يوسف عطا الطريفي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان/ 2009 م.

أنت في الكـــون قوة كبلتها | ظلمات العصور من أمس أمس
والشقي الشقي من كان مثلي | في حســــــاسيتي ورقة نفسي

واسمعه في «الأشواق التائهة» حيث يقول:

. . . .

يا صميم الحياة كم أنا في الدنيا | غريب أشـــقى بغـربة نفسي
بين قوم لا يفهـــمون أناشيد | فـــؤادي ولا معـــاني بؤسي
في وجـــود مـكبل بقـيود | تائه في ظلام شـــك ونحس
فاحتضني وضمني لك كالمـا | ضـي فهذا الوجود علّة يأسي

فهذه بعض الأدواء، فأين الدواء؟ وأين الآسي؟

الدواء هو مقاومة الجهل، والآشي هو رجل الدين ففي قصيدته «يا حماة الدين»:

لقد نام أهل العلم نوما مـغنطا | فلم يسمعوا ما ردّدته العوالم
ولكن صوتا صارخا، متصاعدا | من الروح يدري كنهه المتصامم
سيوقظ منهم كل من هو نـائم | وينطق منهم كل من هو واجم

. . . .

سكتم حماة الدين، سكتة واجم وغمتم بملء الجفن، والسيل داهم
سكتم وقد شمتم ظلاما غضونه علائم كفر ثائر ومعالم
مواكب إلحاد وراء سكوتكم | تضج، وها إن الفضاء مآثم

. . . .

. . . .

. . . .

أفيقوا وهبّوا هبّة ضيغميّة | ولا تحجموا، فالموت في الجبن جاثم

. . . .

فو الحقّ، ما هذي الزوايا وأهلها سوى مصنع فيه تصاغ السّخائم
لحى الله من لم تستثره حميّة | على دينه، إن داهـمته العظائم
لحى الله قوما لم يبالوا بأسهم | يصـوبها نحـــو الديـــانة ظالم

هو الاستنهاض «لحى الله من لم تستثره حميّة على دينه، إن داهمته العظائم» والاستنهاض بحاجة إلى حسّ ينمي روح مقاومة المحتلّ، فيقول في قصيدته «النبي المجهول»:

فهي تدري معنى الحياة وتدري | أن مجد النفوس يقظة حسّ

ويقظة الحسّ تولد الإرادة والإرادة تقود إلى النصر. ففي قصيدته «سرّ النهوض» يقول:

لا ينهض الشعب إلا حين يدفعه | عزم الحياة، إذا ما استيقظت فيه
والحبّ يخترق الغبراء، مندفعا | إلى الســـماء، إذا هبت تناديه
والقيد يألفه الأموات، ما لبثوا | أمـــا الحيـــاة فتلبيها ويلبيه

ولاستكمال استنهاضه شعبه يشخص داء الفرقة في قصيدته «الدنيا الميتة» يقول:

إني أرى، فأرى جموعا جمّة | لكنها تحيا بلا ألباب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يدوي حواليها الزمان، كأنما | يدوي حــوالي جندل وتراب
وإذا استجابوا للزمان تناكروا | وتراشقوا بالشوك والأحصاب
وقضوا على روح الأخوة بينهم | جهلا وعاشوا عِيشة الأغرابِ
فرحت بهم غول التعاسة والفنا | ومطــامع السلاّب والغلاّب

ويعود بذكاء الحسّ عند المقاوم فيقول في قصيدته «إلى الشعب»

أين يا شعــــب قلبــك الحسّاس؟أين الطموح والأحلام
أين يا شعب، روحك الشاعر الفنان أين الـخيال والإلهام
. . . .
إن يمّ الحياة يدوي حواليك فأين المغامر المقدام
. . . .
. . . .
أي عيش هذا وأيّ حياة (ربّ عيش أخفّ منه الحمام)

قلنا الحسّ يقود إلى الإرادة، والإرادة هي «إرادة الحياة»:

إذا الشعب يوما أراد الحياة | فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينــجلي | ولا بد للقيد أن ينكــسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة | تبخّر في جوّها وانـــدثر
. . . .
وقال لي الأرض لما ســألت | يا أم هل تكرهين البشر؟
أبارك في الناس أهل الطموح | ومن يستلذّ ركوب الخطر
. . . .

فإذا أراد الشعب وترجم إرادته إلى أفعال فما مصير المستعمر والظالم ففي قصيدته «قالت الأيام» يقول:

يا أيها الســادر في غيّه | يا واقفا فــــوق حطام الجباه
مهلا ففي أنات من دستهم | صوت رهيب سوف يدوي صداه
لا تأمنن الدهر إمــا غــفا | في كهفه الــداجي، وطالت رؤاه
فإن قضى اليــوم وما قبله | ففي الغد الحي صـــباح الحياة
يا أيها الجبــار لا تزدري | فـــالحق جبـار طويل الأناة
يغفي وفي أجفــانه يقظة | تـــرنو إلى الفجر الذي لا تراه

وتبقى: شرعتي حبك العميق، وأني قد تذوقت مرّه وقراحه (من قصيدة «تونس الجميلة»)

رحم الله أبا القاسم، وأشكر لكم حضوركم، وأشكر لاتحاد كتابنا إحياءه لذكرى أبي القاسم الشابي، والشكر الجزيل للأستاذ يوسف الطريفي على بديع صنعه في إخراج كتابه «أبو القاسم الشابي، حياته وشعره» تزامنا مع هذه الذكرى، والذي أفدت منه ومن تعليقاته على منثور أبي القاسم في كتابه «الخيال الشعري عند العرب».

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

الذكرى المئوية لميلاد أبي القاسم الشابي

بقلم: يوسف عطا الطريفي

اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين

عانى الشاعر العربي من أزمة الضمير في أوائل القرن الماضي، وحمل عبئا ثقيلا، لأنه رفع راية التجديد وانشغل بإعادة تنظيم الواقع العربي. وبرزت حينذاك ظاهرة الشاعر الناقد، والشاعر المفسر، والشاعر المنظر، ولم يقتصر الشاعر على النظم وصياغة الشعر.

وقد برزت مشكلات الشعر الحديث، وأصبحت أكبر من أن تستوعبها مشكلات العصر، فكان لابد من فتح مغاليق النفس وإلقاء الأضواء على عالم القارئ الخاصة لترسيخ الجوانب التي يتبناها ويأخذ بها، ودون أن نطيل البحث فقد نجحت التجربة وشكّلت واقعا نوعيا برّرته أوضاع العالم العربي في تلك الفترة.

وكان الشابي في الشطر الثاني للوطن العربي، من أوائل الذين عبّروا عن هذا الإحساس، وعن فكرة شاملة تستوعبه عن الفن والحياة.

لقد كتب كثيرون عن الشابي، وقليلون هم الذين كتبوا عن آرائه ومفاهيمه التجديدية حتى المقربين منه، لم يكشفوا لنا ذلك الدور الوجداني الذي عايشه الشاعر. مع أنهم لمحوا في بعض مقالاتهم إلى أن الشابي اتخذ من الشعر قضية كان يعيش من أجلها، وأنها أصبحت قضية لثورته الحضارية والثقافية الشاملة.

ولد الشاعر أبو القاسم الشابي شاعر الحب والحياة، شاعر الحب والثورة، شاعر الحياة والموت، شاعر الطبيعة، شاعر التجديد، حينما كان جنين النهضة الأدبية يتحرك في أحشاء الوطن العربي، بعد أن رزحت الأمة تحت سنين الجدب الثقافي، وغشيت البلاد ظلامة داكنة بسبب ظلم المحتل في أوائل القرن الماضي وبالتحديد في عام 1903. في هذا العام وفي الشابية إحدى ضواحي توزر كبرى بلاد الجريد، حيث المناظر الخلابة، والبلاد المعروفة بجمالها، وبساتينها الفواحة، ووسط الواحات الشاسعة، والمياه الوفيرة، والطبيعة الهادئة الحالمة بالآمال العريضة، ولد شاعرنا، من أسرة عرفت في الأوساط التونسية منذ القرنين العاشر والحادي عشر بثقافتها ودعوتها للإصلاح بين أهالي المنطقة.

وهناك بدأ الشابي رحلته العلمية والمعرفية بين أحضان والده الذي أصبح قاضيا شرعيا بعد أن حاز على إجازة التطويع، يرافقه ولده البكر في تنقلاته، ثم ألحقه بالكتّاب وهو في الخامسة، حرصا منه على تحفيظه القرآن الكريم، فكان له ذلك وابنه في التاسعة من عمره، وعندما بلغ ولده الثانية عشرة عام 1920 أدخله جامع الزيتونة ليكمل دراسته الدينية واللغوية، ويحوز مثل أبيه على شهادة التطويع عام 1928. ثم التحق بمدرسة الحقوق التونسية وتخرّج منها عام 1930.

وخلال هذه الفترة وجد الشابي في نفسه ميلا للأدب، فاتجه إلى كتب أدباء المهجر أمثال جبران خليل جبان، وميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي، وتأثر بها وخاصة كتب جبران مما انعكس على شعره بشكل واضح. كما اطلع على أمهات الكتب، كالأغاني وصبح الأعشى ونفح الطيب والكامل والأمالي والعمدة والمثل السائر وكتاب الصناعتين، وغيرها من أمهات

الكتب التي توافرت لديه، كما اطلع على مجموعة من الدواوين الشعرية القديمة والحديثة، وكذلك أعجب بكتب «لامارتين» و«غوته» كإعجابه بالمعري وابن الفارض، إضافة إلى ما كان يصدر من مجلات عربية آنذاك.

أظهر الشابي خلال هذه المرحلة نشاطات أدبية واجتماعية بارزة تمثلت في ترأسه حركة طلابية كانت تهدف إلى إصلاح مناهج التعليم بما يتناسب والروح الوطنية عند الشباب التونسي، كما أسس جمعية الشبان المسلمين، وساهم في تأسيس النادي الأدبي بتونس العاصمة، ونادي الطلاب بتوزر. وكانت هذه السنوات محطات هامة في تشكيل شخصية الشابي الأدبية والشعرية، حيث تم له الانطلاق والحرية بالإطلاع على الكتب الأدبية دون قيود، فكان صاحب قصيدة «إرادة الحياة» و«الصباح الجديد» و«نشيد الجبار» و«فلسفة الثعبان المقدّس» وغيرها من القصائد التي بلغت رغم قصر حياته التي لم تتجاوز الستة والعشرين عاما أكثر من مئة قصيدة.

نحن إذن أمام شاعر ظهر نبوغه وميله إلى الأدب وإلى الشعر مبكرا فكان زاده في حياته، ونحن بدورنا حفظنا بعضه ورددناه من بعده في مرحلة مبكرة أيضا، حين نظم أولي أغنياته وهو في سن الرابعة عشرة ليعبر عما يكنه في صدره من حب لفتاته اليافعة:

أيها الحب أنت سرّ بلائي   وهمومي وروعتي وعنائي
ونحولي وأدمعي وعذابي   وسقامي ولوعتي وشقائي

هذا الحب الذي لم يعش طويلا، لأن الموت فجعه به فماتت حبيبته وهي برعم لم يتفتح بعد على الحياة، وكان يريد أن يتمتع بظله، ولذلك أكّد بعض أصدقائه أن الشابي لم تكن له حياة قلبية بعد تلك الفتاة التي أحبها في الخامسة عشرة من عمره. والمطّلع على حياة الشعراء يجد هذا عند أغلب الشعراء الشباب ولكن بدرجات متفاوتة، فقد أحب الجواهري وهو صغير حين ارتحل أهله في تلك النزهة التي كانت بأطراف الكوفة، وعلقت بقلبه فتاة من جيله فظل يحاول أن يراها، أو كتجربة إبراهيم طوقان الذي أحب فتاة كفر كنا، أو كتجربة السياب الذي عاد بعد زمن يبحث عن صديقة الطفولة في المرعى.

لقد أذكى هذا الحب نفس الشابي، لكن موته مبكرا أورثه غصّة وأسى ونقمة فتحولت تجربته إلى ثورة فجّرت حنايا بواعث الموت فطفق يتبرم من تلك الثنائية التي تحسّ وأنت تقرأ شعره فيها أنه يفكر بصوت عال أو يحلم بصوت مسموع وهو يحدث فتاته التي أحبها، فيقول:

بالأمس كانت حياتي كالسماء الباسمة
واليوم أمست كأعماق الكهوف الواجمة
قد كان لي ما بين أحلامي الجميلة جدول
يجري بها ماء المحبة طاهرا بتسلسل

فُجع الشاعر بموت حبيبته فغنّى أول أغنياته، وقبل أن يستريح من عنائه كانت الرزيّة الثانية أشدّ وقعا وأكثر إيلاما، حين خطف الموت والده الذي هو أكثر الناس تأثيرا عليه وأعظمهم عطاء، وتتحول تبعات العائلة على عاتقه وهو ما يزال شابا صغيرا لم يتفيأ حنان الحياة بعد، فقال أبياتا تحسبها على لسان شيخ كبير ملأ غبار الدهر رأسه:

يا موت قد مزّقت صدري وقصمت بالأرزاء ظهري
ورميتني من حالقٍ وسخرت منّي أيَّ سُخر
فلبثت مرضوض الفؤاد أجرّ أجنحتي بذعر...
وفجعتني فيمن أحبّ ومن إليه أبثّ سرّي

وأعدّه فجري الجميـل إذا ادلهمّ عليّ دهـري

حينها خاطب الشاعر الموت، واندفع بأساه وحسرته في مشهد أقفرت فيه عرصات صدره، فتزاحمت الهموم من حيث لا يدري، وبعيدا بعيدا راح يندب مشاعره وأحاسيسه في عالم زاخر بالألحان الحزينة والأضواء الخافتة البعيدة والمجهولة:

ما كنت أحسب بعد موتك يا أبي ... ومشاعـري عمياء بالأحزان
أني سأظمأ للحـــياة وأحتسي ... من كأسـها المتوهج النشوان
وأعود إلى الدنيـــا بقلب خافق ... للحبّ والأفـراح والألحان
فإذا أنا طفـــل الحياة الـمنتشي ... شوقا إلى الأضواء والألوان

ويحسّ الشاعر بألم الجسد، فتكثر الهموم وتزداد يوما بعد يوم وتظهر الأعراض شديدة، فيستعين بالأطباء الذين نصحوه بالتوقف عن الإجهاد، ويصارحه الدكتور محمود الماطري بحقيقة مرضه، فتصيبه الحسرة وهو يعبر أحد شوارع الضواحي فيرى صبية يلعبون وشباب الزيتونة يرتاضون في الهواء الطلق والسهل الجميل فيقول: «ومن لي بأن أكون مثلهم آه يا قلبي ! أنت مبعث آلامي وأحزاني، آهات شاعر أحسّ بالألم فلا يستطيع تجاوزه، ولكن ما الحيلة، ولعله بهذا الضيق وهو مازال يافعا يبدأ البحث عن المخرج، فيضع يومياته عام 1930، حين قرر الأطباء أن يخرج الشابي إلى المناطق المعتدلة الجبلية، ليعود مكرها إلى الترحال بين مصايف تونس ومشاتيها، ويحيا بين الغابات، فغنى ما استطاع رغم الداء فزاد المرض، ونال منه الإعياء، فراح يناشد الموت بقصائده مثل «في ظل وادي الموت» و»زوبعة في الظلام» و»الجنة الضائعة» كما عزف «إرادة الحياة» و»أغاني الحياة»، وغير ذلك من أغانيه التي صدح بها ليسكب في كل ذلك عصارة روحه ويعزف للإنسانية أجمل الألحان على أوتار قلبه المكلوم، وفي الساعة الرابعة من صباح يوم الاثنين، التاسع من شهر تشرين الثاني لعام ألف وتسعمائة وأربعة وثلاثين وجد الشعر العرب بأنفاس الشاعر الحبيب قد ذابت وبسمة السحر قد تلاشت وغابت أنغام الجمال، لأن روح الشاعر قد صعدت إلى عالم البرزخ، عالم الخلود، وضمه تراب القبر في روضة بالشابية، بعد أن ترك لنا أثرا كبيرا بين شعراء زمانه، وكفانا لو اقتصرت تركته على «إرادة الحياة» وحدها. فكيف به وقد ترك في هذه الحياة القصيرة التي لم تتعدّ الستة والعشرين عاما، أكثر من مائة وعشر قصائد، غير المقالات والرسائل والمذكرات والقصص الجميلة، ودراسات تحليلية، ومسرحية ذات فصلين، وأظن أن هذا إنتاج ضخم رغم مرضه وقصر السنوات التي عاشها.

لقد سيطرت على الشابي مشاعر وأحاسيس كثيرة، ربما تعود إلى مثاليته الروحية التي استمدّها من الطبيعة ومن جلاء الصور الشعرية التي تجمعت في جوهر أفكاره فعبر عنها بطريقته الرومانسية التي يسعى بها إلى الغاية المطلقة:

أراك فتـــحـلو لي الحياة ... ويملأ نفـسي صباح الأمل
وتنمو بصدري ورود عذاب ... وتحنو على قلبـــي المشتعل
أراك فأخـلق خلقا جديدا ... كأني لم أبْلُ حرب الوجود
ولم أحتمل فيه عبئا ثقيلا ... من الذكـريات التي لا تبيد

ثم تراه يبدع صورا فتانة فيؤلف بين الصور المتعددة حتى تكون إبداعات جديدة مليئة بمعان سامية نادرة:

أنت. . . ما أنت؟ أنت رسم جميل عبقري من فنّ هذا الوجود
فيك ما فيه من غـــموض وسحر وجـمـــال مقدّس معبـود

أنت روح الربيع تختال في الدنيا فتهتزّ رائدات الورود

ورغم هذه الصورة لحياته إلا أنه لم يستطع أن يتجاهل الشعور الذي سيطر عليه بعد المحن التي أصابته:

في فؤادي الغريب تخلق أكوان من السّحر ذات حسن فريد

وها أنت تراه يتنقل بين المعاني الكونية، فمرة مع الربيع، ومرة مع الدهر، ومرة يصرخ، ومرة ينعم بالدفء، وهذه نظرات فلسفية تنعكس عليه في شعره يجمع فيها بين اللذة والألم فيهتف من أعماق صدره فيقول:

اسكتي يا جراح واسكني يا شجون
مات عهد النواح وزمـــان الـجنون

ثم ينتقل إلى الصورة الكاملة التي يحسّ بها ليطلّ عليه الصباح من وراء القرون

في فؤادي الرحيب معبد للجمـال
شيّدته الــحياة بالرؤى والـخيـال

ويخاطب نفسه متحديا وكأنه يحسّ بدنوّ الأجل:

سأعيش رغم الداء والأعـداء كالنـسر فــوق القمة الشماء
أرنو إلى الشمس المضيئة هازئا بالســحب والأمطار والأنواء
لا أرمق الظلّ الكئيب ولا أرى ما في قــرار الـهوة السوداء
وأقول للقدر الــذي لا ينثني عن حرب آمــالي بكل بلائي
لا يطفئ اللهب المؤجج في دمي موج الأسى وعواصف الأرزاء

وهكذا عاش الشابي حياته بين نشوة صوفية مربوطة بأحلام روحه، وآلام جسده، لكنها نسمة تضوع منها جمال العبير والفن، أهداها طربا في فكرة الفنان والشاعر والأديب، داعيا إلى الإصلاح والتجاوز نحو فجر الحرية والكرامة والاستقلال للبشرية. كما كان رمزا وتعبيرا عن جيل ومرحلة، دعا فيها إلى الوجود الروحي للإنسان المعذّب من أثر الطغيان حيثما كان. ولم ييأس: «هل يأتي ذلك اليوم الذي تعانق فيه أحلامي قلوب البشر فترتّل أغانيّ أرواح الشباب؟». واسمعوا هذه القصيدة التي يعبر فيها عن المأساة البشرية حين يستولي الظلم والطغيان في الأرض وهي بعنوان «فلسفة الثعبان المقدّس»، وقد نظمها عام 1934، فهي تعبر عن فلسفة القوّة المثقفة في كل مكان.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أصداء

نشاط الاتحاد ونواديه

نشاط نادي حوار:

نادي حوار الذي تشرف على تنشيطه الشاعرة نجاة الورغي والمخصص لمحاورة الكتاب والمبدعين الذين يكتبون بالفرنسية استضاف الكاتب التونسي محمد بوعمود وذلك يوم 21 نوفمبر 2009 حيث تمت محاورته حول تجربته الإبداعية.

نشاط نادي السرد:

في إطار النشاط المعتاد لنادي السرد الذي يتولى تسييره القاص عمر السعيدي تمت استضافة القاص محمود بلعيد وذلك يوم 20 نوفمبر 2009 حيث تمت محاورته حول مجموعته القصصية (شكرا أيها اللص الكريم) وقد تولى تقديم هذه المجموعة الأستاذ فاروق العمراني. كذلك استضاف النادي يوم 04 ديسمبر 2009 القاص صالح الدمس حيث تمت محاورته حول روايته الجديدة «حلم التفاح» وذلك بحضور عدد كبير من رواد النادي وأصدقاء الضيف.

نشاط نادي الشعر:

استضاف نادي الشعر الشاعر عبد الله القاسمي يوم 25 نوفمبر 2009 حيث تمت محاورته بخصوص مجموعته الشعرية الجديدة (مرافئ الضوء التي تولى تقديمها الصديق نور الدين الخبثاني.

وفي يوم 11 ديسمبر 2009 تـمّت استضافة الشاعرة سليمة السرايري حيث حاورها رواد النادي حول مجموعتها الشعرية (أصابع في كف الشمس) وكانت جلسة حميمية اجتمعت فيها الموسيقى والغناء والشعر وقد تولت التقديم الكاتبة فتحية الهاشمي. واستضاف النادي في خاتمة جلساته للعام 2009 وتحديدا يوم 25 ديسمبر الشاعر والمسرحي عبد القادر بن سعيد حيث تمت محاورته حول مجموعته الشعرية الجديدة (هذا ما يظل بيننا). وقد تولى تقديم الضيف وإدارة اللقاء منشط النادي الصديق عادل الجريدي وذلك بحضور عدد كبير من المهتمين بالشعر وبالمسرح.

المسار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أصداء ثقافية

وداعا.. د. جعفر ماجد

فقدت الساحة الثقافية والإعلامية في بلادنا شاعر تونس الكبير الدكتور جعفر ماجد صاحب المؤلفات الشعرية والنقدية الكثيرة وصاحب مجلة رحاب المعرفة والعضو في مجلس المستشارين والمنسق العام لتظاهرة القيروان عاصمة للثقافة الإسلامية (2009)... رحيله خلّف الحسرة والأسى في قلوب قرائه وأصدقائه وكل من عرفه من قريب أو بعيد... تغمده الله بالرحمة الواسعة.

افتتاح مكتبة الشابي

في بيت الشعر بالمدينة العتيقة اختتم معالي وزير الثقافة يوم الخميس 7جانفي 2010 تظاهرة الاحتفال بمائوية شاعر تونس الخالد أبي القاسم الشابي و ذلك بافتتاح مكتبة الشابي داخل فضاء بيت الشعر وتتضمن كل ما كتبه الشابي وما كتب حوله .كما تفضل الوزير بتكريم ثلاثة أدباء ممن اعتنوا عناية خاصة بالشابي وهم الأساتذة: أبو القاسم محمد كرّو، المنجي الشملي و أبو زيان السعدي.

إصدارات جديدة

أبو القاسم الشابي في آثاره النثرية

للدكتور أحمد الطويلي صدر الكتاب رقم 85 يحمل عنوان «أبو القاسم الشابي في آثاره النثرية في كتاب صدر على نفقة صاحبه وذلك بمناسبة مائوية شاعر تونس الخالد صاحب أغاني الحياة. الكتاب مسح 95 صفحة من الحجم المتوسط وفيه مجموعة من الصور التاريخية مثل صورة الشابي بلباس أهله في الجريد وصورة له مع مجايليه أمثال محمد صالح المهيدي ومصطفى بن شعبان والمختار بن محمود وصورة لأحمد زكي أبو شادي وصورة لمجلة أبولو. ومن فصول هذا الكتاب: ملامح الحياة الثقافية في عصر الشابي من خلال مذكراته - الحبيبة والوالد في المذكرات - الطبيعة والمرأة في المذكرات - الخيال الشعري البيان الأدبي - رسائل الشابي إلى الحليوي - مرض الشابي ومرض والده من خلال الرسائل وفي باب نصوص أخرى نقرأ الفصول التالية: الشابي والطبيعة التونسية - قصتان لأبي القاسم - أبو القاسم في إيران وغيرها...

يقول المؤلف في المقدمة لهذا التأليف الجديد الصادر سنة 2009: «يهتم هذا الكتاب بعدد من نصوص الشابي النثرية ذات القيمة من حيث الصيغ والمعاني، ندخل من خلالها إلى عالمه الشعري الجميل سواء نظّرَ للأدب أو كتب مذكّراته أو راسل أصدقاءه أو قدّم لديوان شعري أو دَبّجَ قصصا ذات مضمون اجتماعي نقدي فنستجلي عواطفه نحو والده وإخوته، وميوله النفسية وآراءه في الحياة وفي الطبيعة». كتاب جديد يغريك أسلوب صاحبه بقراءته حتّى تتمّهُ دون أن تشعر بأنك قد أَتَيْتَ عليه بالتمام والكمال.

مئوية الشابي (1909/ 2009):

من منشورات قصص أصدر نادي القصّة «أبو القاسم الشابي» 2009 كتابا بعنوان (مئوية الشابي) تضمن الدراسات التالية: ذاكرة النص الشعري واستباقاته الممكنة أبو القاسم الشابي تجديديا (لمصطفى الكيلاني)- الرمز وما وراء الرمز (لمحمد الخالدي)- بنية الخطاب الوجداني في نماذج من قصائد الشابي (لخالد الغريبي)- من رسائل الشابي (للطيب الفقيه أحمد)- كما نقرأ أيضا مقالا بعنوان (مئوية الشابي) لرضوان الكوني- ونص للشابي بعنوان «الفنون والنّفس العربيّة».

الشابي (أبحاث - وثائق - صور):

لأبي القاسم محمد كرّو صدر الجزء الأول من هذا الكتاب عن المركز الوطني للاتصال الثقافي ضمن سلسلة ذاكرة وإبداع مسح الكتاب 176 صفحة من الحجم المتوسط ومن فصوله: أبو القاسم الشابي- أبو القاسم الشابي بخطّه (وثيقة)- ما يجب نحو الشابي- قفصة والشابي- الشابي شاعر الحب والحرية- منزلة الأدب الشعبي عند الشابي- الشابي والرثاء- الشابي وسليمان العيسى- الليل ونازك الملائكة والشابي- علاقة الشابي بجماعة تحت السور- نثر الشابي، رسائله وغير ذلك من الفصول.

اللافت أنّ هذا الكتاب اجترار وإعادة لما كان الأستاذ كرّو قد كتبه حول الشاعر وأنّ علاقة العنوان والمحتوى منعدمة فلا وثائق في الكتاب ولا صور وحتى الوثيقة المعلن عنها كانت مرقونة ولا دليل على أنّها وثيقة إلاّ صورتها خصوصا أنّ الإشارة في الكتاب واضحة (بخطّه) ولكننا عثرنا عليها بخطّ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحاسوب ولم نتمكن نحن القراء من رؤية خطّ الشابي إن كان جميلا أو رديئا ويبقى السؤال ما دامت وثيقة فلماذا لم يقع إدراجها في الكتاب مصوّرة؟؟

المداد الحيّ:

المداد الحي: الآثار الشعرية والنثرية لأبي القاسم الشابي بخط يده (أغاني الحياة - الدموع الحائرة) هو عنوان الكتاب الصادر سنة 2009 بمناسبة الاحتفال بمائوية الشاعر. الكتاب أصدرته وزارة الثقافة والمحافظة على التراث والدار العربيّة للكتاب وقد تضمن 462 صفحة وقدّم للكتاب الدكتور نور الدين صمّود الذي أشار إلى أنّ الكتاب تضمن أربعة كراسات كتب فيها الشابي أشعاره الكراس الأول اشتمل على أصول ومسودات ومكررات قصائد الكراسات السابقة / الكراس الثاني اشتمل على 31 قصيدة وقطعة / الكراس الثالث اشتمل على 16 قصيدة ومقطوعة شعرية / وفي الكراس الرابع 34 قصيدة وقطعة.

أمّا الكراس الخامس فقد اشتمل على الإبداع النثري للشابي وهو عبارة عن مجموعة خواطر وضع لها عنوان «الدموع الحائرة.

ويضيف الدكتور نور الدين صمود: «ونعتقد أنّ نشر شعر الشابي بخطه سيفتح مجالا فسيحا لدراسة أدبه مدة طويلة شكلا ومضمونا ونحن نرجو أن نعود إلى طبع هذه الآثار الشعرية والنثرية طبعة تتطابق فيها النصوص المخطوطة مع النصوص المنشورة مع التعليقات والتوضيحات اللازمة التي تساعد القارئ على فهم هذا العمل الإبداعي شعرا ونثرا».

أبو القاسم الشابي (حياته ومؤلفاته):

بمناسبة مئوية ميلاد الشاعر أبي القاسم الشابي (1909 / 2009) صدر للشاذلي الساكر كتاب بالعنوان أعلاه تضمن 111 صفحة من الحجم المتوسط. من فصول هذا الكتاب: الشابي في توزر - مؤلفات الشابي النثرية والشعرية - ديوان أغاني الحياة - المذكرات - الرّسائل - علاقة الشابي بوالده - مأساة الشابي: الاكتئاب ومرض القلب. باختصار الكتاب مهمّ ولا يخلو من الإضافة.

أبو القاسم الشابي: المئوية

مُدوّنة الشابي (عناق الحرف واللون)

أصدرت ولاية تونس والمندوبيّة الجهوية للثاقة بتونس كتابا جديدًا بمناسبة مئوية الشابي عنوانه مدوّنة الشابي (عناق الحرف واللون) في إخراج أنيق جدّا جمع قصائد للشابي ولوحات تشكيلية مستوحاة من مناخ تلكَ القصائد. الكتاب تصدّر صورة سيادة الرئيس الذي أذن بوضع برنامج متميّز للاحتفاء بالذكرى المئوية لميلاد شاعر تونس الكبير أبو القاسم الشابي وذلك في خطابه يوم 28 جوان 2008 ثم كلمة الأستاذ عبد الرؤوف الباسطي وزير الثقافة والمحافظة على التراث.

صفحات من كتاب الوجود:

أصدرت بيت الحكمة بقرطاج كتابا بعنوان «صفحات من كتاب الوجود: القصائد النثرية» للشاعر أبي القاسم الشابي في إطار الاحتفال بمئوية (1909/ 2009). الكتاب أعدّه الأستاذ سوف عبيد وقد قسمه إلى ثلاثة أقسام وهي: مدخل إلى قصائد الشابي النثرية - عودة الدر إلى معدنه (وفيه تحليل من الشاعر سوف عبيد- 15 قصيدا نثريا للشابي) - قصائد الشابي النثرية ومصادرها.

الكتاب مسح 214 صفحة من الحجم المتوسّط وهو كتاب مهمّ يغري بالقراءة للدخول في التفاصيل.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com